

سلسلة الدراسات الأدبية

الدكتور أحمد ضيف

# بلاغة الحرب في الأنكلس



دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة - تونس

00117024



Bibliotheca Alexandrina





بلاغته العرب في الأندلس





الدكتور أحمد ضيف

# بلاغته العرب في الأندلس



دار المعارف للطباعة والنشر

سوسة - تونس



الطبعة الأولى 1924

الطبعة الثانية 1998

العدد المسند من طرف الناشر 98/691

تدمك: 9 - 565 - 16 - ISBN 9973



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

كانوا ولا يزالون يعتبرون الأدب ضرباً من الفكاهة والتسلية. ويريدون بالأدب نادرة ظريفة ، أو عبارة طريفة ، أو حكمة بليغة ، أو بيت شعر يملك النفس ، ويسحر اللب بتركيبه البليغ وألفاظه الفصيحة . ويقولون فلان أديب : لأنه كثير النادرة ، حاضر الذاكرة ، واسع الاطلاع ، أنيس الجليس ، عذب الحديث ، حافظ راوية . ويقولون هذا كتاب أدب : لأنه جامع لكثير من مسائل اللغة وقواعدها ، والشعر وأنواعه ، والنوادر الخاصة والعامة ، وتواريخ الملوك والأمم . ويقولون فلان كاتب : لأنه طلى العبارة ، عارف باختيار الالفاظ ، عالم بكثير من المترادفات ، تنقاد اليه البلاغة انقيادا ، فيصور الحق باطلا ، ويجعل الباطل حقاً . ولكن الأدب نتاج العقول والقراءح البشرية ، وقوة الفكر والادراك الانساني التي تنفتق بها السنة الشعراء ، وتسيل بها أقلام الكتاب ، فيفيضون على العالم من أحوال الاجتماع وصوره ، وأسرار النفوس وخفايا الوجود ما يملأ النفس عظة واعجاباً ، بصحيح الآراء وجمال الافتنان ، ويمتازون عن العامة من الكتاب والمفكرين بدقة الادراك ، وتصوير المعاني النفسية والاجتماعية تصويراً يقرب من أن يكون مدركاً بالحواس .

ان البلاغة - أو الأدب كما يقولون - هي خلاصة كد العقول والافهام ، وثمره هذا الاضطراب الفكري الذي ما برح دليلاً على قوة الادراك وحياة النفوس العاقلة . والغرض من الكتابة البليغة أن يجعل الكاتب أو الشاعر الالفاظ وسيلة من وسائل التعبير عن لحظة من لحظات الحياة لا يكتفى أن يدركها عقله ادراكاً



ثم يتركها تمر ولا تعود ، ولكنه يحرص عليها ويحيطها بعبارات تكشف عن أسرارها وتبين حقيقتها . قال أحد كبار نقاد الأدب « ليست الحياة الآن لهواً أو لعباً ، ولكنها نوع من المسابقة والمباراة . ذلك الى أننا جميعاً مضطرون الى ابداء آرائنا في الدين والفلسفة والسياسة والفنون والاجتماع . اذ على كل واحد منا أن يكون مخترعاً أو آخذاً طريق غيره . والاختراع صعب المنال ، والتقليد مخجل مؤلم . ليست الحياة دار مسامرة ، ولكنها معمل فكر وجد . أنتظن ان معملاً كيميائياً يكون من دواعي السرور ؟ أو ان ميدان مسابقة يكون من أسباب الراحة ؟ لقد تكون فيه الوجوه مقطبة ، والعيون متعبة ، والجهة في حيرة والحدود متاحة <sup>1</sup> »

والحق أن حركات العقول والادراك ليس لها أن تظهر إلا على أقلام الكتاب والسنة الشعراء . ليس الأدب من دواعي اللهو ، وانما هو من دواعي الأعجاب والعبرة . أما العبرة فلما به من آراء الكتاب والشعراء المحتوية على كثير من صور الانسان وحالات الاجتماع . وأما الجمال فهو من أخص لوازم الأدب ، لانه من فنونه ، ولان الكتابة لا تدخل في باب الأدب أو البلاغة حتى تملك الحواس وتأسر العقول بما فيها من جمال التعبير وحسن الاسلوب والافتنان في العبارة ، وحتى يكون صاحبها من أصحاب المواهب الفنية ، والملاحظات الدقيقة ، والابداع المطلق .

بهذا يمكن أن يكون الأدب شيئاً من جمال الحياة وأثراً من آثار العقول ، ومعرضاً لصور النفوس والادراك الانساني ، وفناً من فنون الجمال ، ودليلاً على الحياة العقلية . فهو أكثر الاشياء انتشاراً في الحياة ومن ألصق الاشياء بالاجتماع . لانه كل هذه الأحاديث التي في المجالس الخاصة والعامة ، والمسامرات من جد وهزل وأسرار الناس وخفايا ما يمر بين الرجل وأهله وولده وصديقه ، وما يتحدث به عن نفسه ، وما يتحدث به ضميره ، وما يمر بذاكرته ، وما يوقظ منه حب الاستطلاع . فليس أدل على الحياة من الأدب .

قد تستغنى بعض الامم عن سماع الموسيقى ، وربما لا تدرك جمال التصوير .

---

(1). Voir St Beuve, Causerie de lundi T. 13. P. 250



ولكن أمة من الأمم لا تعيش بدون أن تعبر عن ادراكها ، ولا بغير أن تبث عواطفها واحساساتها ، ولا من غير أن تتغنى بآلامها واحزانها وحظها من الحياة أو آرائها في الوجود

يجب أن يفهم جمهور الناس أن الغرض من قراءة قصيدة بليغة أو قصة أنيقة هو ادراك معانيها النفسية والاجتماعية . ويجب مع هذا أن يسلك كاتبنا وشعراؤنا طريقاً غير هذا الطريق الذي سارت فيه آدابنا زمننا طويلاً فلم تتقدم خطوة واحدة ، ولم تسلك مسلكاً نافعاً ، ولم تفد الاجتماع شيئاً كثيراً ، يجب على شعرائنا وكاتبنا طرق الموضوعات الاجتماعية العامة لنقدها في كتاباتهم ، والعمل على اصلاحها ، وارشاد الناس الى طريق الخير . وذلك لا يكون الا بكتابة القصص الاجتماعية ، والخروج من هذه الصبغة الشخصية الوجدانية ، التي لا يرى القارىء فيها غير نفس الكاتب أو الشاعر ، وقد تكون نفساً مريضة مملوءة بالخطأ والنظر القاصر .

ان أسلوب القصائد المعروف عندنا لم يعد صالحاً لحالتنا الاجتماعية ، ولا لنفوسنا التي تهذب بشيء من العلم الصحيح ، والنظر في حياة الأمم المختلفة . هذه النفوس لا تطمئن الآن الى قراءة قصيدة ليس فيها غير الوزن المرقص والقافية المنحقة . لانه لا يطربها هذا الصوت القديم ، ولا تلك الحكم البالية المحفوظة التي ذهبت بجذتها اللسان لكثرة مرورها على الأفواه والاذهان .

ان الواجب على أصحاب البيان وذوى اللسان أن يشتغلوا بوصف الاجتماع وتصوير النفوس ، وأن يتركوا ضخامة اللفظ وعذوبة المعنى كما يقولون . وأنواع البديع ، ويعلموا أن الحياة جد لا هزل ، وأن الناس أحوج الى ملاحظاتهم النفسية والاجتماعية منهم الى العبث بالألفاظ والبراعة في التشبيه .

هذا ما ندعو اليه ويدعو اليه كل عامل على ترقية اللغة العربية وآدابها . ويجب مع هذا أيضاً أن يعنى المؤلفون والادباء ببيان ما في بلاغة العرب ، من نثر ونظم وما في ذلك من الافكار العامة والمسائل الاجتماعية التي لا تخلو من معرفتها الشعراء



والكتاب، والتي هي نتائج العقول والقرائح وسبب حياة الأدب وبلاغات الأمم.  
وهذا ما حاولناه في الكلام على بلاغة العرب في الاندلس في هذا الكتاب  
كان لعرب الاندلس أدب رائع، وشعر بليغ، ونثر بديع، وسعة في الخيال، وقدرة  
على الابتكار. وكانت دولة الادب هناك في عز مجدها وأزهى عصورها، وساحاته  
خاصة بالشعراء والكتاب في كل فن من فنون البيان، أو مذهب من مذاهب  
البلاغة. « من عجائب علمهم وغرائب نظمهم ونثرهم مما هو أحلى من مناجاة  
الأحبة بين التمتع والرقبة، وأشهى من معاطاة العقار، على نغمات المزاهر والاورار  
لأزروساء هذه الجزيرة كانوا رؤساء خطابة، ورؤوس شعر وكتابة. ترفقوا فأنسوا  
البحر واسترقوا فأدركوا الشمس بالبدر. وذهب كلامهم بين رقة الهواء وجرالة  
الصخرة الصماء<sup>١</sup> »

« فالاندلس عراق المغرب عزة انساب ورقة آداب واشتغالا بفنون العلم واقتنانا  
في المنثور والمنظوم، لم تضق لهم في ذلك ساحة، ولا قصرت عنه راحة... وهم  
أشعر الناس فيما كثره الله في بلادهم وجعله نصب أعينهم، من الاشجار والانهار  
والاطيار، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن... وأما اذا هب نسيم. ودار كاس في  
كف ظبي رخيم. وصفق للماء خريز. أو راق العشي وخلفت السحب ابرادها  
الفضية والذهبية. أو تبسم عن شعاع نغر نهر، أو ترقرق بطل جفن زهر. أو  
خفق بارق. أو وصل طيف طارق. أو وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح،  
وبات مع من يهوى كالماء والراح... فؤلك هم السابقون الذين لا يجارون ولا  
يلحقون. وليسوا مقصرين بالوصف اذا تقعقع السلاح، وسالت خلجان الصوارم بين  
خلجان الرماح. وبنت الحرب من العجاج سماء. واطلعت شبه النجوم امسة  
واجرت شبه الشفق دماء... وقد أعانتهم على الشعر أنسابهم العربية. وبقاعهم  
النضرة وهمهم الآية... الخ<sup>٢</sup> »

(١) راجع خطبة ابن بسام في الجزء الاول من الذخيرة

(٢) راجع نفع الطيب طبع أوروبا جزء ٢ صفحة ١٠٧



فكان هؤلاء الكتاب والشعراء أثر عظيم فى اللغة العربية وآدابها، ولا سيما ما ابتكروه من أنواع المعانى والخيال فى النظم والنثر لذلك رأينا أن نذكر هنا شيئاً من هذا . وبدأنا كلامنا بفصول موجزة عن تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، حتى لا يحرم من لا يريد أن يكلف نفسه الاطلاع على ذلك من أن يستفيد من هذا الإيجاز ولكننا لم نقصد من هذا الكتاب أن يكون تاريخاً جامعاً لأدب العرب وبلاغتهم فى الأندلس، ذلك لم يكن من غرضنا الآن . وإنما أردنا أن نجمع طائفة قليلة من الشعراء والكتاب المعروفين هناك، ونورد شيئاً من منظومهم ومنثورهم ونتكلم عما لهم من الآثار الفنية فى شعرهم ونثرهم، لنفتح على طلاب الأدب وتلاميذ المدارس باباً من أبواب الفهم والبحث فى بلاغة العرب . فإذا وفقنا الله الى العودة فى هذا الموضوع كانت لنا جولة أوسع من هذه . والله المستول أن يرتدنا الى الصواب .

القاهرة فى ذى القعدة سنة ١٣٤٢ الموافق شهر يونيه سنة ١٩٢٤

المحمد ضيف





## العرب في الأندلس

ظهر الاسلام في العرب فانتشروا في الأرض وأوغلوا في الفتح واختراق الآفاق، وانسابوا في البلاد وانساب عليهم الظفر والغنائم . قوجدوا في ذلك مطعماً لهم ، وسعة لدولتهم ، وعونا لدينهم ، وعزاً لمجدهم . ففتحوا في نحو ثلاثة قرون ما لم تصل اليه أكبر دولة في العالم .

وقد خرج العرب من بلادهم الى مصر فالقيروان فبلاد البربر فالاندلس . فأسسوا هناك دولة واسعة الارحاء ، كانت أعظم دولة أقامها العرب ، وأنغر مدينة جاء بها الاسلام . توغل المسلمون في افريقية سنة ٥٠ من الهجرة في خلافة معاوية ابن أبي سفيان ، بقيادة عقبة بن نافع الذي أسس مدينة القيروان . وانتشروا في بلاد البربر شمال افريقية فاسلم سكانها . وفي سنة ٨٢ عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي الى موسى بن نصير بولاية افريقية . فنزل القيروان وأخضع قبائل البربر . ثم سار الى طنجة وفتحها . فدانت لسلطانه جميع هذه البلاد ، وأسلم أهلها ومنهم أهل طنجة . وترك موسى بن نصير جنده تحت قيادة مولاة طارق بن زياد . ثم تطلع الى فتح اسبانيا ، لما علم من ضعف أهلها واضطراب حالها . فاستأذن الخليفة في ذلك ، ونزل الشواطىء في سنة ٩١ هـ ، وفي سنة ٩٢ هـ عبر طارق بن زياد البحر مع جنوده ، ونزلوا الجبل المسمى الآن باسمه . وانتشروا في بلاد الأندلس انتشاراً عظيماً . ولما استقرت قدمهم هناك نزح اليها العرب من كل بطن وقبيلة ، من عدنايين وقحطائيين وغيرهم . فمن العدنايين القرشيون والهاشميون الذين كانت منهم دولة بني حمود . ومنهم المخزوميون الذين منهم أبو بكر المخزومي الشاعر الأعمى المشهور ، والوزير ابن زيدون . ومن بينهم الفهريون ، ومنهم عبد الرحمن الفهري الذي غلبه على أمره ، وأخذ منه الملك عبد الرحمن الداخل مؤسس دولة بني أمية بالاندلس . اما القحطائيون أو اليمينيون فكانوا أكثر

انتشارا . ومن قبائلهم كهلان . ومنها محمد بن هانيء الشاعر المشهور ، ومنهم الازد ومنهم الجم الغفير بالاندلس<sup>١</sup> ورحل الى الاندلس أيضا كثير من أهل مصر والشام والعراق . كما عبر اليها من مرا كش وشمال افريقية جماعة من البربر . واختلط كل هؤلاء بسكان البلاد الأصليين ، من قوط وغيرهم بالمصاهرة والمصادقة ، وجمعهم الاسلام فكانوا أمة واحدة . ولكن هذه الأمم لم يكد يجتمع أمرها حتى دب فيها ديب التنازع . وكانت العصبية العربية في أشد ما تكون . فقام النزاع والخصام بينهم وأيقظوا الفتن القديمة النائمة . ودارت رحى الحرب بين اليمنيين والمضريين ، وتنافسوا في الملك ، حتى أدى ذلك الى انقسام الامارة فيهم وادلتها بين الجندين سنة لكل دولة .<sup>٢</sup> وكان خلفاء بني أمية بعد ذلك يستعينون ببعض القبائل على بعض تأييدا لملكهم ، ويميلون الى اليمنيين الذين نصرهم في واقعة مرج راهط . فكان انقسام العرب منذ وطئت أقدامهم هذه البلاد .<sup>٣</sup> وقد دامت هذه الفتن مدة وجود الدول الاسلامية في بلاد الاندلس ، حتى قيل : ليست هناك بقعة من أرض الاندلس الا رويت بدماء المسلمين . ولم يكد يخلو يوم من الأيام التي خفقت فيها راية الاسلام هناك من حرب أو شجار بين المسلمين والمسيحيين واليهود ، أو بين بعض المسلمين وبعض مع هذا فقد كان لدول المسلمين عصور ذهبية ، وأيام زاهرة ، أثمرت فيها قرائمهم وجهودهم . وظهر فيها صفاء عقولهم وميلهم الفطري للرقى ، حتى أصبحوا قواد العالم واساتذة المعسورة . وربما كان ذلك التنافس في الملك من أسباب رقى تلك البلاد . لان كل امير أو خليفة كان يريد ان يوطد ملكه بنشر العلوم والمعارف . ولا سيما ان العباسيين كانت مدينتهم ازهرت في بغداد ، فارادوا ان يجاروهم في قرطبة ، ويظهروا عليهم فيما كان لهم من الفضل . هذا الى ما كان عليه

١ راجع الباب الثاني من نفع الطيب

٢ انظر الجزء الاول من تاريخ المسلمين في أسبانيا تأليف دوزي صحيفة ٢٥٢ وتاريخ

ابن خلدون جزء ٤ صحيفه ١٢٠

٣ راجع الفصل الحادى عشر من الجزء الاول من كتاب دوزي المذكور



العربي من ميله للعلم ونشره ، لأنه كان يرى في ذلك نشر المدينة على يديه ، وهذه وسيلة من وسائل الفخر والاعجاب اللذين هما من أكبر مظاهر الاخلاق العربية . ولقد كان مثلُ الأمة العربية مثل النائم المستغرق في نومه ، فاذا استيقظ كانت يقظته يقظة النشيط المجد .

ولما دخل العرب الاندلس ادخلوا معهم بلاغتهم ولغتهم التي كانت من أكبر مظاهر الفنون لديهم ، فتبعت اول خطوة خطاها أكبر قوادم فاتح هذه البلاد طارق بن زياد . وأول مظاهر تلك البلاغة العربية الخطبة الحماسية الشهيرة لهذا الفاتح العظيم ، التي تدل على رسوخ ملكة البيان في القواد ، وخبرتهم بالقيادة ونفوس الجند ، وكيفية امتلاكها بالرهبة احيانا والرغبة تارة ، وبث الأمل في نفوسهم باكتساب الغنيمة وانتظار الاجر من الله ، وان القائد بلسانه كلقائد بسيفه وسنانه . قالها طارق بن زياد وهو قادم على عدوا أكثر منه عددا وعُنة ، لانه دخل الاندلس ومعه اثنا عشر الف رجل اذهب بهم سبعين الفا من الاعداء

وهذه الخطبة هي اول ربح هبت على تلك البلاد معطرة ببلاغة العرب . واول كلام بليغ عبر عبيره هناك . بل اول تاريخ البلاغة العربية . ولم تكن بلاغتها في الاسلوب وحده ، بل في الحماسة والشجاعة اللتين كانتا من طبع العربي . وهي من نوع الكلام الذي يوحى به حب الجهاد ، والرغبة في نيل الاجر الديوى والاخروي معا ، ويذكر الجيوش بمفخرة النصر على العدو ، أو الموت في سبيل الدفاع عن الحوزة ونشر الدين . وفيها من ضروب الاستبسال والترغيب في القتال ما لا يكون الا من قلب حديد وقائد عظيم محارب<sup>١</sup>

١ وهذه هي خطبة طارق بن زياد :

ايها الناس . اين المفر . البحر وراءكم . والعدو امامكم . وليس لكم والله لا الصديق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيق من الايتام في مأدبة الثام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة . وانتم لا وذر لكم الا سيوفكم . ولا اقوات الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم . وان امتدت بكم الايام على اقتداركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراة عليكم . قاذفوا عن انفسكم خذ لان هذه العاقبة من امركم بمناحزة هذا الطاغية . فقد القت به اليكم مدينته

هذا وقد كان للمسلمين هناك عصور تاريخية وعصور أدبية . أما العصور التاريخية فقد بدأت بعصر الامراء منذ الفتح الى سنة (١٣٨) . تولى الامر فيها عشرون اميرا كانت مدتهم ستة واربعين عاماً ( ٩٢ - ١٣٨ ) . وكانت هذه الامارات تابعة للخلفاء في المشرق زمن الامويين والعباسيين . ولكن هذا العصر كان عصر اضطراب وشجار لا ينقطعان . ولما علم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاموي بما هناك من المنافسة بين اليمنيين والمضريين ، وكان قد فر من ظلم ابي جعفر المنصور الذي نكل بيني مروان ، التجأ الى بلاد البربر وذهب الى الاندلس مع جماعة من أتباعه ، واسس هناك دولة بني امية سنة ١٣٨ واستتب له الملك سنة ١٤١ هـ واستولى على قرطبة بمساعدة اليمانيين ، فتأسست دولة بني امية التي كان عصرها من ازهى عصور العلم والادب والحضارة بجميع انواعها . وبقيت هذه الدولة ٢٨٤ سنة ( الى سنة ٤٢٢ هـ ) تولى الملك فيها ١٩ خليفة . وقد بلغت الدولة ذروة مجدها في زمن عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ ) ودامت مع الدولة العباسية بالمشرق . فكان نور المدينة

---

الحصينة . وان اتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمعتم لانفسكم بالموت . واني لم احذركم أمرا انا عنه بنجوة . ولا حملتكم على خطة ارخس متاع فيها النفوس . ابرأ منها بنفسى واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفة الالذ طويلا . فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسى . فما حظكم فيه باوفر من حظى . وقد بانكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسن من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان . والحلل المنسوجة بالمقيان المقصورات في قصور الملوك ذوى التيجان . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عربانا . ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا . ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدته الابطال والفرسان . ليكون حفظه منكم ثواب الله على اعملاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين . واعلموا انى اول مجيب الى ما دعوتكم اليه . واني عند ملتقى الجمع حامل بنفسى على طاعة القوم لذريق فقاتله انشاء الله تعالى . فاحملوا معى فان هلكت بعمد فقد كلفنكم امره ولم يعوزكم بطل عائل تسندون اموركم اليه . وان هلكت قبل وصولى اليه فاحلفونى في عزمى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا اليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعمد يخذلون ( نفع الطيب طبع اروبا جزءا صحيفة ١٥٠



الاسلامية يسطع من المشرق والمغرب معا. فان عبدالرحمن الداخل عاش من عصر ابي جعفر المنصور الى زمن هرون الرشيد ( ١٣٢ - ١٨٢ ) وكان الحكم بن هشام معاصراً للمأمون ( ١٨٠ - ٢٠٦ ) فكانت الدولتان تتسابقان في ميدان العلوم والحضارة. وكانت قرطبة وبغداد كعقبى العلماء ومنبعى العلوم والفنون .

وبعد زوال دولة بني امية اتقسم الناس احزاباً وشيعاً. فكانت هناك ممالك كثيرة مستقلة سموها ملوكها بملوك الطوائف . فقام ابن عباد في اشبيلية . وابن الأفطس في بطليوس. وذو النون بطليطلة. وابن هود بسر قسطة الخ. وبقيت الحال كذلك كانت البلاد فيها أكثر ماتكون اضطرراً

مع هذا فقد كان لملوك الطوائف ميل عظيم للعلوم . فكان ابن الأفطس الملقب بالمظفر احرص الناس على جمع علوم الادب خاصة من النحو واللغة والشعر ونوادير الاخبار وعيون التاريخ . انتخب له مما اجتمع من ذلك كتاب كبير ترجم باسمه (المظفرى) كان يقع في نحو ٥٠ مجلداً . وكان لابنه المتوكل قدم راسخة في صناعة النظم والنثر . قالوا : وكانت ايام بني المظفر اعياداً ومواسم ، وكانوا ملجأ لاهل الادب . وفيهم قال الوزير الكاتب ابو محمد عبد المجيد بن عبدون قصيدته الشهيرة وكان بنو هود ملوك سر قسطه وما يليها من اهل العلم وانصاره . فقد كان المؤمن بن المقدر بالله قائماً على العلوم الرياضية وله فيها تواليف . منها كتاب « لاستكمال المناظر » ومن اشهرهم ابوالقاسم المعتمد على الله بن عباد ، كان شاعراً اديباً . وكان لا يستوزر وزيراً الا أن يكون اديباً وشاعراً ، ومن وزرائه الكاتب الشهير ابن زيدون . ومنهم الكاتب ابن عمار . وكان

---

١ قال صاحب المعجب : واما حال اهل الاندلس بعد انحلال دعوة بني امية فقد تفرقوا فرقاً وتقلب في كل جهة منها متقلب ، وضبط كل متقلب ما تطلب عليه وتقسوا القاب الخلافة . فمنهم من تسمى بالعتضد ومنهم من تسمى بالمأمون وآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتد وغير ذلك من القاب الخلافة . وفي ذلك يقول ابو علي حسن بن رشيق

بما يزهدنى في أرض أندلس      سماع مقتدر فيها ومعتضد  
القاب مملكة في غير موضعها      كاهن يحكى انتفاخا صولة الاسد

المعتمد هذا من اعظم ملوك الطوائف. ولم تذهب دولته الا بعد ان استعان  
بيوسف بن تاشفين الذى تغلب عليه واسره فى افريقية بعد ان ابلى بلاء حسنا  
فى محاربته (سنة ٤٨٤ هـ). ومنذ ذلك الزمن ملك البربر اسبانيا وسموا بالمرابطين ،  
واصبحت الاندلس ولاية تابعة لافريقية. وملك يوسف بن تاشفين بلاد الاندلس  
واصبح هو وابنه من اكابر الملوك<sup>١</sup>

اما دولة المرابطين هذه فعلى الرغم من ميلها للعلوم . لم يكد يستتب لملوكها  
الامر حتى ظهر فيهم الجهل والتعصب لمسائل الدين. وابتدأت الحالة العقلية تنحط ،  
وحركة اللغة والعلوم تقف. وفي زمن على بن يوسف بن تاشفين ظهر التعصب لمذهب  
الامام مالك ، حتى قالوا انه نسي النظر فى كتاب الله . وصودرت كتب الكلام ،  
ومنع الكلام فى العقائد ، وأمر باحراق كتب الغزالي. ثم عمت الفوضى جميع البلاد ،  
واضطرب حال المسلمين بعد سنة خمسمائة ، واوكلت الأمور العامة للنساء . وعلى  
أثر ذلك قامت دولة الموحدين التى نشأت بمرأ كش فى أوائل القرن السادس  
واراد الموحدون ان يردوا عظمة عصر بنى امية من علوم وفنون وصناعات . واشتهر  
فى زمنهم طائفة من العلماء والشعراء والفلاسفة. فقد كان لامرائها ميل عظيم للعلم  
كأبى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ( ٥٥٨ — ٥٨٠ ) الذى اشتهر حبه للعلم  
والاشتغال به وجمع الكتب ، وكان يتناقش مع ابن رشد الفيلسوف الشهير . حتى  
قال ابن رشد انه هو الذى حملنى على تلخيص ما تلخصته من كتب الحكيم ارسططاليس .  
ثم ظهر بنو هود فى أوائل القرن السابع الهجرى وغلبيهم بنو الاحمر ملوك  
غرناطة . واضطربت الحال فى هذه المدة بين بنى الاحمر وبنى هود ، كما كانت  
عند الفتح بين الامراء. وانتهت الدولة فى أواخر القرن التاسع الهجرى حيث خفت  
صوت المسلمين هناك . وقد ظهر فى هذه المدة الاخيرة كثير من الادباء والشعراء  
كاسان الدين بن الخطيب وابن زمرك وغيرهم.

اما عصور الادب والبلاغة فقد ابتدأت بتأسيس الدولة الاموية . ولم يأفل

<sup>١</sup> قالوا وانقطع الى امير المسلمين من الجزيرة من اهل كل علم فحواله حتى اشتهت حضرة  
حضرة بنى العباس فى صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم  
يسبق اجتماعه فى عصر من العصور



يجم هذه الدولة الا بعد ان أفعمت البلاد بالعلماء والفلاسفة والادباء ومعاهد العلم ودور الكتب . وكانت الصبغة العربية في هذا العصر ظاهرة في الشعر والنثر . لأنها كانت أشبه بما في بلاد المشرق . فلما كثر الترف وذاع اللهو والمجون في اواخر الدولة وفي دولة العامين ، وفي عصر ملوك الطوائف ، ظهرت الاباحة في كل شيء ، وظهر كل هذا في انواع البلاغة من نظم بديع ونثر رشيق ، ومن كلام في وصف مجالس اللهو والطرب والغلمان والنساء ، واغرب الشعراء والكتاب في هذه الانواع . واكثر مشهورهم ظهورا في ذمن ملوك الطوائف وبعده ، كما ظهر كثير من العلماء والفلاسفة والادباء . وما زالت النهضة الادبية سائرة سيراً حثيثاً ، لان العقول كانت قد نضجت واخذت في البحث والاستنباط . وقد زالت الدولة على أثر الاضطرابات السياسية ، والحياة العقلية في عز مجدها . وعلماءها وادباؤها كانوا لا يزالون في ابان نشاطها ، ونشوة يقظتهم العقلية حتى انتشروا في البلاد ، وأفاضوا عليها من فضل علومهم ما كان له أثر نافع عند الامم التي نزلوا فيها .





## الحياة العقلية في الأندلس

امتزج المسلمون الذين دخلوا الأندلس بسكان البلاد وتصاهروا وتحابوا . ثم دخل كثير من غير العرب في الاسلام ، فظهرت صلة أخرى غير صلة الاجتماع في بقعة واحدة ، وهي صلة الدين ، وامتزجت كل هذه الاجناس بعضها ببعض امتزاجا تسرب في عقولهم كما تسرب في دمائهم . فكانت لهم نزعة عقلية جديدة . ونمت مواهبهم الفطرية ، وساعدتهم على ذلك اتجاعهم بلاداً واسعة غنية جميلة ، مختلفة المناظر متعددة المناحي ، فكان أثر ذلك كله ان أصبحت لهم مميزات عقلية وصفات لم تكن لغيرهم من العرب الخالص . فاشتغلوا بأنفسهم في نقل العلوم ونشرها ، ووصلوا الى البلاد في طلبها ، ورحل اليهم كثير من العلماء ، فاخذوا عنهم كما أخذوا عن آثار اليونان والرومان والفرس . ولم يكن للعرب اذ ذاك من يزاحمهم ، لان معالم الحضارة كانت خفيت . والعالم ينطلع الى من ينقذه من مخالب الموت ويفيض عليه بنور العرفان . وكان العرب أبطال تلك الايام ، فاصبحوا زعماء المدنية . وأرادوا أن ينالوا شرف هذه الزعامة ويملكوا زمام العالم . وقد عرفوا ان ذلك لا يكون الا اذا ارتقت العقول وتقدمت العلوم ، وان دولة لا تؤسس الا على العلم ، وان أمة تريد أن تعيش لا تحيى الا بالعلم . فاراد عبد الرحمن الداخل أن تكون دولة بني أمية في المغرب أثبت دعامة من دولة بني العباس بالمشرق ، وأبقى وأنغم من ملك آبائه في ربوع الشام فتمهدت في زمنه وسائل السعادة والمدنية وكان يعمل على ترقية العقول ونشر العلوم والفنون والصناعات . كذلك كان عبد الرحمن الثاني المعاصر للأمون ( من سنة ٢٠٦ الى ٢٣٨ ) شديد الرغبة في

١ فقد رووا عنه

ابن أمية قد جبرنا صدعكم بالغرب رلما والسعود قبائل  
مادام من نسلى امام قائم فالحكم فيكم ثابت متواصل

الفنون والأدب والموسيقى ، فعمل على ترقية أذواق أهل الأندلس بنشر هذه الفنون الجميلة . فكان خلفاء بني أمية يجارون دولة بني العباس في حضارتهم وفي كل شيء لديهم . وأرادت قرطبة أن تظهر على بغداد . فأدخل عبد الرحمن الثالث في اسبانيا ما كان عند العباسيين من علوم وفنون . وأنشأ في قرطبة كثيراً من المباني الفخمة . وبلغت أبهة الملك منهاها في أيامه . وفي عصره كانت المدينة الإسلامية زاهية . فكان العلماء والادباء يقدون من المغرب الى المشرق ، ومن المشرق الى المغرب . والطريق من بغداد الى قرطبة لا يغيب عنه ضوء العلم ، ولا تنقطع عنه قدم العلماء ، والعالم يستضيء في ظلمة جهله بأشعة العلوم العربية ، ويهتدى بأثار العرب وجهودهم في نقل الحضارة من اليونان وغيرهم ، مما كشفوا مخبأته وفتحوا معيئاته . وقد نمت مواهب العرب في اسبانيا كما ينمي النبات الصالح للحياة في الارض الخصبة الطيبة . وظهر أثر ذلك كله في العلوم والفنون ، كما ظهر في أنواع البلاغة من شعر ونثر ، مما لم يكن عند سواهم . ذلك لما كان لهم من النشاط والجد والمثابرة على البحث والتنقيب ، والعمل على فهم ما تركه الناس قبلهم من علوم عقلية أو عقلية ، ومن صناعات وفنون . فكان لهم أثر في كل شيء . أطلعوا عليه ، فألفوا ودونوا واخترعوا ، مما لا يكاد يحصى ، حتى ان الحركة العقلية لديهم لم يكن لها مثيل في زمنهم ، لأنها كانت نتيجة جهود العقول والقرائح عند العرب جميعاً .

وقد عُنوا عناية عظيمة بجمع الكتب في كل علم وفن . فقد كان في اسبانيا سنون مكتبة عامة ، أنشأها الخلفاء الامويون وغيرهم . أشهرها مكتبة قرطبة ، وكانت تحتوى على الكتب العقلية والنقلية التي ترجمها وألفها العرب في الزراعة والفلك والرياضة . وفي الطب والكيمياء والموسيقى . وفي أصول الدين ككتب التوحيد والفقه والحديث والتفسير . وفي فنون الأدب كالبلغة والتاريخ والقصص والرحلات والخطب ودواوين الشعراء المختلفة ومعاجم اللغة . كان ذلك كله مجموعاً جمعاً منظماً في مكتبة الحكم المستنصر ( ٣٥٠ - ٣٦٦ ) كل غرفة



محتوى على علم أو فن من الفنون.<sup>١</sup> واشتدت رغبة الحكم فى اقتناء الكتب فكانت فهارس المكتبة أذبعة وأربعين ، وبلغت الكتب فيها مائتى ألف مجلد . جمعها من افريقية وفارس وجميع البلدان . وانتقلت رغبة جمع الكتب الى طبقة العامة حتى صار ذلك أنفوس ما يقتنى . وحرص الناس عليها وعلى نقلها . وكان الحكم نفسه عالماً بالأخبار والأنساب ، محباً للقراءة ، حتى قالوا انه قلما يوجد كتاب فى مكتبته الا كان له نظر فيه وتعليق عليه ، يكتب عن المؤلف وعن مولده ووفاته ويأتى بغرائب لا توجد الا عنده . وكان يجمع فى داره الحدائق فى صناعة النسخ والضبط والاجادة فى التجليد ، ويجود عليهم بالمال . فكانت داره أشبه بمجمع علمى . وكان يبعث فى الكتب الى الافطار رجالات من التجار ، ويعطيهم الأموال لشرائها ، حتى جلب منها الى الأندلس ما لم يكن لهم به عهد ، مما كان يضاهى ما جمعه ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة . واستخدم العلماء فى كل ما يساعد على العلم ونشره ، فكان منهم الوراقون المشهورون المعروفون بالضبط وحسن الخط . وبعث فى كتاب الأغاني الى مؤلفه أبى الفرج بألف دينار من الذهب العين ، فجاءه بنسخة منه قبل أن يخرج الى العراق . كذلك كان للخلفاء ميل عظيم الى أكرام العلماء والاخذ بنصارهم.<sup>٢</sup> فكان المنصور بن أبى عامر على مثل هذه الحال يعمل على ترقية العلوم ونشرها فى أنحاء الدولة لدى الرعاية على اختلاف أجناسهم ونزعاتهم ، بعد أن كان العلم مقصوراً على الوجوه منهم . وكان يزور المدارس ويحضر الدروس ويختلط بالطلبة ، ويمدح المدرسين

١ كان الحكم من أشد أنصار العلم ، لأن أباه عبد الرحمن الثالث ربا به بأمر الاساتذة ووكّل أمر تعليمه الى أبى على القالى . وقد نشر الحكم على نفقته الخاصة مؤلفات أحمد بن عبدربه صاحب العقد الفريد . وجعل فى قرطبة كبردار لمطالعة الكتب العربية وجعل أخاه عبد العزيز مديراً لها ومحافظة عليها ، على حين أن أخاه المنذر كان له الرئاسة على أندية العلوم المختلفة التى تأسست فى قرطبة

٢ راجع خبر دخول أبى على القالى الى الأندلس والاختفاء به واشتغال الحكم بالعلم وجمع الكتب — نفع الطيب طبع أوروبا جزء ١ صفحة ٢٥٠

وبكافى التلاميذ على جدهم ، ويجلس فى مجالس العلماء للمناقشة والبحث ، ويختار من نابغهم القضاة والقراء والخطباء <sup>١</sup>

على مثل هذا كانت عناية العرب بنشر التعليم تفوق كل عناية . فكانوا اذا فتحوا بلداً أو مدينة يبدأون بإنشاء مسجد ومدرسة <sup>٢</sup> وكأنهم يقصدون بذلك أن نشر الدين والعلم معاً لازم تهذيب الامم وأن تربية النفوس بالدين كترية العقول بالعلوم والمعارف . وعندهم أخذ أهل أروبا المدارس الجامعة ونظام « الكليات » التى يجتمع فيها كثير من الطلبة على أساتذة يتعلمون العلوم المختلفة . وكان فى كل مدينة من مدن اسبانيا مدرسة كبيرة . بل كانت القرى تحتوى على مدارس لتعليم القرآن والقراءة والكتابة . وأصبح السواد الأعظم من سكان البلاد عارفاً بالقراءة والكتابة ، على حين أن أهل أروبا كانوا من العامة الذين لا يقرأون ولا يكتبون ، لأن التعليم كان منحصراً لديهم فى طائفة القسوس الذين لم يخرج العلم من دائرتهم ، وإن تعداهم فالى بعض الامراء والاعنياء . وكانت معاهد التدريس خاصة بالعلماء والفضلاء ورؤساؤها من أكبر الرجال المفكرين <sup>٣</sup>.

---

<sup>٢</sup> هذا على الرغم من تظاهر المنصور بكرهه علوم الفلسفة والنجوم ارضاء لشهوته السياسية . راجع طبقات الامم فى ذلك

<sup>٢</sup> بلغت مساجد قرطبة فى زمن عبد احن الداخل ٤٩٠ مسجداً

<sup>٣</sup> أما العلماء والمؤلفون فكثيرون فى كل علم وفن . ذكر جملة من ذلك ابو محمد بن حزم الحافظ فى رسالة طويلة رد فيها على الحسن بن محمد القيروانى فيما كتبه فى تحليل علماء بلده وتقصير أهل الاندلس فى ذكر علمائهم ( نفع الطيب طبع اروبا جزء ٢ صحيفة ١٠٨ )

فن المؤرخين ابو مروان حيان بن خلف ( ولد سنة ٣١٧ وتوفى سنة ٤٦٩ ) وكتابه المسمى بالمتين أو المبين فى تاريخ الاندلس يقع فى ستين مجلداً ( منه نسخة بجامع الزيتونة بتونس ) وله كتاب المقتبس فى تاريخ الاندلس فى عشر مجلدات ( به نسخة بتونس واكسفورد ) وللقاضى ابى القاسم صاعد بن احمد الطليطلى كتاب التعريف أخبار علماء الامم من العرب والعجم . ومما ألف فى الجغرافيا كتاب معجم ما استعجم من البقاع والاماكن .

ومن أشهر المنجمين ابراهيم بن ارزاحيل الاسرائيلي من رجال القرن الخامس الهجرى ويؤثر عنه أنه باشر عدة مرات رصد التحقيق نطقى الراس والذنب من الارض . ومنهم جابر بن أفلح الاشيلي الذى اختصر كتاب المجسطى لبطليموس . ومنهم ابو الوليد محمد بن رشد القرطبي الفيلسوف ويقولون أنه أول من تلبه للسفع على وجه الشمس وكتب عنها . وكثير من هؤلاء كانت لهم قلم



وكان للطب أربع مدارس أهلة بالمدرسين والتلاميذ من جميع الملل والاجناس  
في قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية

هذا شيء يسير عن الحركة العلمية والأدبية في الأندلس. منها يمكن الوقوف  
على مقدار ما كان هناك من الميل الى العلوم والمعارف، وما وصلوا اليه في الحضارة  
والاطلاع. وكثير من هؤلاء العلماء كانوا من الادباء والفقهاء. وقد كانت لهم  
عناية خاصة بعلوم اللغة والدين، لان تربيتهم العقلية كانت مؤسسة على هذين الفرعين.  
لذلك كان لكثير من علماء العرب المتخصصين في العلوم الرياضية والطبيعية  
شهرة عظيمة في علوم اللغة والدين. فكان أبو عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بابن  
السمينة من أهل قرطبة بصيراً بالحساب والنجوم والنحو واللغة والعروض ومعاني  
الشعر والفقه والحديث والأخبار والجدل. وكان الحافظ أبو الوليد هشام من أعلم

---

راسخة في الهندسة والمساحة والجبر وسائر العلوم الرياضية.  
ومن اشتغل بالفلسفة أبو محمد علي بن حزم من رجال القرن الخامس الهجري. وله كتاب الفصل  
بين أهل الاهواء والنحل وكتاب أخلاق النفس وكتاب مراتب العلوم وغيرها. ومنهم ابن باجة  
السرقي المعروف بابن الصائغ من رجال القرن السادس ومن أكابر العلماء في الفلسفة والرياضة  
والطب والموسيقى. ومنهم ابن طفيل الذي كان معاصراً لابن الصائغ ويقولون أنه أول من قال بتدرج  
الحيوان الى انسان وهو صاحب الرسالة الشهيرة التي سماها حسي بن يقظان. ومن تلاميذه أبو  
الوليد بن رشيد المذكور أشهر علماء الأندلس وأكبر فلاسفتها الذي ألف في الطب ولخص بعض  
مؤلفات جالينوس في الامزجة والعلل والحيات

ومن أطباء الأندلس بنو زهر. وهم أبو العلاء بن زهر. وابنه أبو مروان عبد الملك وابنه  
أبو بكر. وعبد الملك هذا صاحب كتاب التيسير وكتاب الاغذية اللذين كانا لهما شهرة عظيمة  
في المشرق والمغرب. ومن المشتغلين بالعلوم ابن البيطار واحد اهل عصره في معرفة النبات  
سافر الى بلاد الاغريق وأقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بكثير ممن يمانون هذا الفن وطاب  
مناته وتحققها. ومنهم أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى المتوفى سنة ٥٠٠ من الهجرة كان  
أشهر أطباء زمانه وهو صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف. وهو أول من ألف  
في فن الولادة ورسم في كتابه آلات الجراحة. وعلماء اللغة والادب أكثر من أن يحصى عددهم  
راجع في الكلام على العلماء في الأندلس ما يأتي :

رسالة ابن حزم المذكورة ورسالة أبي الوليد الشقندي في ذكر علماء الأندلس ومؤلفاتهم في الجزء  
الثاني من كتاب نفح الطيب جزء ٢ صفحة ١٠٨-١٤٠ وطبقات الامم للقاضي أبي القاسم صاعد  
الأندلسي. والباب الثالث عشر من كتاب طبقات الاطباء والجزء الثاني من كتاب فياردو «تاريخ  
العرب والمغاربة في اسبانيا» والسنة الثانية من مجلة الضياء في مقالات «العلوم عند العرب»

الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعاني الشعر والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض . فكانت الفنون الشرعية وعلوم اللغة أساساً لتربيتهم العقلية، حتى لا تكاد نجد عالماً أو فيلسوفاً أو منجماً إلا وله علم بالشعر والعروض واللغة . لهذا ظهر شيء كثير من آثار تلك التربية العلمية والفلسفية في بلاغتهم من نظم ونثر

أما اللغة العربية وآدابها فقد ذاعت في كل أنحاء البلاد وعند الخاصة والعامة وملكتم منهم ملكة البيان : قال بعض المؤرخين

« هجر أهل اسبانيا اللاتينية واشتغلوا باللغة العربية وآدابها، وكانوا لا يكتبون غيرها ، حتى ان أحد العلماء المشهورين منهم شكوا من ذلك . وقال اننا نحب قراءة الشعر والقصص العربية ، وندرس المسائل الدينية والفلسفة الاسلامية باللغة العربية لنتعلم لغة رشيقة وعبارة بليغة . ولا يكاد يوجد عندنا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية . وكل شبانا الأذكىاء لا يعرفون غير لغة العرب وآدابها، لأنهم يقرأون الكتب العربية ويدرسونها بهمة عظيمة ، ويدعوهم كثرة اطلاعهم على تلك الكتب الى الاعجاب بآداب العرب . فاذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخرُوا منها ، وقالوا انها لا تستحق عناية قارئ أو مستفيد . من أجل ذلك نسي المسيحيون لغتهم ، فلا تكاد نجد في الألف منا واحداً يمكنه أن يكتب رسالة باللاتينية . أما اذا أرادوا أن يكتبوا بالعربية فان كثيراً منهم يكتب بعبارات بليغة ، وأسلوب منمق ، وقد يفوقون العرب أنفسهم في ذلك ، حتى في الشعر وكتابة القوافي . »<sup>1</sup>

كذلك دخلت الألفاظ العربية في اللغة الاسبانية وغيّرت شكل لغة البلاد وأكسبتها لهجة جديدة في زمن شارل الأصغر

« وفي أوائل القرن التاسع كانت اللغة العربية هي لغة الوثائق الرسمية . وفي هذا الوقت ترجم قسيس من أهل اشبيلية التوراة الى اللغة العربية لتلاميذه فوجد أحد العلماء هناك على أهل دينه ، وأتهمهم بالمساعدة على نشر اللغة العربية والعمل

1 Dozy Hist des Arabes en Espagne T. 2. P. 103



على ترك اللاتينية . وقد دامت هذه الحال زمنا طويلا في قرطبة و طليطلة ، حتى ان القسس لجعلهم باللاتينية اضطروا الى ترجمة كتب الكنيسة الى اللغة العربية . وبقى ذلك إلى أواخر القرن الحادي عشر ، أى بعد ان استولى ألفونس السادس على طليطلة سنة ١٠٨٥ م .

وليس لأحد أن يناقش كلام « كوند » القائل بأن من أدب أهل اسبانيا ما هو مأخوذ من أدب العرب ومتأثر به . ولا شك في أن الاسبانين مدينون للعرب بلغتهم وآدابهم ومعرفتهم الفلسفية الخ .<sup>١</sup> وأما اهتمامهم بالفنون كالأدب والفناء والموسيقى فقد كان أكثر انتشاراً ، لأنهم كانوا أحوج إليها في ساعات اللهو والطرب ، ورياضة النفوس ومجالس الخلفاء والامراء . وهى عليهم أسهل ، ولدى ذوقهم أعذب ، ولنفسهم أقرب



---

1 James Fitzmaurice Kelly. His de la littérature en Espagne P. 7 & 8.  
A Literary History of the Arabs by Nicholson P. 476.  
Engène Baret. His. de la litt. en Espagne. P. 16 & 17.





## الفنون في الأندلس

كانت همة العرب في ألبان نهضتهم متجهة الى العلوم ، منصرفة الى الدرس والتأليف والنقل . فظهر منهم طائفة عظيمة من الفلاسفة والاطباء وعلماء النبات والحيوان والكيمياء والطبيعة والفلك والرياضة كما أشرنا الى ذلك . وكان اهتمامهم بالفنون كالموسيقى والغناء والشعر وفن العمارة عظيماً أيضاً ، حتى فاقوا غيرهم في بعضها وأخذوا بعضها عن الامم الاخرى . ولهم في ذلك آثار جميلة بديعة ، وميولهم الى فن التصوير والنحت كانت من بواعث الامل على تقدمهم في ذلك لو أن دولتهم امتد زمنها . فقد كان لدولة بني الاحمر بقرطبة آثار بديعة في فن العمارة ، بل ظهر قبل ذلك ميول الخلفاء الأمويين لفن النحت والتصوير . فبنى عبدالرحمن الناصر لجاريته الزهراء مدينة سماها باسمها ، أتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها ، وجعلها مستنزهاً ومسكناً لها ولحاشيته وأرباب دوائه ، ونقش صورتها على الباب . وكانوا يجلبون الصور والتماثيل من البلاد الاخرى كالقسطنطينية وغيرها . وقد نصب الناصر على باب الزهراء ثمانية منها <sup>١</sup> وقلدوا بعض النقوش التي كانت في كنائس اسبانيا وصقلية . وروى بعض المؤرخين ان ثلاثة أعمدة في مسجد قرطبة كانت عليها نقوش وصور . فكان على أحدها صورة عصا موسى ، وعلى الثاني صورة أهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح <sup>٢</sup> أما تصوير الآنية والأثاث والأشكال الهندسية فقد برعوا فيها براعة عظيمة ، وصوروا الطيور وأشكال الرجال ،

---

١ نفع الطيب طبع اروبا جزء أول صحيفة ٣٤٦ راجع الكلام هنا على مدينة الزهراء

٢ نفع الطيب طبع اروبا جزء أول صحيفة ٣٤١

كما في الحوض الذي أتى به الناصر الى مدينة الزهراء . فقد كانت به نقوش وتماثيل على صورة الانسان نصب عليه اثنا عشر تمثالا<sup>١</sup>

ومن آثارهم في فن العمارة هناك ما لا يزال ناطقاً بما كان لهم من البراعة في بناء المدن والقصور والمساجد . ولهم من الاتقان في ذلك ما لم يكن لغيرهم في زمنهم . ومن أشهر آثارهم الفنية مسجد قرطبة الشهير الذي — فضلاً عما يدل عليه من البراعة في فن العمارة — يدل على ذوقهم الفني ، وعلى بلوغهم درجة عظيمة في الترف وبجاراتهم غيرهم فيما عرفوه من آثار الرومان في المدن العظيمة والقصور الشاهقة والكنايس المنمقة<sup>٢</sup>

وقد أخذ أهل أوروبا عن عرب الأندلس كثيراً من الفنون وغيرها فقد كانوا لا يعرفون شيئاً عن علوم اليونان ومدينتهم . ولا عن اللغة الاغريقية وما ألف فيها . فلما ترجم العرب كتبهم وشرحوها وأضافوا اليها ما أضافوه ، فتحوا على أهل أوروبا باب المدنية الحاضرة ، وأطلعوهم على تلك الآثار التي بنوا على أنقاض حضارتهم . فقرأوا الكتب اليونانية باللغة العربية . ومنذ ذلك عنوا بدراستها وبمعرفة اللغة اليونانية . بل ترجم أهل أوروبا الكتب العلمية اليونانية من العربية

١ تفح الطيب طبع أوروبا جزء ١ صحيفة ٢٤٦ . راجع مجموعة الصور المأخوذة من صقلية ، وطبعت في روما ومنها نسخة بمكتبة سراي عابدين . وراجع الكلام على فن العمارة في تفح الطيب جزء ١ صحيفة ٣٠٣ والجزء الثاني من كتاب فياردو  
٢ أما مسجد قرطبة فقد أسسه عبد الرحمن الداخل وأتمه ابنه هشام . فكان أنشاؤه في أول أيام الدولة الاموية ، مما يدل على تيقظ العرب ونشاطهم منذ دخولهم تلك البلاد . وقد كان في هذا المسجد الف ومائتا عمود كلها من الرخام ، وكان باب المسجد من الذهب وفيه المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب المطعم . وكان باب المقصورة من الفضة . وكان بالمقصورة تفاحات من الفضة والذهب ، يحيط كل تفاحة ثلاثة اشبار ونصف ، واثان من هذه التفاحات من الذهب الابريز ، وتحت كل تفاحة وفوقها سوسنة فد هندست بأبداع صنعة ورمانة ذهب . قال المقرئ انها احدى غرائب الارض . وكان بالجامع المذكور في بيت منبر مصحف عثمان الذي خطه بيده (هكذا يقولون) وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت ، وعليه اغشية من الديباج وهو على كرسى من العود الطيب بمسامير الذهب . وارتفاع المنارة الى مكان الاذان ٤٥ ذراعاً ، ودور الثريا الكبرى تحتوى على الف كأس واربعة وثمانين ، كلها موشاة بالذهب . وفي عضادتي المحراب أربعة اعمدة ، اثان اخضران واثان لآزورديان وبه منبر خشبه العاج والابنوس والعود . وصرف عليه عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالاً ويقولون أنه كان بالجامع حاصل كبير ملاك من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده : راجع الكلام على مسجد قرطبة في تفح الطيب جزء ١ صفحة ٣٥٨ — ٣٦٩



الى اللاتينية . ومن أول الكتب التي ترجمت في ذلك كتاب اقليدس في الهندسة سنة ١١٣٦ م

ولم يأخذ أهل أوروبا عن عرب الأندلس العلوم وحدها ، بل أخذوا عنهم أيضاً بعض الفنون التي اشتغلوا بها كفن العمارة والموسيقى والشعر .<sup>١</sup> أما فن الموسيقى فقد توسع فيه أهل أوروبا بما تركه العرب لهم . قال بعض المؤرخين « ان للعرب اليد الطولى فيما تركوه من فنون الموسيقى التي ساعدت أهل أوروبا على الوصول الى الدرجة التي عليها الآن هذا الفن الجميل . فان مكتبة طليطلة بها آثار عظيمة تدل على ما كان للعرب من التقدم في ذلك . وأن هناك جزءاً من المخطوطات في الموسيقى عليه بعض ملاحظات بخط ألفونس العاشر ، الذي كانت كل معلوماته وتربيته العقلية مكتسبة من قراءة الكتب العربية . وأن الموسيقى قبل ذلك العصر كانت مقصورة على الكنائس . فساعد العرب على نشر هذا الفن بواسطة الفرنساويين أنفسهم ، الذين كانوا يقيمون في اسبانيا مع العرب ، أو يتعلمون في مدارسهم . وكان الشعر الفرنسي العامي من نوع الشعر العامي الاسباني المأخوذ عن الشعر العربي ، لا عن الشعر اليوناني أو الروماني . لأن سكان تلك البلاد لم يكونوا يعرفون بعد شعراء اليونان أو الرومان ، حتى ينسجوا على منوالهم ، اذ لم يطلعوا على شيء من ذلك قبل القرن الرابع عشر . لذلك كان الشعر عندهم يشبه الشعر العربي من حيث انه قطع صغيرة ، وأبيات قليلة في المدح أو الذم أو الوصف . وذلك أظهر ما يكون في فرنسا عند شعراء القرن الرابع عشر ، و بعض القرن الخامس عشر . حتى ان أسماء هذه المقطوعات أو الأصوات كانت تشبه أسماء الشعر العربي . قال : ولقد أجدنا صناعة الشعر والقوافي عن العرب ، فان الاسبانيين أول من أخذ القافية عن الشعر العربي

(١) أخذ العرب كثيراً من فنون العمارة عن دولة الروم الشرقية . كما نقلها الجرمانيون الى بلادهم . فكانت العمارة عند الجرمانيين تشبه ما عند عرب اسبانيا . حتى أن مسجد قرطبة يشبه الكنيسة الجرمانية الكبرى . لأن أصلهما مأخوذان عن الشكل البوزانتي . وكانت آثار البناء في أوروبا الجنوبية مأخوذة من نماذج عربية حتى قالوا أنه يوجد شيء من ذلك في كنيسة باريس الكبرى : فياردوا جزء ٢ ص ١٨٠

ثم وصلت هذه الصناعة الى مرسيليا وطولون بواسطة التجار الذين كانوا يجيئون من أسبانيا. <sup>١</sup>

واقتبس الأوروبيون كثيراً من أعمال العرب في الحروب والصناعة وغيرها مما يطول شرحه. وإنما أردنا أن نثبت ذلك القدر القليل تنويعاً بفضل العرب وأثرهم في المدينة الحاضرة

وقد بلغ عرب اسبانيا الى درجة عظيمة من الترف وأبهة الملك. ولعل ذلك ما يسمونه الآن «رد فعل». فقد كانوا في خشونة من العيش ، بعيدين عن كل رفاهية ، فلما فتح أمامهم باب السعادة على مصراعيه ، ورأوا مدينة الأمم الأخرى وملكوا العالم ، أرادوا أن يتناسوا تلك الخشونة البدوية ، فتشبهوا بالدول العظمى . وكان العربي بطبيعته يتأثر بالمظاهر والمشاهد الجميلة . لأنها هي التي كانت فكره وإدراكه وتصوره ، وأوحت اليه هذه المعاني الشعرية . وقد رأى ذلك كله في البلاد التي فتحها ، فأراد أن يكون من أصحاب المظلة والابهة والترف. فاهتم ببناء القصور الضخمة ، والأبنية المشمخة ، وحيارة الأشياء النفيسة ، ولبس الحلل الفخمة المزركشة ، وامتلاك الأواني الذهبية والأثاث المرصع بالأحجار الكريمة ، وغلبت عليه طبيعة السخاء ، فكان يجود بالهدايا الثمينة ، ويستهن بالأموال <sup>٢</sup> فقد اتخذ عبد الرحمن الثاني القصور والمنتزهات ، وجلب إليها الماء من الجبال وأقام الجسور ، وبنيت في أيامه المساجد الكثيرة والمدارس . على

#### ١ الجزء الثاني من كتاب فياردو

٢ فقد رووا عن عبد الرحمن الثاني أنه كان له جارية اسمها طروب أغضها مرة فهجرتها ونزلت مقصورتها. فاشتد قلقه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها. وأراد أن يسترضيها فأعياء ذلك فارسل مع خاصة خصيائه من يكرها على الوصول اليه. فأغلقت بابها في وجوههم وآلت أن لا تخرج اليهم طائفة ولو انتهى الأمر الى القتل . فأنصرفوا وأعلموا الأمير بذلك واستأذنوه في كسر الباب عليها. فتهامهم وأمرهم بسد الباب من خارج ببدر الدراهم. ففعلوا وبنوه عليها بالبدر وأقبل حتى وقف بالباب وكلمها على أن لها جميع ما سد به الباب. فأجابت وفتحت البوابه فأنهالت البدر في بيتها وأكبت على رجليه تقبلها وحازت المال ( نفع الطيب طبع لروبا جزء ٩ صحيفة ٢٥٥ )



ما كان عليه من الكلف باللهو والميل الى الجوارى .<sup>١</sup> وكان ملك عبد الرحمن الناصر بالأندلس فى غاية الفخامة والضحامة ، كما يعلم من مقابلة رسل الملوك له ، فقد أمر أن يتلقوا أعظم تلق وأنغمه .<sup>٢</sup> وامتدت الثروة والأبهة الى الحجاب والوزراء . فقد أهدى أحمد بن عبد الملك بن شهيد الذى استوزره الناصر هدية لسيدة ، قال فيها ابن خلدون : انها تدل على ضخامة الدولة الأموية واتساع أحوالها . وقالوا انها عبارة عن خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين ، وأربعمائة رطل من التبر ، وخمس وأربعين ألف دينار من سبائك الفضة ، واثنى عشر رطلا من العود الهندى ، ومائة وثمانين رطلا من العود المتخير ، وثلاثين شقة من الحرير المرقوم بالذهب للباس الخلفاء المختلفة الألوان والصناعات ، وعشرة أفرية ، من غالى جلود الحيوان الخرسانية ، وغير ذلك

وكثرت القصور والمساجد وغيرها من الأبنية العامة الى درجة عظيمة فقد كان عدد الدور فى قصر قرطبة أربعمائة دار ونيفا وثلاثين . وكان عدة دور الرعايا مائة ألف وثلثة آلاف دار ، وبلغت ديار أهل الدولة ثلثمائة وستة آلاف ، وبلغ عدد المساجد بها سبعة وثلاثين وثمانمائة وثلثة آلاف وعدد الحمامات سبعمائة<sup>٣</sup>

---

١ أعطى جاريته حلياً قيمته مائة ألف دينار ف قيل له ان مثل هذا لا ينبغي أن يخرج من خزانة الملك فقال ان لابسه أنفـس منه .

٢ رتب الناصر لحجابه رجالا من الموالى ووحوه الحشم وصاروا الى قصر منية الحكم ولى العهد وكانوا ستة عشر رجلا لاربع دول لكل دولة أربعة رجال ، ورحل الناصر من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لوفود الروم عليه فقعده فى بهو المجلس الزاهر ، وحضر الوزراء على اختلاف مراتبهم ، ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أناء الوزراء والموالى والامراء . وقد بسط صحن الدار بتناق البسط وظللت أبواب الدار وحنايها بظلال الديباج ، ورفيع السطور ، حتى ان رسل ملك الروم عند ما وصلوا ورأوا ذلك دهشوا من بهجة الملك وفخامة السلطان وقدموا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية وفيه وصف هدية عظيمة ارسلت الى الناصر

٣ نفح الطيب طبع أوروبا جزء ١ ص ٣٥٥





## الغناء ومجالس الأدب

أما مجالس الغناء واللهو فقد غصَّت بها المحافل، وشغلت أكثر أوقات الشعراء، وفتقت ألسنتهم بقول الشعر الجميل، وفتحت عليهم أبواباً من الخيال. وزاد في الاقبال عليهم ميل الخلفاء والامراء وأهل الظرف والادب والنساء الشواعر<sup>١</sup> جاءت صناعة الغناء الى الاندلس من المشرق، لانها كانت وهى فى أوج عزها عند العباسيين من الفنون الناضجة، ومن اكبر وسائل السرور والتسلى. واستاذ المغنيين فى الاندلس زرياب (أبو الحسن على بن نافع مولى المهدي العباسي)، قدم الى الاندلس بأمر الحكم بن هشام المتوفى سنة ٢٠٦هـ. ولما أخبر بوفاة الحكم قبل وصوله الى الاندلس هم بالرجوع، فجاءه كتاب من عبد الرحمن بن الحكم يذكر تطلعه اليه وسروره بقدومه عليه. وكتب الى عماله على البلاد أن يحسنوا اليه ويرافقوه الى قرطبة. وأمر خصياً من اكبر الخصيان أن يتلقاه، فدخل هو وأهله البلد ليلاً، وأنزله فى دار من أحسن الدور، وحمل اليها جميع ما تحتاج اليه، وكتب له فى كل شهر بمائة دينار راتباً، وأن يجرى على بنيه الذين حضروا معه عشرون ديناراً كل شهر لكل واحد منهم، وأن يجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار، وأن يقطع له من الطعام العام مائة مئدى. وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار. ولما استدعاه الى مجالسه وسماع غنائه ترك كل غناء سواه، وأحبه حباً جماً، وقدمه على جميع المغنيين وشرفه بالأكبر كل معه، لما علمه من فضله وأدبه. وكان زرياب مغرمًا بفنه، حتى انه كان يدعى أن الجن كانت تعلمه.

١ فقد كان عبد الرحمن الثانى مولماً بالسمع مؤثراً له على جميع لذاته. نفخ الطيب طبع  
اروبا جزء ١ صحيفة ٢٥٥

فكان يهب من نومه فيدعوا بجاريته غزالات وهنيده فيأخذان عودهما ، ويأخذ هو عوده فيطارحهما ليلته ، ويكتب الشعر ، ثم يعود عاجلاً الى مضجعه . وزاد زرياب في أوتار العود وتراً خامساً اختراعاً منه ، وزيادة على الصنعة القديمة . وكان يحفظ عشرة آلاف صوت من الاغاني بألحانها . قالوا وهذا العدد من الألحان هو غاية ما ذكره بطليموس واضع هذا الفن . واختص بنوع من الصناعة في تعليم الغناء وضرب العود ، صارت منهجاً لمن جاء بعده ، وكان عالماً بكثير من العلوم والفنون ، أدبياً ظريفاً ، حسن الحديث والمسامرة .<sup>١</sup> وكانت له جارية اسمها متعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه . وعرفت حمدونة ابنته باتقانها هذه الصناعة . وأخذ عن زرياب الغناء كثير من الرجال والنساء .

وكانت مجالس اللهو والطرب خاصة بغناء الأشعار والرقص والزاقصات ، وفي جميع البلدان أصناف من الملاحى والرواقص المشهورات بحسن الانطباع واللعب بالسيوف وغيرها ، كما كان من بين المغنين كثير من كبار القوم ، مثل عبد الوهاب بن حسين الحاحب ، «الذى كان وحيد دهره في الغناء الرائق» ، والأدب الرائع ، والشعر الرقيق ، واللفظ الأنيق ، ورقة الطبع ، واصابة النادرة والتشبيه المصيب . وكان قد قطع عمره وأفنى دهره في اللهو والطرب ، وهو أعلم الناس بضرب العود . هذا كله يدل على حسن الذوق ، ورقة الطبع ، اذ كلما أمعن الانسان في فنون الجمال دل على رقة ذوقه . ولو أن العرب عرفوا شيئاً من بلاغة اليونان والرومان لجاروهم في فنون التمثيل واختراع القصص ولكنهم قنعوا من ذلك بما كان لهم في مجالس الأدب والغناء واللهو والشرب التي تفتن الكتاب والشعراء في وصفها<sup>٢</sup> واشتملت

١ راجع أخبار زرياب في الباب السادس من نفع الطيب والجزء الثاني من تاريخ دوزى

صفحة ٨٩

٢ كتب بعضهم يستدعى عود غناء فقال :

انتظم من اخوانك أعزك الله عقد شرب يتسابقون في ودك ، ويماطون ريحانة شكرك وحدهك ، وما منهم الا شره المسامح الى رنة حماسة نادى لا حماسة بطن واد . والطول لك في صلتنا بجماد تناطق قد استعار من بنان لسانا ، وصار لضمير صاحبه ترجانا . وهو على الاساءة والاحسان لا ينفك من ايقاع به ، في غير ايقاع به ، فان هفا عركت اذنه وادب . وان تأنى واستوى بمع بطنه وضرب . لا زلت منتظم الجذل ملتئم الامل .



أغاني الأندلسيين على كثير من أغراض الشعراء ، فكانت تشمل مدح الأمراء ، ووصف القصور والحدائق ، والخيول والفرسان ، ومجالس الشرب في الولائم . وغير ذلك من الموضوعات الكثيرة المختلفة ، التي نشأت من أحوال الاجتماع هناك وأوحت بها إلى نبوس الشعراء تلك الحياة الاجتماعية ، وطبيعة البلاد وما بها من رغد في العيش ، وساعد هذا كله على نمو الشعر العربي .

وقد كانت أغاني العشاق تدل على أثر المرأة في النفوس والاجتماع . لأنها كانت ذات مكان عظيم ومنزلة رفيعة وأثر ظاهر في الحركة العقلية ، بل كانت تسابق الرجال فتسبقهم أحياناً ، واشتهر عدد عظيم من النساء في الشعر والأدب كما هو معروف . ولم تكن صلة المرأة بالرجل صلة قلبية أو نفسية لا غير ، بل كانت صلة احترام واحلال ، لظهورها في ميدان الجد والعمل ، واشتراكها مع الرجل في أحوال الاجتماع ، ولأثرها في مجالس الأدب وفنونه . وكان ذلك في أكثر طبقات النساء . فقد كان لعبد الرحمن الناصر جارية حسنة الخط ، راوية للشعر ، حافظة للأخبار ، عالمة بضروب الأدب . وكانت العبادية جارية المعتمد أدبية ظريفة ، كاتبة شاعرة ، ذاكرة لكثير من اللغة ، معدودة من علماء اشبيلية . فكانت المرأة هناك أرقى وأجل منها في أوروبا ، وحبها ممزوجاً بشيء من الوجد والاحلال معاً . وازدادت مجالس الغناء بالغانيات المطربات من الجوازي وغيرهن ، وكان فيهن من هو أوفر من الرجال في هذه الصنعة ، وأكثرهن وافر من المشرق . كالمغنية فضل التي اشترت من المدينة للأمير عبد الرحمن الأول . فقد نشأت في بغداد وتعلمت الغناء وبرعت فيه ، واشتهرت في هذا الفن شهرة عظيمة . وكان يؤثرها عبد الرحمن على غيرها لجودة غنائها . وكانت قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ اللحن . قالوا وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدباً وطقراً ورواية وحفظاً ، مع فهم بارع وجمال رائع . كذلك كانت حالة الغناء من حيث الاهتمام به والاقبال عليه من أعظم مظاهر العقول والأدب

وكانت مجالس الأدب في الأندلس من أكبر مسارح الافكار ، وأنعم مظاهر الجمال ، وأجمع أنواع الأدب واللغو والجد والهزل ، ومظهر الحياة العقلية

والاجتماعية . والشعراء فرسان هذا الميدان . والكلام وحده آلة التعبير عن ذلك بأساليبه المختلفة البليغة . وكان الشعر نشوة الشارب ، وغناء الراقص ، ومؤدب النفوس وزاجرها ، وسلوة الفقير والغنى ، ومعزة الشريف والسوق ، وكانوا جميعاً على فهمه أقدر ، وعلى الاقبال عليه أسبق ، وكل اذن واعية عند سماعه خاشعة لروعة بلاغته ، لانه كل مظاهر الحسن والجمال في مجالس الخلفاء والامراء . كذلك كانت روعة تلك المجالس في الشعر وبلاغة الكلام . وكان من أهل الأدب هناك الوزراء والكتاب ، والعمال وجباة الاموال والمستعملون في أمور الدولة ، والخلفاء أنفسهم ، وكثير من أولادهم ونسائهم ومن يحضر بمجالسهم . فبرع أهل الاندلس في فنون الادب والشعر براعة شهد لهم بها جلة الناس<sup>١</sup> وكانت مجالسهم لذيذة ومحاضرم فكهة . والشعراء كثيراً ما تحملهم هذه المجتمعات وما فيها على الارتجال والابتكار .

« حضر أبو عامر بن شهيد ليلة عند المظفر بن المنصور بن أبي عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ، ولم تزل تسهر على خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام ، وأخذ في تقويض خيام الظلام ، وكانت تسمى أسياء ، فعجب الحاضرون من مكابذتها السهر طول ليلتها على صغر سنها . فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالاً .

أفدى أسياء من نديم ملازم للكؤوس رائب  
قد عجبوا في السهاد منها وهي لعمري من المعائب  
قالوا تجافي الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

ومن البداهة في المجالس أيضاً ورسوخ ملكة الابداع في النفوس ، ما قيل عن ابن شهيد هذا ، وذكره ابن بسام . « أن جماعة من أصحاب ابن شهيد قلوا

١ من ذلك ما قيل « الاندلس عراق المغرب عزة أنساب ورقة آداب . واشتغالا بفنون العلم واتقاناً في المنثور والمنظوم ، لم تضق لهم في ذلك ساحة ولا قصرت عنه راحة ، فامر فيها بمصر ألا وفيه نجوم وبدور وشموس ، وهم أشعر الناس فيما كثرة الله في بلادهم ، وجعله نصب أعينهم من الاشجار والاهوار والاطيار والكؤوس ، لا ينافون في هذا الشأن منازع... »



له يا أبا عامر ، انك لآت بالعجائب وجانب بدوائب الغرائب ، ولكنك شديد  
 الاعجاب بما يأتي منك ، هاز لعطفك عند النادر ، تباح لك ، ونحن نريد منك أن  
 تصف لنا مجلسنا هذا . وكان الذي طلبوه منه زبدة التعنيت ، لان المعنى اذا  
 كان صلفاً ثقيلاً على النفس ، قبيح الصورة عند الخس ، كلت الفكرة عنه وان  
 كانت ماضية ، وأساءت القريحة في وصفه وان كانت محسنة . وكان ما في المجلس  
 باب مخلوع معترض على الارض ، ولبد أحمر مبسوط قد رصت خفافهم عند  
 حاشيته . فقال مسرعاً

وفتية كالنجوم حسناً	كلهم شاعرٌ نبيلٌ
منقذُ الجانبين ماضٍ	كأنه الصارمُ الصقيلُ
راموا النصرافي عن المعالي	والغرب من دونها كليلُ
فاشتد في أثرها قسيحٌ	كلٌ كثير له قليلُ
في مجلس زانه التصابي	وطاردت وصفه العقولُ
كأنما بابه أسيرٌ	قد عرضت دونه نُصولُ
يُرادُ منه المقالُ قسراً	وهو على ذاك لا يقولُ
ننظر من لبدة لدينا	بحر ديم تحتنا يسيلُ
كأن أخفافنا عليه	مراكبٌ مالها دليلُ
ضلت فلم تدر أين تجرى	فهي على شطه تقيـلُ

فمعجب القوم من أمره

« ودخل الوزير أبو العلاء زُهر بن الوزير بن مروان على الامير عبد  
 الملك بن زرین في مجلس انس ، وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ومن  
 لحظه ، ويبدى دُرین من حبابه ولفظه ، وقد بدا خط عذاره في صفحة خده ،  
 وكل حسنه باجتماع الضدمنه مع ضده ، فكأنه بسحر لحظه أبدى ليلاً في شمس ،  
 وجعل يومه في الحسن أحسن من أمس ، فسأله ابن رزین أن يصنع فيه فقال بديها  
 تضاعف وجدى اذ تبدى عذاره وتم نغان القلب منى اصطباره

وقد كان ظني أن سيمحق ليله      بدائع حسن هام فيها نهاره  
فأظهر ضده ضده اذ وشت له      بعنبره في صفحة الخلد ناره  
واستزاده فقال بديها

مُحِيت آية النهار فأضحى      بدرتم وكان شمس نهار  
كان يعيش العيون نوراً إلى أن      شغل الله خدّه بالعدار  
وكانت مجالس الأدب من بواعث قول الشعر، ومجارات بعض الأدباء بعضاً في  
ذلك . قالوا: « ان ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد  
الغوى البغدادي ، فأنشده وهو بالموضع المعروف بالعامة  
فالعامة تزهي على جميع المباني  
وأنت فيها كسيف قد حلّ في عُمدان  
فقام صاعد وكان مناقضاً له . فقال أسعد الله الحاجب الأجل ، ومكن سلطانه .  
هذا الشعر الذي قاله قد أعدّه ، وأنا أقول أحسن منه ارتجالاً . فقال له المنصور قل  
ليظهر صدق دعواك . فجعل يقول من غير فكرة طويلة .

يا أيها الحاجب المشلي على كيوان  
ومن به قد تناهي      نفار كل يميني  
العامة أضحت      كجنة الرضوان  
فريدة لفريد      ما بين أهل الزمان

الى ان قال :

أنظر الى النهر فيها      ينساب كالثعبان  
والطير يخطب شكراً      على ذرى الأغصان  
والقضب تلتف سُكراً      بميس القُضبان  
والروض يفتّر زهواً      عن ميسم الأقحوان



والنرجسُ الغضُّ يَرنو . بوجنةِ النُّعْمانِ  
وراحةُ الريحِ تَمْتَنَّا رُ نَفحةَ الرِّيحانِ  
فدم مدَى الدهرِ فيها في غِبْطَةٍ وأمانِ

هذا أدل في جلته على مكانة الشعر في النفوس ، وأنه شيء من روائع القول وجمال الكون . وهذا من مميزات الشعر العربي ، وهي جمال الشعر الوجداني . لأنه ينقلنا من عالم الحقائق المؤلمة الى عالم الأحلام والخيال ، حيث يتذوق الانسان السعادة ، وينسى آلام الحياة وكوارثها . وذلك هو الغرض من فنون الجمال . لانا اذا كنا في حاجة دائمة الى الاتصال بالحقائق وأدراكها لفهم الأشياء ، فاننا كثيراً ما نكون أحوج الى الابتعاد من ذلك

« حضر أبو المُطَرِّف بن عبد العزيز مع ابن عمار الوزير عند المؤمنين في يوم جادت فيه السماء بهطلها ، وأُتْبِعَتْ وَبَلَّهَا بِطَلْمًا ، وأعقب رعداً برقها ، وانسكب دراكاً وذُقْها . والازهار قد تجلَّتْ من كِثَامِها ، وتخلت بدرغمامها ، والأشجار قد جَلَى صداها ، وتوشحت بنداها ، وأكْثُوس الراح كأنها كواكب تتوقد ، تديرها أنامل تكاد من اللطافة تُعَقِّد . اذا بقي من فتيان المؤمنين أخرس لا يُفْصَح ، مستعجم لا يبين ولا يوضح ، متنمر تنمر الليث ، مشمر كالبطل الباسل عند الغيث ، وقد أفاض على نفسه درعا ، تضيق بها الأسننة ذرعا ، وهو يريد استشارة المؤمنين في الخروج الى موضع بعثه ووجهه اليه فكل من صده عنه نهره ، حتى وقف الى مكان انفراده ، ووقف بازاء سواده . فلما وقعت عين ابن عمار عليه ، أشار بيده اليه ، وقربه واستدناه ، وضمه اليه كأنه تبناه ، وجدَّ أن يخلع عنه ذلك الغدير ، وأن يكون هو الساقى والمدير ، فأمره المؤمنين بخلعه ، وطاعة أمره وسمعه ، فنضاه عن جسمه . وقام يسقى على حكمه ورسمه ، فلما دبَّت فيه الحياء ، وسبت غرامه بهجة ذلك الحياء ، واستنزله سورة العقار ، من مرقب الوقار قال

وهويته يسقى المدام كأنه  
متأرجح الحركات تتدلى ريجته  
يسعى بكأس في أنامل سوسن  
يا حامل السيف الطويل نجاده  
اياك بادوة الوغى من فارس  
جهم وإن حسر القناع فأنما  
يطغى ويلعب في دلال عذاره  
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة  
هنا شيء يسير من مجالس الأدب وأحوال الاجتماع في الأندلس

قمر يدور بكوكب في مجلس  
كالغصن هزته الصبا بتنفس  
ويدير أخرى في محاجر نرجس  
ومصرف الفرس القصير المحبس  
خشن القناع على عثار أملس  
كشف الظلام عن النهار المشمش  
كالمريد راج في اللجام المجرس  
حوراء قائمة بسكر المجلس  
هذا شيء يسير من مجالس الأدب وأحوال الاجتماع في الأندلس

## النثر في الأندلس

كان الشعر في أكثر عصور اللغة العربية أشهر من النثر ، ولذلك كان الشعراء أشهر من الكتاب ، لأن البلاغة في الشعر أظهر ، والأخيلة فيه أبين ، وقرأء العربية كانوا الى التأثير بهذه الأساليب والصناعة أقرب . وكانوا يفهمون من الأساليب مالا يفهمون من الموضوعات ومعانيها وأغراضها .

ومع أن النثر في المشرق كان أقل من الشعر انتشاراً ، وكان في المرتبة الثانية من حيث أنه صورة من صور البلاغة العربية ، أو من حيث الاعتماد عليه في الاستدلال على أساليب العرب وصحة لغتهم ، فقد تنوعت مناحيه ، وظهرت له مذاهب وطرق ، كمذهب ابن المقفع وطريقته ، ومذهب الجاحظ وأسلوبه ، وطريقة ابن العميد والحري ، وغيرهم كما هو معروف .

أما في الأندلس فقد وسع كل أساليب العرب في المشرق ، من كلام مرسل سهل ، وعبارات يتخللها سجع غير متكلف ، أو كلام مسجوع متعمّل . وكانت هذه الأساليب كلها ظاهرة في جميع المصور ، وعلى السنة الكتاب وأقلامهم ، حاشا العصر الأول الى أواسط دولة بني أمية ، حيث كانت الكتابة سهلة قليلة السجع ، كما في خطبة طارق وكتب الامراء من بني أمية .

وقد ألف عرب الأندلس في العلوم والفنون ، فكان اشتغالهم بالتأليف والكتابة والعلم من الأسباب التي جعلتهم يطرقون هذه الموضوعات في كتاباتهم ، فلم تقتصر الكتابة النثرية على الدواوين والرسائل ، قصيرة كانت أو طويلة . مسجعة أو مرسلة ، في العشق والغرام ، أو في الدم واللوم ، أو في المدح



والاستعطاف، وغير ذلك، مما يظهر لأول وهلة أنه ليس من الموضوعات الممتعة، والمعاني العامة الاجتماعية، بل شمل كل شيء في الاجتماع هناك، وكان مظهرًا لتلك المدنية، والحالة العقلية والسياسية والعلمية. وكان أثره في الأدب والبلاغة كأثر الشعر، لاشتغاله على كثير من أغراض الكتاب. كوصف المباني الفخمة من كنائس ومساجد، وقصور وآثار، وما فيها من صور وتمائيل. وكوصف الأشياء الجميلة التي غنموها أو عملوها بأيديهم. ووصف محافل الأمراء والخلفاء وأبهة الملك، والمجادلات والمخاصمات، ومجالس العلم والأدب. وطرق الموضوعات العامة الاجتماعية والفلسفية. بشكل قصصي. كما في رسالة «حي بن يقظان» لابن طفيل. وكتابة الحقائق في أسلوب قصصي تخيالي، كما في رسالة الوزير أبي عامر أحمد بن أبي مروان ابن شهيد التي هي من نوع رسالة الغفران، وكالرسائل الطويلة المملوءة بالمعلومات التاريخية، كرسالة أبي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل أهل الأندلس من علماء وأدباء وحكماء ومؤرخين، وسرد فيها آثرهم ومؤلفاتهم. ثم تلك الرسائل الفريدة في بابها التي هي من نوع رسائل ابن زيدون. ثم كتابة الفتح بن خاقان ولسان الدين بن الخطيب وما يشبهها مما لم يكن مثله كثيرًا في بلاد المشرق، بل بعض هذه الأنواع لم تكن معروفة

وكانوا يصفون في كتاباتهم نفوس الكبراء والأمراء والقواد، كما كتبوا في المناظرات الخيالية، كالمناظرة بين السيف والقلم لابن برد الأصغر. وكالمناظرة بين بلدان الأندلس لابي بحر صفوان بن ادريس<sup>١</sup>. وكما كتبوا في الدعوات والأرشاد والتوسل إلى الرسول وفي شعائر الحج<sup>٢</sup>. وكانت لهم أساليب في الزهد والأسرار الربانية عرف الكتاب كيف يتصيدون فيها ألفاظ الزهد والتصوف<sup>٣</sup>.

١ التي كتبها للأمير عبد الرحمن بن السلطان يوسف بن عبد المؤمن. وهي من الرسائل الطويلة المملوءة راجع نفع الطيب طبع أوروبا جزء ١ صحيفة ١٠٥

٢ من ذلك ما كتبه الوزير الفقيه أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجدد عن لسان من رجع من الحج. وهي من نوع الدعاء أو التوسل بالرسول راجع الذخيرة جزء ٢

٣ من تلك المعرفة في المسكوت، ونجوم الحكمة في الجبروت، وحياة القدس. ولباس التقوى والصراط المستقيم، وراشتك الطبيعة بريش النهي حتى تصير مع الروحانيين في مجال الصديقين ومنازل المقرين الخ وغير ذلك من ألفاظ الغيبيات وأساليب ما وراء المادة. راجع رسالة الفقيه ابن عمر أحمد بن عيسى الألبيري في الذخيرة من الجزء الأول

وفي جوار ذلك تجدهم برعوا في أساليب اللهو والمجون .<sup>١</sup> ولهم عبارات تحسب من الخيالات الجميلة والسجع المتكلف السائغ للنفس تذوقه<sup>٢</sup> .

وبرعوا في فن المقامات . ولأبي حفص عمر بن الشهيد فصول جيدة في ذلك ، تشبه ما عند الفرنجة الآن ، أو يشبهها ما هو عندهم . وفيها أوصاف خيالية تدل على براعة في انتقاء الألفاظ والمعاني ، وأمعان في الصناعة وضروب الخيال<sup>٣</sup> . وتجيد

١ كما بحث بعض الكتاب بآترجة وكتب معها كتابا يقول فيه : قد بحثت اليك من بنات الثمار اجلها ، ومن نتائج البستان أفضلها . فشربت على ورد هارطين ، وتناولتها بالراحتين ، فبحرمة الكأس التي رضعنا ، الا ما رفعت قدرها ، وجعلت القبول مهرها ، وجعلتها على مجلس المدام ، وحجبتها عن عيون اللثام ، فخصاها بعجبة ، وصفاتها غريبة ، ان خزنتها عطرت أثوابك ، وان أمسكتها أذهبت أوصابك ، وان أعملت فيها غرب السكين ، قرنت لك بين النرجس والياسمين وارثك الكشب على وجه الحبيب . يالها من آترجة غضة ، قد صورت من ذهب وفضة ، سرق من العاشق سيماء ، ومن المعشوق طعم ثناياه .. الذخيرة جزء أول

٢ مثل قولهم خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من أشيلية الى منطرة لبني عباد بموضع يقال له الفت . تحف به مروج مشرقة الانوار . متنسمة الانجاد والاغوار . متبسة عن ثغور النوار ، في زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسمها ووليها . وجللتها من زاهر ملبسها وباهر حليها . واردا ف الربى قد تأزرت بالازار الخضراء من نباتها . وأحياد الجداول قد نظم النوارقلائد حول لباتها . ومجامر الزهر تمطر أردية النسائم عند هباتها . وهناك من البهار ما يزهى على مداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الاجفان . وقد نوا الانفراد للهو والطرب والتزهر في روضي النبات والادب . وبعثوا صاحباهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم الخ...  
نفع الطيب ج ٢ ص ١٦٣

٣ كقول أبي حفص بن الشهيد ... وقد صحبتكم مدة . وسبحت الله على رؤوسكم مرارا عدة أوقفكم بالاسحار . وأوذن بالليل والنهار . وقد أحسنت لدجاجكم سفادا . وريت لكم من الفراريج أعدادا فالان حين بلى في خدمتكم تاجي . انمى الى دجاجي . وتنحى الشفرة على أوداجي . وحين أدركني الشيخ يمزق لحمي ويطحخ ، بالسكرام من ذل هذا المقام ، وجعلت دموعي تسفح من دمه . والحزن يطبق على فمه . ثم غشى عليه ، فاجتمعت الناس اليه ، يضربون وجهه بالماء . ويخلصون له في الدعاء ، ثم أفاق من غشيتة وأنشد :

علام يقتل شيخ	من كل ذنب يرى
محقق متحسد	موحد سني
هل نص هذا كتاب	أو قال هذا نبي
لا ذنب لي غير أني	مؤذن بدوي



لهم كلاما مسجما هو من السهل الممتنع، مع رقة في اللفظ، وجزالة في المعنى، وطول لا يمل، وصراحة في القول، وحرية في الفكر<sup>١</sup>.

وأحيانا تجدهم وصلوا الى درجة في النثر لا تفرق بينها وبين الشعر ألا في

---

فرقت له نفس القوم. وأقبلوا على صاحب المنزل باللوم. فقال ويحكم. ان هذا الديك ذو فخذ وصدره قد أصابني عليه ضجرة. ولى في ذبحه سر، ولا بد أن تزين به قدر، وتضرم تحته النيران، ويشبع من لحمه الضيفان. اما ترونه قرّة العين والقلوب. سيكة لجين وتمثل.

ومن شيمتي مهما تزين منزلي لضيفي ان أقره أحسن ما عندي  
لو ان دمي خرا لارويته به ولو صلحت كبدي شويت له كبدي  
بذلك أوصاني ابي مذ عقلته وقد كان أوصاء بدا قبله جدى

فقال الديك: لا اكذب، الحق طريق مستبين. واتباعه مروءة ودين. اما انه على خلق عظيم كريم ابن كريم. غير أنه لؤم في امرى. وأفرط وغلط ماشاء أن يغلط. اما علم ان هرما ت الديوك ليست من مطاعم الملوك. وأنها بالادوية أشبه منها بالاغذية. واقسم لو اتخذ برمة من فؤاد مهجور ووضعني من مثله على تنور، لاقضى به حاجة، ولا عدم منى فقرا ومجاجة.. فزكى قوله من حوله، ولم يألوه تعظيما، واتخذوه من ذلك اليوم حكيا. وصرف البدوى من الطافه، أحسن منه قرى أضيافه، وختم توبة بزه بالرغبة في بسط عذره. وسمنا منه ورحلنا سحرا عنه. م. الى ان قال.  
فأصغيت فاذا انا بصوت ناقوس في دير قسيس. وقرية كلها حانة دار البطاريق. وملعب الكأس والاباريق. سائمتها خنازير. وحياضها المعاصير. ومياها الانبذة والخمور. وشكلها مثلث مسطوح هندسته حوارى نباتها غصون من قدود تهتز في أوراق من برود. وتثمر رمانا من نهود. وتفاحا من خدود. وعقارب من أصداغ. وأفاعي من اسورة وعقود. وفيها مدام من رضاب. وشفاه من كواعب أثراب، وغيد تهوى بقرط، وارتجاج لكثيب في صرط، وجولان النطاق، وعض الخلخال في ساق، وخنث في الفاظ، ومواعيد بالحاظ، وقلوب تكلف وتشفف، ونفوس تلتأ، وأخرى تتلف. فلما كثر تحدثنا بحضرة الفقيه من هذا التشبيه قطبنا له وجوه الاستكرام، وعضضنا له الشفاء. فبينما نحن كذلك نكثر لفظا، ونرى الحلول بالستحسن غلطا، اذ نظرنا الى أطراد صفوف من أعطاف حسنة، وخصور هيفة، وشموس واقار، على أفلاك جيوب وأزرار، لاسيوف الا من مقل ولا درق الا من عجل. ولا طارض الا من خلوق، وأقسم بنعمة قد ودهن ألا جزتم المنه، وثنيتم الاعنة، تمرجأ علينا اليها وتحكما في المال والولد لدينا. فكرمت الشفاعة، وقلنا السمع والطاعة

١ كما في رسالة لابن الحداد :

لما كان الكتاب أعزك الله جلاء الاقضاء، وصقال الاصداء. وعقال الادواء. وسمتني منه بوسام. ولفحتني منه بسموم. وأسمرت حسوا في ارتفاع وأدبجت ذما في ثناء؛ والحر يأنف من الضيم. ويشمئز من الذم. ولا يقتصر على الاجتزاء، بغير الجزاء. ولو ترك القطا ليلا لنام. وفي العتاب حياة بين أقوام. فاصطبر لشرب صبره. وانتدب لتسوغ مره. فمن الحكم العدل. والقضاء



الوزن وقواعد العروض<sup>١</sup>. ومن السجع الجميل والاساليب الممزوجة بالحقيقة والخيال أسلوب ابن بسّام في الذخيرة وترجمته الادباء والشعراء<sup>٢</sup> وتجد مع هذه الرقة اللفظية والذوق الأدبي الفنى<sup>٣</sup>، أنواعا من الرسائل الطويلة المسجوعة سجعاً متكلفاً مملاً، مملوءة بالتعمّل، كثيرة الصناعة، قليلة المعاني<sup>٤</sup>. وامام هذه الصناعة لسان الدين بن الخطيب. والفتح بن خاقان طريقته معروفة في كتبه. حتى أصبح السجع طابعاً من طوابع الأدب العربى في الأندلس وتسلس الفقهاء مناصب الخطابة والكتابة. فنفعوا الأدب بنفحة جافة جف من أجلها عوده، حتى كسر أو كاد يكسر. وبلغ هذا منتهاه في أيام ابن تاشفين

وعلى الرغم من رقى النثر في الأندلس فإنه لم يخرج عن صبغته العامة، وهى الاعتماد على الخيال والصناعة اللفظية. غير أن الكتاب حاولوا كما قلنا طرق

---

الفصل. ان الذعك بما لدعتنى. وأجرعك ما جرعتنى. غير آفك في حال. ولا مباهت بمجال. والتويه ليس من خلق الكاذب النبيه. والحر على ما أساء يصر. وكل بحر في الخلاء يسر. والفضل لمن حواه. لا لمن زخرف دعواه. وتحقيق البرهان. غير تنسيق البيان. والسؤدد في محاسن الخلال والفعال، لا في إمكان الزمان. واقبال السلطان. وقيمة كل امرئ ما يحسن. امثال أضر بها عليك. واضحة المناهج. ومقدمات أنشأتها معك، صادقة النتائج. وجل تشتل على تفصيل حالينا، ونبد تشير الى ما فيه جرينا. وقد قابلني عتابك. واجلابك. بريح تعصف ورعد يقصف. واستقبلني خطابك. وأطنا بك. بوبل يخسف. وسيل ينسف. بلغ الزبي وزاد. وغمر الربى والوهاد. الخ

١ كما في رقعة شفاعة كتبها ابو المغيرة عبد الوهاب بن حزم: اذا شرب روض الشكر من حوض البر. وأطلع من الزهر ما ينجل مسك الغرر وتلم عن نسيم، يشنى حرارة القلوب الهيم ولم يزل يجرى خلف الطلب، بيد الادب. ويسرى في ظلام الامور، بسراج المنظوم والمنثور...

الخ الذخيرة جزء ١

٢ كقوله في ترجمة ابن شهيد: كان أبو عامر شيخ قرطبة وفتاها، ومبدأ الغاية القصوى ومنتهاهها، ينبوع آياتها، ومادة حياتها وأساتها. ومعنى أسمائها ومسعياتها نادرة الفلك الدوار. وأعجوبة الليل والنهار. ان هزل فسجع الحمام<sup>٥</sup> وان جد فزثير الاسد الضرغام. نظم كما انشق الدر، على النحور، ونثر كما خلط المسك والكافور... الخ.

٣ راجع كتاب لسان الدين بن الخطيب عن لسان سلطانه. نفح الطيب طبع أوروبا جزءا

ص ١١٤

الموضوعات العامة، كالقصص والحكايات الخيالية، والمناظرات وغيرها، وابتكروا هذه الأساليب في النثر كما ابتكروا أساليب الموشحات في الشعر .

أما طول الكلام والاطناب فيه، فيكاد يكون عاما في جميع كتاباتهم. وبعض هذا الطول يعد من الأمور الفنية البهتة ، والافتنان في التصور والخيال ، وبعضه ممل سقيم ، يدل على تمكن الصناعة لا غير في نفوس الكتاب والعناية بالألفاظ والسجع ، بل يدل على انحطاط ملكة البلاغة ، كما في كثير من كتابات لسان الدين بن الخطيب والفتح بن خاقان وغيرهم من الكتاب .

وجملة القول أنه يمكن معرفة حالة النثر بالأندلس ، ودخوله هذه البلاد بخطبة طارق بن زياد ، التي قلنا انها أول صوت سجع هناك من بلاغة العرب وأول غرس من غراسها . فهذا كان نموذج النثر والخطابة في تلك الأيام الى أواسط دولة بني أمية . لأن الوافدين جاؤا من المشرق الى المغرب ، والدولة عربية في بيت بني أمية ، وروح البلاغة العربية البدوية كانت تجول في نفس كل خطيب وكاتب وشاعر . فالذين هاجروا الى بلاد الأندلس في الأزمنة الأولى كانوا لا يزالون أعرابا في أفكارهم وأخيلتهم وأساليبهم . ولذلك نجد النثر في تلك المدة يشبه كثيرا نثر الأمويين في المشرق ، وخطاباؤهم في الأندلس أشبه بخطبائهم في الشام وبلاد العرب . ولما كثروا وافدون على الأندلس من المشرق نقلوا اليها طريقة النثر المسجوع ، والصناعة اللفظية ، والتنميق في الكتابة . وسرى هذا في كل أغراض الكتابة ، حتى في الكتب الفنية والعلمية ، من تاريخية وغيرها ومن تراجم العلماء والأدباء ، ومن كتب جدية وهزلية . ومن أشهر ذلك كتب الفتح بن خاقان ، كقلائد العقيان والمطمح وغيرها ، وتاريخ الاحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب . حتى أصبح من غير المستطاع أن يجد الانسان من يكتب نثرا غير مسجوع

---

١ كما في رسالة لابن شهيد على لسان الأوزة . راجع الذخيرة جزء أول

## الشعر في الأندلس

البلاغة من نظم ونثر لها غرضان غرض فني ، وهو ما بها من الجمال الذي يدعو الانسان الى السرور والاعجاب ، وارتياح النفس الى المعاني الجزلة ، والألفاظ المختارة ، وتناسق العبارات ، وحسن الأساليب ، وتأنق الترايب ، وغير ذلك مما ذكره العرب وتقادهم ، من أنواع المعاني والبيان البديع . ويدخل في هذا النوع قدرة الكاتب أو الشاعر على الافتنان في الصناعة ، ومقدار ماله من التصرف في الكلام ، وما يدركه من أسرار هذا الفن ، مما يدل على عبقريته . وهذا الجزء الفني من البلاغة هو أحد أركانها ، وأكبر دعائمها ، اذ بدون ذلك لاتعد البلاغة من فنون الجمال في شيء

والغرض الثاني هو الحقيقة المنطوية في غضون ذلك الكلام ، التي يكشف بها الفني عن كثير من المعاني الخفية في النفوس ، وأسرار الكون ، وحقائق الموجودات ، والآراء الاجتماعية والفلسفية ، وصور الانسان والانسانية . فغرض الكاتب أو الشاعر البليغ أن يتسرب في النفوس ، ويستولى عليها بجمال الافتنان ، وينعشها ويوقظها بأسلوبه وبيانه ، ويهذبها بمعانيه وما فيها ، ليرشدها الى حقيقة من الحقائق الانسانية . ولقد يدرك الفني مالا يدركه غيره ، لأنه دقيق الادراك ، قوى الملاحظة ، سريع الخاطر ، تخترق نفسه الحجب فيرى بالايراه غيره . لذلك يمكن أن يكون مساويا للفلاسفة أو الحكماء في الافاضة على الانسان من أسرار الكون وحقائقه .

والعرب يميلون الى جمال القول ويقصدون الى حسن العبارة والاستيلاء على النفوس بسحر الكلام . فكان الشعر فنا عربياً جميلاً ، وكان العربي شاعراً بطبيعته ، ونصيبه من أنواع الجمال قول الشعر الجميل . وكانت الفصاحة والبلاغة



مظهر الحياة النفسية العربية ودليلاً على جهود العقول وآثارها . وكما نزل العربي  
بمكان بذر بذرة الشعر فيه وتعهدها بالنمو ، فلما نزل أرض الأندلس غرسها  
هناك ، فنمت في تلك الأرض الخصبة . فكانت كالزهرة الطيبة العرف  
لقت بأصل آخر نضير الطلعة ، فظهر فيها أريج الطيب ونضارة اللون .  
ذلك مثل الشعر العربي في بلاد الأندلس .

جاء الشعر بلاد الأندلس بصيغته الأولى البدوية ، وما لبث ان أخذ صبغة  
جديدة باتساع التصور ، واختلاف المناظر ، والاطلاع على كثير من العلوم  
، والآراء ، والميل الى مزج الحركة العقلية بالحركة الاجتماعية . فشمل كل مظاهر  
الافكار ومرافق الحياة . ولكن كثيراً ما كان الشعراء يرجعون في أساليبهم  
وأفكارهم الى الأساليب والافكار البدوية ، لأن العرب من أشد الأمم  
عصبية وحنيناً الى وطنهم وعيشتهم الأولى . اذ رغم ما كان في نفوسهم من  
الأثر الذي اكتسبوه من تلك البلاد ، وما حصل لهم من الحياة التي لم يكن  
لهم بها عهد في بلادهم ، كانوا لا يزالون يميلون الى أخيلتهم الأولى ، ولم يكن  
لهم ان يهجروا عاداتهم ، لأن العجب والخيلاء ، اللذين كانا لهما السلطان على  
عقولهم ، جعلاهم — حتى في تلك البلاد البعيدة ، وحتى بعد عدة قرون من  
التجاعهم اياها — يتغنون بذكر بلادهم ، ويتخذون الشعر القديم نموذجاً لهم في  
الصناعة والخيال .

والذي يقرأ الشعر الأندلسي يجده أخصاً للشعر في بغداد ، بل وفي بلاد العرب  
نفسها من حيث الصفات العامة ، والموضوعات التي كانت عند القدماء<sup>١</sup>

على أن شعر الأندلس يمتاز في جملة عن الشعر العربي بما فيه من المعاني  
المبتكرة الجميلة ، التي كان يعالجها الشعراء هناك من الوصف البديع ، والكلام  
الرشيق ، والذوق النقي ، والافتنان في أساليب الخيال ، ولأنه يدل على حياتين

---

١ راجع قصيدة ابن الحداد في مدح المتصم في ابن خلكان جزء ٢

ويرسم صورتين من أحوال العربي : فبينما ترى الشاعر يصبو الى ذكر بلاده الأولى من حياته البدوية ، تجده يذكر الرياض والبساتين والأزهار والأنهار ، والمياه الجارية وظلال الأشجار والنسيم العليل والآراء العامة والخاصة وأحوال الاجتماع والعادات

هذا العقل المزدوج من البدو والحضر ظهر فيه جمال الفطرة ونضارة الحضارة ، وظهر هذا كله في الشعر . لأن الشعر كان مسرح العقول من جد وهزل وعلم وفلسفة . ولبت منتشراً زهاء ثمانية قرون بين الخاصة والعامة من العرب وسكان البلاد الأصليين كالقوط وغيرهم . وقال الشعر كثير من الأمراء . وسابق النساء الرجال في ذلك ، فكان أحياناً يسبقنهم ، وعنى الناس هناك بالشعر عناية عظيمة ، فكانوا ينقشونه على جدران المساكن وأبنية الحكومة . واتصل بالحوادث العامة الاجتماعية . وكان من وسائل الرقي ، ومن دواعي السلم والحرب ، وفك أسر المسجونين ، والعفو عن المجرمين .

ولم تكد تخلو رسالة نثرية من الشعر ، حتى سرت عدوى الوزن والقافية الى النثر . وانتشرت طريقة السجع في جميع المكاتبات ، وهي محلاة بأبيات من الشعر ، حتى في الكتب العلمية ، ومكاتبات الحكومة ، واجازات السفر . وكانت صناعة الشعر لازمة ، وروايته واجبة ، لمن يريد أن يندمج في حواشي الملوك . فقد كان الأدباء يجتمعون في حضرتهم للانشاد والمسابقة في ذلك ، كما كانت الحال في حضرة عبد الرحمن الأول ومن جرى على سنته ممن جاء بعده من الملوك والأمراء ، الذين كانوا يجرون المراتب والجوائز على الشعراء<sup>١</sup>

وقد كان لنشاط العرب العقلي وصفاء قرائنهم في قول الشعر ما كان لهم من العلوم والفنون ، بل زاد ذلك في الشعر لما لهم من ميلهم الفطري اليه والافتنان فيه . فقد وسع كل شيء من أحوالهم الاجتماعية والنفسية . فكانوا يصفون الكبراء

١ راجع الكلام على الشعر في الاندلس في كتاب  
Von Schack . Poesie und Kunst der Araber

والعلماء ، ويمدحونهم بعبارات جميلة رقيقة ، أكثرها خال من المبالغات .  
ويشونه شكواهم وآلامهم ،<sup>١</sup> ولهم قصائد في التقرب الى الله ومدح الرسول عليه  
السلام ، والزهد والتصوف والثناء ،<sup>٢</sup> ولهم أشعار رقيقة في المزح والتهمك  
والمجون<sup>٣</sup>

١ كما في قصيدة ابن الرندي الشهيرة وراث ابن عبدون لبني الافطس وشكوى المعتمد بن  
عباد مما اصابه في آخر حياته

٢ راجع الجزء الاول من كتاب الذخيرة لابن بسام

٣ كما في قصيدة قاضي الجماعة بفرناطه ابي عبد الله بن علي بن الازرق. نذكر منها شيء  
على سبيل الفكاهة قال:

عم باتصال الزمن	ولا تبالي بمن	وهو يواسي بالرضا	من سمج أو حسن
أو من عجوز تختطى	والظهر منها منحني	أو من مليح مسعد	موافق في الزمن
مهما تبدي خده	يدولك الورد الجني	وإن تسفه نظري	ومدهبي وتلهني
فالصفع تستوجه	نعم وتنف الذقن	وبعد هذا أشتفي	منك ويرى شجني
	واضرب الكف أمام	ذلك الوجه الدني	
	طقطق طق طقطق طق	اصغ بسمع الاذن	
	قحح قح قح قح قح	الضحك يفليني	
أفدى صديقاً كان لي	بنفسه يسمدني	فتارة أنصحه	وتارة ينصحنني
وتارة ألننه	وتارة يلنني	وربما أصفه	وربما يصفنني
أستغفر الله قه	إذا القول لا يعجبي	يأليت هذا كاه	فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الـ	حديث من يسمعي	دهر تولى وانقضي	عني كطيف الوسن
يأليتني لم أره	وليتني لم يرني	دنست فيه جاني	وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي	لكن يبخس الثمن	كانني ولست أد	رى الآن بما كانني
	والله ما التشييه عند	د شاعر بهين	
ومنها	هل أمتطي يوماً الى الـ	شرق بطون السفن	
وأجنتلي ماشئتته	في المنزل المؤمن	حيث أخلع في	هذي القوافي رسني
وتحسن الفكرة بالـ	مدوس والسمنني	واللحم مع شحم ومع	طواق الكباش الثني
والبيض في المقللة بالـ	زيت اللذيد الدهن	وجلدة الفروج مشو	يا كثير السمن
ومنها	هل للشريد عودة	الى قد شوقني	
	تفوص فيه أنملي	غوص الاكول المحسن	
ولى الى الاسفنج شو	ق دائم يطربني	وللارز الفضل اذ	تطبخه باللبن
	والشواء	ق من هيام أنثني	



وقد نظموا التاريخ وحوادثه<sup>١</sup> . وبرعوا في وصف الأبنية الفخمة وما فيها  
من الصور والأشكال والزينة ، ووصف القصور والحدائق ومجالس الشرب  
والسمَر والغناء والرقص . كقول الشاعر :

يَارُبَّ لَيْلٍ قَدْ هَتَكَتْ حِجَابَهُ      بِزُجَاجَةٍ وَقَادَةٍ كَالْكُوكَبِ  
يَسْعَى بِهَا سَاقُ أَغْنٍ كَأَنَّهَا      مِنْ خَدِهِ وَرُضَابٍ فِيهِ الْأَشْنَبُ  
بَدْرَانِ بَدْرٌ قَدْ أَمِنْتَ غُرُوبَهُ      يَسْعَى بِبَدْرِ جَانِحٍ لِلْمَغْرَبِ  
فَإِذَا نَعِمْتَ بِرَشْفِ بَدْرِ طَالِعٍ      قَانَعَمُ بِبَدْرِ آخِرٍ لَمْ يَغْرُبِ  
حَتَّى تَرَى زَهْرَ النُّجُومِ كَأَنَّهَا      حَوْلَ الْمَجَرَّةِ رَبْرَبٌ فِي مَشْرِبِ  
وَاللَّيْلِ مَنْحَصِرٌ يَطِيرُ غَرَابُهُ      وَالصَّبْحُ يَطْرُدُهُ يُبَازِرُ أَشْهَبِ

ووصفوا التنزه بالليل في ضوء القمر ، والأشجار وغصونها ، والرياح وهي تعبت  
بها وظلها الظليل ، وأشعة القمر على الجداول ، وصفاء الجو ، والفاكهة والأثاث  
والمساكن ، والقصور والصور . كقول الشاعر :

قَصْرٌ بِمَدْرَجَةِ النَّسِيمِ تَحْدُثُ      فِيهِ الرِّيَاضُ بِسَرِّهَا الْمُسْتَوْرِ

---

ومنها      ومات ذكر الكسكو      فهو شريف وسنى  
لاسيما ان كان مص      نوعا بقتل حسن  
ومنها      وصدني عن ذاك قل      لة الوفا بالثمن  
يه خليل هذه      مطاعم لكنتي      أعجب من ريقك اذ      يسيل فوق الذقن  
هل نلت منها شبعاً      فذكرها أشبعني      وان تكن جوعان يا      صاح فكل بالاذن  
فليس عند شاعر      سوى كلام الألسن      يصور الأشياء وه      ي أبدا لم تكن  
فقله يريك ما      ليس يرى في الممكن      فاسمع وسامح واقتنع      واطو حشاك واسكن  
راجع القصيدة في نفح الطيب طبع أوروبا جزء ثاني صحيفة ٢٠٢ . وراجع الكلام عن  
ابن الأثرق في نفح الطيب طبع أوروبا جزء أول صحيفة ٩٤٠

١ راجع الأرجوزة المذكورة لابي طالب عبد الجبار في آخر الجزء الاول من  
كتاب النخبة

خفض الخورق والسدير سُمُوهُ      وثني قصور الروم ذات قصور  
 لاث الغمام عمامة مسكية      وأقلم في روض من الكافور  
 غنى الربيع به محاسن وصفه      فافتد عن نور يروق ونور  
 فالذرح يسحب حلة من سندس      ترهَى بلؤلؤ طلبها المنثور  
 والنخل كالغيد الحسان تقرطت      بسبائك المنظوم والمنثور  
 والرمل في حُبك النسيم كأنما      أيدي غضون سَوالف المدعور  
 والبحر يرعد متنه فكأنه      درع تُشن بمظفَى مقرر  
 وكأننا والقصر يجمع شملنا      في الأفق بين كواكب وبدور  
 ووصفوا التنايل برك المياه وأواني الأزهار. كما قال بعضهم في دائرتين من  
 وردو ياسين:

يا حسنَهَا دَائِرَةٌ      من ياسينَ كالحلي  
 فالورد قد قابلها      في حلة من خجل  
 كعاشق ورجبه      تغامزا بالمقل  
 فاحرذا من خجل      واصفر ذا من وجل

ووصفوا الحمامات الرخامية والسباحة والنوافير والحدائق والمياه  
 وتكلموا عن الغلمان والخدم ومجالس الخلفاء والاجتماعات العامة ومجالس  
 اللهو والشرب والرقص. كما قال ابن شهيد

هاك شيخاً قاده السكر لكا      قام في رقصته مُستهلكاً  
 لم يطق يرقصها مستتبّاً      فاثني يرقصها مستمسكاً  
 عاقه عن هزها منفرداً      نقرسٌ أخنى عليه فائكاً  
 من وزيرٍ فيهم رقاصة      قام للسكر يتاغى ملكاً

١ راجع وصف ابن حمد يس في نفح الطيب طبع أروبا ج ١ ص ٣٢١

أنا لو كنتُ كما تعرفني قمتُ اجلالاً على رأسى لكأ  
قهقهه الأبريق منى ضاحكا ورأى رَعشة رجلى فبكي  
وتكلموا عن آلات الطرب وكل أنواع السرور والفرح، ووصفوا ميادين الحروب  
واهوال القتال والنضال، والشجاعة، والجبن والاقدام، والنصر والخذلان.  
ووصفوا النفوس ومايجول بها من الميسول والأهواء ومايحدث فيها من لذة وألم  
والعشق وأثره في النفس . كما قال الشاعر :

قُبلة كانت على دَهش أذهبت ما بي من العطش  
ولها في القلب منزلةً لوعدها النفس لم تَطشِ  
طرقتني والدجى لبست خلماً من جلدة الحبش  
وكأن النجوم حين بدت درهم في كف مرتعش<sup>١</sup>  
وبرعوا في هذا النوع براعة لا تحارى حتى أتوا بالفرائب من المعاني الجزلة التي  
تثير النفوس وتحملها على التعشق كما قال الشاعر :

١ وكقول بعضهم:  
بتنا كأن حداد الليل شملتنا  
كأن ليلتنا والصبح يتبعها  
وكقول الشاعر  
ولما تجلى الليل والبرق لامع  
وكقوله في وصف زنجى يسقيهم  
وزنجى أتى بقضيب نور  
فقال فتى من الفتيان صفه  
وكقولهم في ملاقاته الاحبة وأوقات الوصل  
وواعدتها والشمس تمنح للندى  
فجاءت كما يمشى سنى الصبح في الدجا  
فمطرت الافاق حولي فأشعرت  
فتابمت بالتقبيل آثار سعيها  
حتى بدا الليل في ثوب سحولى  
زنجية هربت أمام روى  
كما سل زنجى حساماً من التبر  
وقد زفت لنا بنت الكروم  
فقلت الليل أقبل بالنجوم  
يزورتها شمساً وبدر الدجى يسرى  
وطورا كما مر النسيم على النهر  
بمقدمها والعرف يشعر بالزهر  
كما يتقمى قارىء أحرف السطر



غصبوا الصباحَ فقسموه خُذوداً      واستنهبوا قُضب الأراك قدوداً  
ورأوا حصى الياقوت دون نَحورهم      فاستبدلوا منه النجوم عقوداً  
واستودعوا حدقَ المهي أجفانهم      فسبّوا بهن ضراغما وأسودا  
لم يكفهم حمل الأُسنة والظُّبا      حتى استعاروا أعينا ونهوداً  
وتضافروا بصفائر أبدوا لنا      ضوء النهار بليلاً معقوداً  
صاغوا الثفور من الأَقاحي بينها      ماء الحياة لو اغتدي موروداً

ولهم خيالات مبتكرة وعبارات طليّة خصوصاً في الوصف ، كقول ابن شهيد :  
فكأن النجوم بالليل جيش      دخلت للسكمون في جوف غاب  
وكان الصباح قانص طير      قبضت كفه برجل غراب  
ومن أبدع كلامهم في الوصف الجميل والشعر الذي لا يجارى في طريق الخيال  
والابتكار، ورقة العبارة وحسن الأسلوب، وجزالة المعنى، قول أبي الفضل بن شرف  
القيرواني<sup>١</sup> :

مَطَلَّ الليلُ بوعدِ الفلقِ      وتشكى النجم طول الأرقِ  
ضربت ريح الصَّبامسك الدجى      فاستفاض الروض طيبَ العبقِ  
وألح الفجر خدّاً خَجِلاً      جال من رشح الندى في عرقِ  
جاوز الليل الى أنجمه      فتساقطن سقوط الورقِ  
واستفاض الصبح فيها فيضة      أيقن النجم لها بالفرقِ  
فأنجلى ذاك السنا عن حلك      وأنمحي ذاك الدجى عن شفقِ  
بأبي بعد الكرى طيف سري      طارقاً عن سكن لم يطرقِ  
زارني والليل ناع سدّقه      وهو مطلوب بياقي الرmq

١ راجع القصيدة في الجزء الثاني من نفع الطيب طبع أروبا صفحة ٢٦٧

ودموع الطلّ تَمريها الصبّا وجفون الروض غرقى الحدقِ  
فتأتى فى أزار ثابت وثنى فى وشاح قلقي  
وتجلى وجهه عن شعره فتجلى فلق عن غسق  
نهب الصبحُ دجى ليلته فحبا الخدّ ببعض الشفقِ  
سلبت عيناه حدّئى سيفه وتحلى خده بالرونق  
ووصفوا الكنائس والأديرة والقسس . كما قالوا عن ابن شهيد «انه بات ليلة  
باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس ، وعرشت بسرور واستيناس  
وقرع النواقيس يبهج سمعه ، وبرق الحميا يسرج لمعه ، والقس قد برز فى عبدة  
المسيح ، متوشحاً بالزناير أبدع توشيح ، قد هجروا الأفراح وطرحوا النعم  
كل اطراح

لا يعمدون الى ماء بآنية الا اغترافا من الغدران بالراح  
وأقام منهم يعملها حميا، كما نما يرشف من كأسها شفة لميا، وهى تنفخ له بأطيب  
عرف، كلما رشفها أعذب رشف ، ثم ارتجل بعد ما ارتحل :

ولرب حان قد شمت بديره خمر الصبا مزجت بصرف عصيره  
فى فتية جعلوا السرور شعارهم متصاغرین تخشعاً لكبيره  
والقس مما شاء طول مقامنا يدعو بعود حولنا بزبوره  
يهدى لنا بالراح كل مُحفّرٍ كالخشفِ خفّره التماح خفيره  
يتناول الظرفاء فيه وشربهم لسلافه والأكل من خنزيره»

أما الأزجال والموشحات وغيرها من الأوزان التى ابتكروها فى الشعر  
العربى، والمقطوعات الشعرية جدية أو هزلية أو اجتماعية، فحدث عن البحر ولا  
حرج . فقد أظهروا من البراعة فى ذلك ما لا يقدر عليه الا نفوس خلقت شعرية  
بطبيعتها وشاعرة بفطرتها . وقد سرت هذه الأنواع الى المشرق فأحدثت حركة  
جديدة فى الشعر العربى، مما سند كره فى موضعه





## أبو عامر بن شهيد

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان بن شهيد حفيد ذى الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن شهيد وزير الناصر. ولد أبو عامر سنة ٣٨٢ هـ ومات سنة ٤٢٦ هـ فاشتهر في أزهى عصور اللغة والأدب في الأندلس ، وفي عصر كان للمجون فيه سلطان عظيم على النفوس ، وكان الأدباء أكرم الناس وأكثرهم اقبالاً على ذلك ، يجرون وراء أغراض الناس وأهوائهم ، فانصبغت عقولهم بصبغة اللهو ، وانصرفوا الى وصف هذه المجتمعات والمحافل ، وأخذ الشعر والنثر تلك الصبغة الهزلية التي جعلته خفيف الروح ، عذب المذاق ، سهلاً رشيقاً ، جميل البزّة والأسلوب ، مشتملاً على كثير من أحوال الاجتماع وعادات الناس .

وكان أبو عامر من أعلم الناس متفنناً في علوم الأدب ، بارعاً في صناعة النظم

١ هو أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي وزير عبد الرحمن الناصر وهو أول من تسمى بذي الوزارتين ، وكانت له دالة على عبد الرحمن الثالث ومنزلة رفيعة لديه . فتصرف في الوزارة كيفما شاء ، واشتهر شهرة عظيمة في سياسة الملك ، كما طار صيته وعلا ذكره بين الأدباء ، فكان من اكتب الكتاب وأشعر الشعراء . وقد كان هو وحفيده أبو عامر من أنبغ كتاب الأندلس وأظهرهم ميزة في الكتابة والشعر ولا سيما في الأساليب القصصية من جدية وهزلية كما أشرنا الى ذلك . وهو صاحب الهدية المشهورة التي أهداها للناصر ( راجع صفحة ١٩ ) وقد عاش في كنف عبد الرحمن الناصر فكانت بينهما صداقة وصلة ودية وكان يدل أحدهما على الآخر .

ويخيل الى من يطلع على حياة ابن شهيد هذا انه كان يصرف كل أوقاته في اللهو واللعب على الرغم مما اشتهر به من الكياسة في سياسة الدولة . فقد كانت بينه وبين الناصر مداعبات تدل على ذلك ( راجع اخباره مع الناصر واهدائه الغلام في نفح الطيب طبع أوروبا جزء أول صفحة ٢٢٢ ) وله أخبار وأشعار كثيرة في نفح الطيب

والنثر . فكانت له منزلة رفيعة وابتكارات بديعة ، وأساليب راقية في فنّي المنظوم والمنثور ، حتى فاق جده في ذلك .

وبرع في أسلوب الرسائل القصصية النادرة المثال في الكتابة العربية ، وربما انفرد في نوعها ، مما يدل على ميله الى الأسلوب القصصى وابتكاره الفنّي . ولقد تحسب هذه الرسائل فذة في اللغة العربية على الرغم مما في بعضها من المشابهة برسالة الففران لأبي العلاء ، من حيث الأسلوب والموضوع . كما في رسالة « التوابع والزواجع » . وقد ذكره ابن بسام صاحب الذخيرة نقلاً عن ابن حيّان بأنه « كان في تنميق الهزل والنادرة ... أقدر منه على سائر ذلك وشعرة حسن عند أهل النقد ، تصرف فيه تصرف المطبوعين ... وله رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعريض والأهزال ... وكان في سرعة البديهة ، وحضور الجواب وحدته مع رقة حواشي كلامه وسهولة ألفاظه ... آية من آيت خالقه ... وكان له انهماك في شرب وبطاله »<sup>١</sup> . وقد اتصل بالموثقين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر وكتب له رسائل طويلة بها قصائد جميلة يمدحه فيها ويتسلقه كثيراً . نذكر منها أبيات من قصيدة بدأها بنوع من الوصف البديع لروضة من الرياض ، وما بها من لهو ونعيم وجوار وخدم ، وتخلص من ذلك الى الدخول على مدح الموثقين فمدحه بما لا يكون الا على لسان مثله .

ولقد يرى القارىء في قصيدة ابن شهيد هذه روحاً شعرية جديدة يلح من خلالها نفس الشاعر وما له من القدرة على امتلاك المعاني ، والتصرف فيها ، وكأنما يقول ذلك بلا روية ولا تكلف ، وكأنه يعارض أبا نؤيس في أسلوبه . قال  
بدأ أبيات:

---

١ في النسخة المخطوطة خطأ كثير في بعض الجمل والالفاظ حذفها من مالم يمكننا فهمه ووضعنا محله نقطاً وأصلحنا ما ظهر انه محرف . وقد تدل النقط على حذف عدة جمل للاختصار . وفعلنا مثل ذلك فيما اخترناه من شعر ابن شهيد وربما أهملنا وضع النقط في حذف بعض الايات

وردُ كما خَجَلتْ خدو  
وشقيقُ نُعمانِ شكت  
ونعصون أشجار حَكَّتْ  
بَكَرَ الحسانُ يَرِدْنَهَا  
وضحكُن عُجبا فالتقتْ  
ضكحتْ وأزعجَ بارقُ  
وتكاوست فيها الأبا  
وكانها أظن رَعَفْنَ فَمِرْ  
وعلاً بنا سُكر أبى  
نرمى قلائسنا له  
وترنمت فيها القيا  
قُنا نصفقُ بالأُكف  
وأعدنَ من سَدَن الملو  
يشكو الرعاةَ تنعماً  
لا تستحيه الراشفا  
يُخْنِئُه ثمرَ النحو  
متجاهلاتِ أنه  
لازمت باب محله  
حتى اذا وقفت بنا  
ألقيت من أُخْذِي لَهُ  
وأقْدته بشكائى

دُ العينِ من لَحَطاتِ هائمٍ  
صفحاته من لطم لا طيمٍ  
رقصَ المآتم للمآتم  
من كل واضحة الملاغم  
فيها المباسمُ بالمباسمِ  
فظللت للبرقين شائمٍ  
رقُ وهى فاهقةُ الحلاقمِ  
نَ داميةَ الحياشمِ  
الا الانابةَ للمحارمِ  
ونجرتُ من عذب العائمِ  
نُ لنا ورجعت البواغمِ  
ها ونرقصُ بالجامجمِ  
ك سليل أقيال خضارمِ  
ويضجُ من حمل التائمِ  
تُ ولا تباليه اللوائمِ  
ر ويمترين به المحارمِ  
يهوي وهن به عوالمِ  
والنَّججُ من قنص الملازمِ  
عُجز الحواضن والخوادمِ  
وتلوت من سور العزائمِ  
فانقادَ من تلك الشكائمِ



فوردت جناتِ المنى      وكرمتُ عن لوم الملائم  
وأغرَّ قد لبس اللجى      برُدا فراقك وهو فاحم  
يحكي لغُرتَه هلا      ل الفطر لاح لعين صام  
وكأنما خاض الصبا      ح نجباء مبيض القوائم  
ويسير في ييس الكرى      وكأنه في الصبح عائم  
حتى إذا علَّم الصبا      ح أنار من تلك المعالم  
وتمايلت أيدى الثريا      وهى مذهبة الخواتم  
ورمت ذُكاء بناظر      رمدٍ من الأقداء سالم

فاذا وصف وجدته يقظا قوى الملاحظة ، لا يصف الأوصاف العامة  
كأكثر الشعراء ، ولكنه يصف ما يراه وصفاً دقيقاً ، كالمصور يصور ما هو  
أمامه . وتلك صفة من صفات الرجال الفنيين

ولقد يقرأ الانسان شعره فكأنه فى هَرَج ومَرَج . وكأنما الكؤوس  
تدور ، والنفوس تشور ، والعزائم تنخور ، والمقول ، ثملة والحياة كلها جنة ونعيم  
كما قال :

أذنَ الديكُ فتُب أو ثوب      وانضح القلبُ بماء العنبِ  
وتأمل آيةً معجزةً      ماقرأنا مثلها فى الكتبِ  
ركم الابريق من طاعتهِ      وبكى فابتل ثوبُ الأَكُوبِ  
ولولَ المِزهرِ ينهى كَرَبى      ونطربت فأعبي طرِبى  
وريب قام فينا ساقياً      كالرشا أَرْضع بين الرَّبَرَبِ  
ظبيةً دون الأطباء قُصِّصَتْ      فانت غيداء فى شكل صَبِ  
فتح الوردُ على صفحتها      وحما صدغها بالعقربِ

فمشت نحوى وقد ملكتها مشية العصفور نحو الثعلب  
وغمام باكرتنا غيمه تترع الأفق بدمع صيب  
مثل بحر جاءنا من فوقنا جرمة من لؤلؤ لم يثقب  
واذا هو ينتقل الى المدح، كما ينتقل الانسان من ظل الأشجار الى خير المياه  
والأنهار:

فسألناه وقد أعجبنا حشوه العين بمرأى معجب  
أنت ماذا؟ قال مزن علمت كفه النفحة كفا درب  
رامنى بالشوق أن أسقيكم رحمة منه بأقصى المغرب  
فسألناه أبين ذاك لنا قال هل يخفى ضياء الكوكب  
ملك ناصب من خالفكم عامرى المنتهى والمنصب  
الى ان قال:

أنجبه للمعالى أسرة نزلوا للمجد أعلى الرتب  
بنفوس من سناء غضة فى جسوم غضة من حسب  
ووجوه مشرقات أومضت ضاحكات فى وجوه الكرب  
لهم أيام حرب كثرت فى عدام داعيات الحرب  
هذا أسلوبه فى الشعر، ولولا خوف الملل من الاطالة لذكرنا كثيراً من  
شعره.<sup>١</sup>

أما نثره فأعجب من شعره من حيث أسلوبه الخيالى القصصى والميل الى  
ذلك. وان كان شعره أبلغ من نثره من حيث الديباجة والعذوبة  
وقد كتب رسالة هى أشبه برسالة الغفران، من حيث أسلوبها الأدبى

---

١ أخباره مبسوطه مع شعره ونثره فى الجزء الاول من كتاب الذخيرة لابن بسام وفى  
نفع الطيب ومطعم الانفس

وسماها «التوايع والزوايع» ولعل ابن شهيد كان يقلد أبا العلاء في ذلك ، لأنه أدرك عصره ولأن شهرة أبي العلاء كانت ذائعة في المشرق والمغرب . وكان أهل الاندلس يقلدون أهل المشرق في كل شيء .<sup>١</sup>

كتب أبو عامر بن شهيد هذه الرسالة الى صديقه ابن حزم . فقد عاش في عصر أبي بكر بن حزم هذا فتصادقا وتحابا . وكان لكل منهما دالة على صاحبه . وكل منهما أديب وعالم ، لا تمر بأحدهما لحظة من لحظات الحياة الا كانت له فيها جولة فكر ونظر . وكانت بينهما رسائل ومكاتبات يعرضون فيها آراءهم وما يجول بنفوسهم .<sup>٢</sup> فكانت عقولهم في حركة مستمرة من الجدل الى الهزل ، ومن اللهو والمزح الى مسائل الأدب والدين . ولذلك نجد أحدهم يؤلف في علوم الدين ، وتجده يكتب في الهزل والمجون ، وتجده عالما وفيلسوفاً وشاعراً وتقياً وعاشقاً . فكانوا يأخذون من كل فن بطرف . وكانت تربيتهم العقلية تربية علمية وفنية مما مبنية على حب الاستطلاع والبحث ، وعلى الرغبة في سرور النفس وارتياحها بآثار الفنون الرائعة . فكانت أخيلتهم مهذبة مصقولة ، وآراؤهم بديمة وأساليبهم رشيقة ، وابتكاراتهم عجيبة

والظاهر أنه كان للفلسفة اليونانية وقراءتها وأساليبها أثر عظيم في نفوسهم . ولعل أسلوب المحادثة والمناقشة الذي نجده في بعض الرسائل هناك كان مقتبساً من مثل أسلوب أفلاطون في بعض كتبه ، لأنه أسلوب جديد من الأساليب التي حدثت في اللغة العربية

---

١ أدرك ابن شهيد عصر أبي العلاء فقد عاش من سنة ٣٨٢ الى سنة ٤٢٦ وعاش أبو العلاء المعري من سنة ٣٦٣ الى سنة ٤٤٩

٢ قال ابن خلكان وكان يئنه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداجات وله التصانيف الغريبة . منها كتاب كشف الدك وأيضاح الشك ومنها التوايع والزوايع ، ومنها حانوت عطار وغير ذلك أدرك ابن شهيد... الخ



أما الأسلوب الذي كتبت به رسالة ابن شهيد فهو أسلوب خيالي تهكمي ويسميه الأدباء أسلوباً هزلياً . كما ذكر ابن بسام أثناء كلامه عن ابن شهيد: «فصول من رسالة سماها بالتوابع والذوابع صدرت عنه مصدر هزل تشتمل على بدائع وروائع»

وهذه الرسالة عبارة عن عرض صورة عامة للأدب والأدباء ونقد شعرهم نقداً بيانياً مبنيّاً على ما يعطيه اللفظ والديباجة من الجمال ، وما توحيه معاني هذه الألفاظ من الروعة والاعجاب ، على حسب ما هو معروف من أساليب النقد عند أدباء العرب .

وله فيها شعر رقيق وأسلوب جميل ، بشكل محادثات بينه وبين الشعراء المعروفين . فهي أشبه بقصة أدبية مملوءة بصور الأدباء والشعراء

قال في صدرها: «كنت...أحن الى الآداب، وأصبو الى تأليف الكلام ، فاتبعت الدواوين ، وجلست الى الأساتيد ، فنبض في عرق الفهم ، ودرّ لي شريان العلم ...، وقليل الاتّماح<sup>١</sup> من النظر يؤيدني ، ويسير المطالعة من الكتب يفيدني ، اذ صادف شئ العلم منى طبقة<sup>٢</sup> ، ولم أكن كالثلج تقتبس منه نارا ، ولا كالحمار يحمل أسفاراً ، فطعنت ثغرة العلم دراكا ،<sup>٣</sup> وأعلقت أرجل طيره اشراكا ، فانثالت<sup>٤</sup> الى المعائب ، وانهاالت الرغائب . وكانت لي أوائل صبوتي هوى اشتد له كافي ، ثم لحقني بعض ملل في أثناء ذلك الميل . فاتفق أن مات من كنت أهواه مدة ذلك الملال ، فجزعت وأخذت في رثائه ، ... فقلت تولى الحمام بظبي الخدور وفاز الردي بالغزال الغرير<sup>٥</sup>

الى ان انتهيت الى الاعتذار من الملل الذي كان فقلت :

وكنت مللتك لا عن قلى<sup>٦</sup> ولا عن فساد ثوى في الضمير

١ النظر الخفيف ٢ من المداركة وهي المتابعة ٣ تتابعت وكثرت ٤ الحمام الموت ٥ الغرير الخدوع ٦ القلى البغض

فأرتج على القول . فاذا أنا بفارس بباب المجلس ، على فرس أدهم<sup>١</sup> كأنما يقل<sup>٢</sup>  
وجهه ، قد انكأ على رمح ، وصاح بي : أعجزا يافتي الانس؟ فقلت لا وأبيك ،  
للكلام أحيان ، وهذا شأن الانسان . فقال قل بعده

كنيل ملال الفتى للنعيم اذا دام فيه وحال السرور  
فأثبت إجازته<sup>٣</sup> . وقلت بأبي من أنت؟ قال زهير بن نمير من أشجع الجن ،  
نصورت لك رغبة في اصطفاك . قلت أهلا بك أيها الوجه الواضح ، صادفت  
قلبا اليك مقلوبا . وهوى نحوك محبوبا ، وتحادثنا وتذاكرت معه أخبار الخطباء  
والشعراء ومن كان يالفهم من التوابع والزوابع<sup>٤</sup> . وقلت له هل حيلة في لقاء من  
اتفق منهم؟ قال حتى أستاذن شيخنا . وطار عني . ثم انصرف وقد أذن له . فقال  
جل على متن الأدهم . فسرنا عليه ، وسار بنا كالطير يجتاب الجو فالجو ، ويقطع  
الدو فالدو<sup>٥</sup> ، حتى لمحت أرضا لا كأرضنا ، وشارفت جوا لا كجونا ، متفرع  
الشجر ، عطر الزهر . فقال حللت أرض الجن أبا عامر، فبمن تريد أن تبدأ؟ قلت  
الخطباء أولى بالتقديم . لكنى الى الشعراء أشوق . قال فمن تريد منهم؟ قلت  
صاحب امرئ القيس . فأمال العنان الى<sup>٦</sup> ، واذا وادى دوح<sup>٧</sup> تنكسر أشجاره ، وتترنم  
أطياره . فصاح يا عيينة بن نوفل ، بسقط اللوى وبحمول ويوم دارة جُلجل<sup>٨</sup> الا  
ما عرضت لنا ، وسمعت من الإنسى وعرفتنا كيف إجازتك له . فظهر لنا  
فارس على فرس شقراء كأنها تلهب . فقال حياك الله يازهير وحيا صاحبك .  
أهذا هو؟ قال هو هذا وأبى جرة يا عيينة . قال أنشد . قلت السيد أولى  
بالأنشاد . فتطامح طرفه ، واهتز عطفه ، وقبض عنان الشقراء وضربها بالسوط ...  
وجعل ينشد:

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا

---

١ أدهم أسود ٢ نبت عذاره ٣ أنفذت رأيته ٤ الزوبعة الشيطان أو رئيس الجن  
٥ الدو الفلاة ٦ الشجر العظيم

حتى أكلها ثم قال لي أنشد . فهمت بالحیصة<sup>١</sup> . ثم اشتدت قوى نفسى .  
وأنشدت :

شجته مغان من سليمى وأدور

حتى انتهيت الى قولى :

ومن قنة<sup>٢</sup> لا يدرك الطرف رأسها      تزل بها ریح الصبا فتحدر  
تكنفتها والليل قد جاش بحره      وقد جعلت أمواجه تتكسر  
ومن تحت أحسن أبيض ذو شقائق      وفى الكف من عسالة<sup>٣</sup> الخط أسمر  
هما صاحبای من لدن كنت يافعا      مقيلان من جد القى حين يعثر  
الى آخر ما قال

وهكذا أخذ فى عرض أحوال الشعراء بطريقة خيالية لذيذة . ولكنها تكاد  
تكون خالية من كل نقد أو رأى له . وليس فيها الاجمال العبارة ، وسهولة  
الاسلوب ، ووضعها هذا الوضع القصصى الذى يدل على سعة خياله ، وبلوغه منزلة  
رفيعة فى هذا الأسلوب الأدبى الصرف . على أنه يميل الى مدح نفسه وعرض  
شعره ، ويتخذ ذلك وسيلة من وسائل الإعجاب بكلامه . وقد برع فى وصف  
أحوال الشعراء الذين ذكروهم ووصف حياتهم وميولهم النفسية ، وكأن لكلامه  
ألوانا ترمم أحوالهم المختلفة ، وتميز بعضهم من بعض ، أو كأنما استعرض أمامه هذه  
البيئات والمناظر وأخذ يرسمها بقلمه . كما قال عن أبى نواس :

« ثم قال لى زهير : من تريد بعده ؟ قلت صاحب أبى نواس . قال هو بدير حنة ،  
قد غلب عليه الخمر . فركضنا ساعة وجزنا فى ممرنا بقصر قد أمه . فقلت لمن هذا  
القصر يا زهير ؟ قال لطلوق بن مالك أبى الطبع صاحب البحتري ، فهل لك فى أن  
تراه ؟ قلت أجل . انه من أساتيدى . وقد كنت أنسيته . فصاح يا أبا الطبع . فخرج الينا

---

١ بالهزج ٢ قنة الجبل ٣ السيف



فتى على فرس أشعل<sup>١</sup> بيده قناة ، فقال له زهير انك موفق ، قال لا ، صاحبك أشمخ  
مارنا من ذلك لولا تنقصه . قلت يا أبا الطبع ان الرجال لا تكال بالتفزان ، أنشدنا .  
من شعرك فأنشد : ما على الركب من وقوف الركاب  
حتى أكملها ثم قال : هات ان كنت شيئاً فأنشدته .  
هذه دار زينب والرباب

حتى انتهيت فيها الى قولى :

فكأن النجوم بالليل جيش دخلت للكمون فى جوف غاب  
وكان الصباح قانص طير قبضت كفه برجل غراب  
... فكأنما غشى وجه أبى الطبع قطعة من الليل ، وكر راجعاً الى ما وراءه  
دون أن يسلم . فصاح به زهير أجزته ؟ قال أجزته لا بورك فيك من زائر  
... وسرنا حتى انتهينا الى أصل دبر حنة ، فضرب زهير الأدهم . فسار بنا فى قنته  
ففتق سمى قرع النواقيس . فقلت فصحت<sup>٢</sup> من منزل أبى نواس ورب الكعبة ...  
وسرنا نجتأب أدياراً وكنائس ، وحانات الى دير عظيم تعبق روائحه ، وتصوك  
نوافحه . فوقف زهير ببابه : وصاح سلام على أهل دير حنة . فقلت أوسرنا بذات  
الأكرأح قال نعم . وأرقلت نحونا الرهايين ، مشدودة الزناير ، قد قبضت على  
المكاكير مبيضة الحواجب واللحي ..... ، مكثرين للتسبيح ، عليهم هدى  
المسيح . فقالوا أهلاً بك يا زهير من زائر ، وصاحب أبى عامر ما بنيتك ؟ قال حسن<sup>٣</sup>  
الدينان . قالوا انه لى شرك الحرة ، منذ أيام عشرة . وما نرا كما منتفمين به ، فقال وعلى<sup>٤</sup>  
ذلك . ونزلنا وقاد بنا الى بيت قد اصطفت دنانه ، وعكفت غزلانه ، وفى دير حنة  
شيخ طويل الوجه والسبلة<sup>٥</sup> ، قد افترش أضغاث زهر ، واتكأ على زق خر ، وبيده  
طرجهارة<sup>٦</sup> ، وحواليه صبية كالظباء تعطو الى عرارة<sup>٧</sup> . فصاح به زهير ، حياك الله أبا  
الاحسان . فجواب جواباً لا يعقل لغلبة الخمر عليه . فقال لى زهير اقبرع أذنيه

١ فى ذنبه يياض ٢ يريد أن مابه يفصح ويدل على منزل أبى نواس ٣ الشارب ٤ شبه كاس  
يشرب فيه وفى النسخة الخطية طرجهارة ولعلها محرفة ٥ لعلها عرارة وهى لعبة للصبيان . وظي  
يعطو اذا رفع يديه ليتناول الشجر . فهو يشبه الصبية بالظباء التى تلعب

بأحدى خمرياتك ، فانه ربما تنبه لبعض ذلك . فصحت أنشد من كلام أبي طويلة:

ولرب حان قد ادرت بديره      خر الصبا مزجت بصفو خموره  
في فتية جعلوا الزقاق<sup>١</sup> تكاءم      متصاغرين تخشعا لكبيره  
والى على بطرفه وبكفه      فأمال من رأسى لعبك كبيره  
وترنم الناقوس عند صلاتهم      ففتحت من عيني لرجع هديره  
فصاح من حبالل نشوته : أشجى ؟ قلت أنا ذاك . فاستدعى ماء قراحا  
فشرب منه وغسل وجهه ، فأفاق واعتذر الى من حاله ، فأدركتنى مهابته ، وأخذت  
في اجلاله لمكانه من العلم والشعر . فقال انشد حتى أنشدك . فقلت ان ذلك  
أشد لتأيسى على أنه ما بعدك لمحسن احسان فأنشد :

يدير حنة من ذات الأ<sup>٢</sup> كيراح<sup>٢</sup>      من يصح عنك فاني لست بالصباح  
يعتاده كل محفو مفارقة<sup>٣</sup>      من الدهان عليها سحق امساح<sup>٤</sup>  
لا يذفون الى ماء بساية<sup>٥</sup>      الا اغترافا من الغدران بالراح  
ثم قال لي انشد . فقلت وهل تركت للانشاد موصفا . قال لا بد لك ... فأنشدت

أصبح شيم أم برق بدا      أم سنا المحبوب أورى زندا  
هب من رقدته منكسرا      مسبلا للكم<sup>٦</sup> مرخ للردا  
يمسح النعسة من عيني رشا      صائد في كل يوم أسدا  
قلت هب لي يا حبيبي قبلة      تشفى من غم تبريح الصدا  
فأثنى يهتز من منكبه      قائلا : لا ، ثم أعطاني اليدا  
كلما كلمنى قبلته      فهو اما قال قولا رددا  
كاد أن يرجع من لثى له      وارتشافي الشجر منه أدردا<sup>٦</sup>  
قال لي يلعب : خذ لي طائرا      فتراني الدهر أجرى بالكدا  
واذا استنجزت يوما وعده      قال لي يعطل : ذكرني غدا

١ جمع زق وهو وعاء الخمر ٢ هي بيوت صفار تسكنها الرهبان بالقرب منها ديران يقال  
لاعهما دير عبد وللآخر دير حنة وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض ٣  
٣ خالية من الشعر ٤ الثوب البالي ٥ الدلو العظيم ٦ بدون أسنان

شربت أعطافه خمر الصبا وسقاه الحسن حتى عربدا  
ولقد بلغ في هذا من دقة التعبير وبلوغ المعنى الذي قصد مبلغاً تشعر به النفوس  
و كأنما ترى بعينك المعنى أو تلمسه بيدك ، أو كأنك واقف معه ترى  
ما يراه هو ويذكره في شعره ، أو كأنك تنظر الى صورة واضحة تبين لك أجزاؤها  
بألوانها المختلفة كل دقيق وعظيم .

وله رسالة في الخلواء غير معبودة المثال في الكتابة العربية جرى فيها مجرى  
المجون والهزل والفكاهة . ذكرها ابن بسام في الجزء الأول من الذخيرة .

\*\*\*

وكان ابن شهيد مع هذا من كبار رجال الأدب وأهل النقد . وله آراء تدل  
على فكره الثاقب وعلمه الواسع في طرق النقد الأدبي . و كأنها آراء مبنية على  
نظر عميق أو دراسة فنية أو علمية . وفي رأينا ان آراءه في النقد أكبر ميزة من  
شعره ونثره ، لأنها تدل على سعة اطلاعه وابتكاره الخالص من كل تقليد ،  
فقد انفرد بين نقاد الأدب العربي في ذلك . قال أبو عامر :

« إقامة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو ، بل  
بالطبع مع وزنه من هذين . ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه  
مع جسمه . فمن كانت نفسه من أصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعاً  
روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيأتها ..... ومن كان جسمه  
مستولياً على نفسه من أصل تركيبه والغالب عليه جسمه ، كان ما يطلع في تلك  
الصور ناقصاً عن الدرجة الأولى في التمام والكمال وحسن الرونق . فمن كانت  
نفسه المستولية على جسمه ، فقد تأتى منه في حسن النظام صور رائقة من الكلام  
تملأ القلوب وتشغف النفوس . فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها  
وجها لم تعرفه ، وهذا هو الغريب : أن يتركب الحسن من غير الحسن . كقول  
امرئ القيس :

تنورتها من أذرعات وأهلها يثرب أدنى دارها نظر عال



فهذه الديباجة اذا تطلبت لها أصلاً من غريب معنى لم تجده . ولكن لها من  
التعلق بالنفس والاستيلاء على القلب ما ترى »

هذا شيء طريف في النقد الأدبي عند العرب ، وكأنه يشير الى مذهب  
النقاد الذين يأخذون صور الكُتّاب من كتاباتهم ، ويقولون ان البلاغة من  
نثر ونظم تدل على نفوس البلغاء . وفي هذا الكلام اشارة الى مذهب علمي  
في النقد: وهو الأعضاء « ووظائفها » واتصالها بالادراك . وذلك ان كان ليس  
مبنياً على تجارب علمية أو على دراسة فنية فهي أفكار جالت في نفسه تدل على  
قوة الفكر لديه . وهو يميل الى أن الافتنان في الكلام ، أو البراعة في النظم  
والنثر ، أو ما يسمونه بالبلاغة ، نوع من الالهام ، أو شيء من الغيبات أو سر من  
أسرار النفوس . وهذه الآراء هي أصول مذاهب النقد الأدبي ، وأصول معرفة  
الكلام البليغ وشرحه كما قال :

« وقال الجاحظ انا اذا اكثرينا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا  
بعشرين درهماً في الشهر . ولو أكثرينا من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهم .  
ولم يقل هذا الا وقد ألف كتاب «البيان» . ولو كشف فيه عن وجه التعليم وصور  
كيفية التدريج، لأرى كيف وضعُ الكلام وتنزيل البيان ، وكيف التوصل الى  
حسن الابتداء ، وتوصيل اللفظ بعد الانتهاء ، وأبدى لهم عن تدبير المقاطع والمطالع  
بأنها معاني الصنعة ، ومواضع مفاتيح الطريقة »

فذهبه في النقد وسط ، لأنه يرى أن البلاغة شيء روحاني كما قال « فمن كانت  
نفسه من أصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعاً وروحانياً . يطلع صور الكلام  
والمعاني في أجمل هيئاتها . الخ » ويرى ان لهذا السر الروحي عدداً وأهبة . قال :  
« جلس الى يومئذ يوسف الاسرائيلي وكان أفهم تأميد مربى وأنا أوصى رجلاً عزيزاً  
على من أهل قرطبة ، وأقول له : ان الحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلام . فاذا جاور

النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة وخسنت الصعبة وإذا  
ركبت صور الكلام من تلك حسنت المناظر وطابت الخباير . أفهمت ؟ قال لي  
أى والله . قلت ، وللعربية إذا طلبت وللصاحبة إذا التمت قوائين من الكلام  
من طلب بها أدرك ، ومن تنكب عنها قصر ، أفهمت ؟ قال نعم . قلت وكما تختار  
مليح اللفظ ورشيق الكلام ، فكذلك يجب أن تختار مليح النحو وفصيح  
الغريب وتهرب عن قبيحه . قال أجل . قلت أفهم شيئا من عيون كلام القائل :  
لعمرك انى يوم بانوا فلم أمت خفاناً على آثارهم لصبور  
غداة التقينا اذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير  
ففاضت دموع العين حتى كأنها لناظرها غصن يراح مطير  
فقال لى أى والله وقعت خفاناً موقعا لذيذا ، ووضعت رميت ومتن الطريق موضعا  
مليحا ، وسرى غصن يراح مطير مسرى لطيفا» الى آخر ما قال .

وكان يميل الى القول بان الأذواق تتفاوت وتختلف . وهذه قاعدة عامة فى كل  
الفنون ، بل هذا أساس الفنون جميعا . قال : وربما لا ذنبا المستظم باسم الشعر ممن يخطب  
العامة والخاصة بسؤاله ، فتصادف منه حالة لا تنسج له فى كبير مبرة فنشاركه ونعتذر له ،  
وربما أفدناه بأبيات يتعمد بها البقالين ومشايخ القصابين ، فاذا قارعت أسماعهم وما زجت  
أفهامهم وانحلت عقدهم ، جل شخص ذلك البائس فى عيونهم . فما شئت اذ ذاك من  
خبز وميرة يحشى بها كفه ، ورقبة سمينة تدفن فى مخلاته ، ومن كوز فُقاع يصب فى فيه ،  
وتينة رطبة يسد بها حلقومه ... فلا يكاد البائس يتم ذلك حتى يأتينا ، فيكب على أيدينا  
يقبلها وأطرافنا يمسحها ، راغبا فى أن تكشف له السر الذى حرك العامة فبدلت ما عندها  
له ، وبادرت برفدها اليه . وتعليمه ذلك النحو من انحاء الشخذ لا نستطيعه . لان  
هذا الذى يريد منا هو تعليمه البيان ، وبين فكره وبينه حجاب . ولكل  
ضرب من الناس ضرب من الكلام ووجه من البيان » الخ



وكان يرى أن للكتابة أطواراً تتناوبها، وأحوالاً تغتريها . اذ قال :  
« وكما أن للدنيا دولا فكذلك للكلام نُقل وتغاير في العادة . ولكل طائفة  
من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة لا يوافقها غيره ولا تهش لسواه . ألا ترى لما دار  
حال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريق عبد الحميد وابن المقفع وسهل  
وأصحابهم . فالصنعة معهم أفسح باعاً وأشد ذراعاً وأنور شعاعاً ، لرجحان تلك العقول  
واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دورانا فكانت احالة أخرى الى طريقة  
ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات ونظرائهم ، فرقت الطباع . ثم دار الزمان  
فاعترى أهله للطائف صلف وبرقة الكلام كلف ، فكانت حال أخرى الى  
طريقة البديع ... وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان ،  
وطلب كل ذى عصر ما يجوز فيه ، وتنبها له قلوب أهليه . فكان من صريع  
الغواني وبشار وأبي نواس وأصحابهم في البديع ما كان من استعمال أفانيه ، والزيادة  
في تفریع فنونه . ثم جاء أبو تمام فأسرف في التجنيس وخرج عن العادة ، وطاب  
ذلك منه وامثله الناس . والتوسط في الأمر أعدل . ولذلك فضل أهل البصرة  
صريع الغواني عليه ، لانه لبس ديباجة المحدثين على لامة العرب فتركب له من الحسن  
بينهما ما تركب »

هذه نظرة عامة في النقد الأدبي أو في أطوار البلاغة العربية . يتبين منها  
أن ملكة النقد كانت لديه كملكة الشعر والنثر . وقد قسم الاقننان في البلاغة  
الى ثلاثة أقسام . وعرف أحوال الكتاب وما يلاقونه أثناء أداء هذا الفن . قال :  
« وأهل صناعة الكلام متباينون في المنزلة ، فمنهم الذى ينظم الأوصاف ويمحز  
جيد اللفظ ، إلا أنه يصعب عليه الكلام ، ويكد قريحة التأليف حتى أنه ربما قصر في  
الوصف . وأساء الوضع . وهذا في الأبيات القلائل نافذ ، وفي القربة المأخذ سائر ، وفي  
طريقة الجمهور ذاهب . حتى اذا ازدحت عليه ، وانحشدت اليه ، وطالبته ببناء البهجة



وشرف المنزلة، وقف وأثقل وتلاشى واضمحل ، ومنهم الكارع في بحر الغرارة والقادح بشعاع البراعة ، الذي مرَّمر السيل في اندفاعه ، والشؤبوب في انصبا به لا يشكو الفشل ، ولا يكل عن طول العمل . اذا ازدحمت في الكلام عليه المطالب ، وعلقت بجواشي فكره المآرب ، وحشدت عليه الصعائب والغرائب ، استهل بها كاهله واضطلع بثقلها غاربه ، وأعارها من نظره لمحة ، ومن فكره قدحة . ثم رمى بها عن جانيبه ، وقد رويت بماؤها . ولبست شعاع بهاؤها..... ومنهم من يتجافى الكلام ويروغ عن المقال ، فاذا منى به أخذ بأطراف المحاسن وشارك في انحاء من الصنعة ، وجل ما عنده تلفيق وحيلة . وبذلك يجارى الأيام ويصاحب أبناء الزمان ، ما كان له عقل يقضي على نقصائه ، وسياسة يسود بها فحول زمانه . ومن خرج من هذه الطبقات الثلاث لم يستحق اسم البيان ولا يدخل في أهل صناعة الكلام »

وقد انمى ابن شهيد باللائمة على مذهب أهل البديع . كأن هذه الطريقة اللفظية كانت ممقوتة . أو أن ملكة النقد كانت على وشك النضج ، أو أنها كانت آخذة في الانتقال الى طريق صحيح . قال أبو عامر .

« وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ينحتون عن قلوب غليظة وقلوب كقلوب البمران ، والى فطن حمئة وأذهان صدئة لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في نور البيان ، سقطت اليهم كتب في البديع والنقد فهموا منها ما يفهم القرد اليباني في الرقص على الاثاقع والزمير على الألحان ، فهم يصرفون غرائبها تصريف من لم يرزق آلة الفهم ، ومن لم تكن له آلة الصناعة مما هي مخصوصة بها ، ولا تقوم تلك الصناعة الا بتلك الآلات . فهو كالخمار الذي لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور لتدوير رؤسفه ، واستدارة حافره . ولا له بنان يحبس بها .... ولو جاز أن يكون خمار يغنى .

مابال أنجم هذا الليل حائرة أضلت القصد أم ليست على فلك  
وشبهه من الرجال ان له حنكا ولسانا وقصبة ورثة ، لماجاز أن يقع بالضراب  
على الأوتار، ويتم بحبس الأنامل، ويرخي الوتر في مجرى السبابة والبنصر، فيببلبل  
بشيدته ، ويؤكول في ضربه على بسيطه . فهذه حالة العصابة من المعلمين : يدركون  
بالطبيعة ويقصرون بالآلة . وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة ، من  
فساد الآلة القابلة الروحانية والخدمة لآلات الفهم ، الباعثة لرقيق الدم في  
الشريئات الى القلب، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ وتقصانها عن المقدار الطبيعي .  
وما يعين على ذلك بالحس وطريق الفراسة فساد الآلات الظاهرة، كفرطحة الرأس  
وتسفيطه ، ..... والتواء الشدق ، وخزر العين ، وغلظ الأنف ، وانزواء  
الأربية»

أليس في هذا دليل على اطلاع أبي عامر بن شهيد على كتب العلم والفلسفة،  
على الرغم مما فيه من الغموض؟ وهل نجد بين أدباء العرب. في النقد الأدبي من سلك هذا الطريق  
العلمي؟ ان هذه لآراء ممتازة في النقد الأدبي العربي . وطريقة علمية تشبه ما حدث في  
الأدب عند أهل أوروبا في القرن التاسع عشر . وكان هذا يكون نموذجاً للنقد  
الصحيح وطرقه العلمية التي تصل أفكار الكاتب وآراءه بتكوينه العصبي وتركيبه  
الجسمي . ولكن واحداً من الأدباء الذين تكلموا عن أبي عامر بن شهيد لم يذكر  
له غير «شعره الرقيق ، وأسلوبه الرشيق، ومجونه الكثير وأدبه الوافر ...» الخ  
ان ابن شهيد من أفذاذ الأدباء المفكرين الذين أنجبتهم حركة العقول والادراك  
في الأندلس.





## الوزير ابن زيدون<sup>(١)</sup>

اقتربت الوزارة في الاندلس بالأدب . فكان الوزير كاتباً وشاعراً . وكان أشهر الكتاب والشعراء وزراء . وكانت الشهرة بالكتابة والشعر وفنون الأدب وفروع العلوم من وسائل الوصول إلى امتلاك الوزارة . فكان للوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب . وأصبحت منزلة الأدب كمنزلة الوزراء أنفسهم في الدولة . وظهر في الاندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك وتقلبوا في مراكز الدولة . وتغلبوا على شئونهم . وهم جميعاً من الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء وأهل الشورى وأعلام الحياة العقلية

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجيد بن، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخزومي الاندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأظهرهم ميزة في فنون الكلام وأساليب الشعر والبيان ، لأنه صورة من صور الأدب في الاندلس وصحيفة من صحف البلاغة هناك ، وثمرة من ثمار غرس العرب في بلاد المغرب

---

١ ليس لدينا عن ابن زيدون ما يدلنا على شيء من حياته المنزلية أو تربيته الأولى ، أو ما يتيح لنا الحكم على نفسه وأصل تربيته العقلية أو حياته الفكرية ولم يزد ابن خلكان عن بضعة أسطر نقلها عن كتاب الذخيرة لابن بسام . حتى أنهم لم يذكروا عن أبيه أبي بكر بن زيدون شيئاً سوى أنه كان من وجوه الفقهاء بقرطبة . وقال ابن خلكان عن ابن بشكوال في كتابه ( العلة ) انه أثنى عليه وكان يكنى أبا بكر وتوفي سنة ٤٠٥ هـ ودفن في قرطبة . وكل ما ذكر من صفاته أنه كان يخضب بالسواد . وفي بعض كلام الشعراء الذين رثوه ما يدل على أنه كان من أهل الفضل .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤هـ وتوفي بأشبيلية سنة ٤٦٣هـ وهو ثالث ثلاثة تسموا بابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب والده ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً للمعتد بن عباد ومات مقتولاً في آخر أيامه . وهم من أصل عربي كما أشرنا الى ذلك في كلامنا على القبائل التي نزلت الاندلس من العرب

كان أبوه قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة ، وعالماً وأديباً . مات سنة ٤٠٥هـ فكان عمر ابنه اذ ذاك احدى عشرة سنة . وكان أبو الوليد منذ حداثة ميالاً الى العلم والتعليم ، فاندفع يطلب لنفسه الكمال العقلي وكانت نشأته في قرطبة ساحة العلوم والآداب ، فالتكب على الدرس والبحث ، وأخذ الأدب عن رجاله المعروفين . وكان له ميل شديد لمولود العرب وفنون اللغة فحفظ منها شيئاً كثيراً ، كما عني كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء وأمثال العرب وحوادثها ومسائل اللغة ، حتى أصبح في مقدمة الشعراء والأدباء . واندمج في مجالس الأدب ، فصار علماً من أعلامها ودعامة من دعائمها . وكانت قرطبة لاتزال في أوج عزها على الرغم من أفول شمس بني أمية بها ، وأهلها في رخاء من العيش ، أكثرهم يميل الى العلم والأدب ومجالسة الأدباء . فامتلات المحافل والجامع بضروب اللهو والطرب ، وكان لابن زيدون خفة روح ودعابة وميل الى المجون ، فساعده ذلك على أن يسبق غيره وأن ينال شهرة واسعة بين أترابه .

وكان للنساء أثر عظيم في هذه المجالس . فاتجه الناس الى الاندماج فيها واستعذبوا هذا المورد ، وانصرفت همم الأدباء الى التفوق في هذا الميدان فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر . وكأنما ضاعت كل صبغة جدية في الجامع الأدبية فجزؤ الوزراء على المجاهرة بالمجون . وكان ابن زيدون أحد أبطال هؤلاء فجذب اليه الانظار .

وكان لولادة بنت المستكفي الخليفة الاموي شهرة عظيمة في قرطبة لجمالها وعلمها وأدبها. فوقع ابن زيدون في شركها ووقعت في شركه واشتمل كل منهما على صاحبه ، حتى حسد عليها وحسدها الناس عليه . وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو عامر بن عبدوس وهو كبير الحول والطول ، فتقرب الى ولادة حتى آماها اليه ، واغتصبها من صديقها ، وكانت ولادة ملت صداقة ابن زيدون واهمهته بعدم الاخلاص لها ، كما اتهمها بذلك أيضاً ، فببت عاصفة من الجفاء بينهما شتتت من شملهما وحالت بين قلوبهما . لذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره واستولى على قلب ولادة . ثم حدث ان رجعت الى ابن زيدون فكتب عن لسانها لابن عبدوس رسالته الشهيرة الهزلية . ثم استأثر بها ثانية ابن عبدوس فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وهكذا كانت حال الوزراء وأرباب الدولة وعقول الادباء وأصحاب الاقلام والمفكرين . وهذه الحادثة من أكبر الحوادث في حياة ابن زيدون .

عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودسائس ، وتربى ودرج في ذلك وتقلد الوزارة فيها ، لأنه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، فكان من اشيع ابن جهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه الملك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٢٣٣هـ وعملت منزلة ابن زيدون هناك فاتخذ ابن جهور وزيراً له فملك أزمة الامور ، وكان أقرب الناس الى سيده الذي استعان به كثيراً في المسائل السياسية وتأمين الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين لذلك نه ودهائه ، فكانوا يحسدون ابن جهور على الاختصاص به . وحدثت حوادث أغرت عليه ضدور كثير من منافسيه وحاسديه على فضله ومنزلته ، فحملوا عليه عند ابن جهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلاً . فاستغفر واستعطف بما يلين من أجله



الحديد ، فلم يفلح في ارضاء الامير فعزم على اعمال الحيلة والهرب من السجن .  
واختفى بقرطبة الى ان استشفع بابي الوليد بن جهور عند أبيه أبي الحزم  
حتى شفع له . وجعله أبو الوليد بعد موت أبيه من المقدمين في دولته . ولكن  
ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقاءه في قرطبة . فهاجر الى اشبيلية سنة ٤٤١  
ودخل في حاشية المعتضد بن عباد وصار وزيراً لابنه المعتضد وبقى هناك الى آخر عمره .  
هذه حياته وأخلاقه وقد ذكرها في شعره ونثره ومنها يرى ان حركات  
عقله كانت تقفو ذلك خطوة بخطوة . فكانت حياته العقلية نتيجة هذه  
الحياة . لذلك يمكن أن تقسم آثاره الأدبية الى أقسام ثلاثة : عشقه لولاده وأثر  
ذلك في نفسه وما كتبه في هذا . ثم مدحه لابن جهور وابن عباد . ثم أثر السجن  
في حياته العقلية .

## شعر ابن زيدون

كان لاخلاق ابن زيدون والبيئة التي عاش فيها وميول الناس الى اللهو اثر عظيم في شعره . فقد كان للمجون مساحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في الغزل ، وكثير من شعره في ذلك كان منبعثاً عن ثوران في نفسه وغليان في ميوله واهوائه ، اذ كي ذلك كله حبه لولادة . فان عشقه هذا فتح له باباً واسعاً من الخيال قال فيه ماشاء وشاءت عواطفه أن توحى اليه . كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باعثاً من بواعث استنهاض ملكة الشعر فيه والهاماً من الهاماته الفنية .

وشى به أعداؤه وحاسدوه الى ابن جهور ، وكاد له منافسوه في حب ولادة حتى نالوا منه ، وشفوا غلتهم بحمل ابن جهور على سجنه بعد ان أحله منزلة الوزير يدبر ملكه ، وبعد ان ائتمنه وعرف له رأيه السيد وبراعته في ادارة الأمور وسلمه زمام الدولة . ولم يكن لابن جهور أن يخطئ في نظره لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وصحته ، فاذا نال ابن زيدون مكانة في نفس ابن جهور فقد كان ذلك عن جدارة واستحقاق . ولكن أعداءه تمكنوا من ابن جهور فغضب عليه وأمر بسجنه ، فأثار هذا السجن من نفس ابن زيدون عاصفة فنية جديدة رقت من خياله الشعري أثارتها آلامه فأخذ يئن أيننا جيلاً ويفتن في آلامه ووصفها والتعبير عنها مرة شعراً ومرة نثراً ... والفنى يمزج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر . ولقد كانت نفس ابن زيدون من النفوس الدقيقة الادراك ، التي اذا أنت تن أنين الموسيقى ، واذا شكت تشكو شكاة القلوب المملوءة شعوراً

الواسعة التصور والادراك الدقيق الجميل ، الذى يجعل الشكوى جميلة والكلام فيها جميلا .

كتب ابن زيدون من السجن الى صديقه أبى حفص . من برد يشكو ويتن من بلواه ، وهو ينهضه الأمل مرة ويقعده اليأس أخرى . ولا يترك شاردة تمر بخاطره الا أهدأ بها نفسه وتسلّى بها عن آلامه . يستسلم أحيانا الى القضاء فيشعر فى نفسه براحة واطمئنان ، ويقلب أمامه صفحات الايام فلا يعجب من الحوادث التى ألمت به . ويرجع الى صديقه فيسليه هو بنفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتسليته ، لان السعادة خلّسة . ثم يعود فيذكر اعداءه ويبلغهم منه ويبين ان ذلك ليس بالمعجب لانه

ان قسا الدهر فللماء من الصخر ابجاس  
ويرى انه حسد لكاته ، ويمزج ذلك بالعبور والحكم والسخرية والتهكم من أحوال العالم وحوادث الحياة ، ويرجع أبنه وألمه وحقده على الناس ولا سيما حاسديه ، ويضرب المثل كي يسكن من نفسه ، وهو فى ذلك كمادته فى الشكوى : يهبط مرة الى الدرك الأسفل من اليأس ، ويرتفع أخرى الى ذروة الرجاء ، وكأنه فى شجار مستمر بينه وبين نفسه وشعوره . كل هذه المعانى فى أبيات قليلة بأسلوب جميل رقيق ، يكاد يلمح الانسان فيها خاطره المضطرب المتماوج . حيث يقول :

ما على ظنّي باس<sup>١</sup> . يجرح<sup>٢</sup> الدهر<sup>٣</sup> . ويأس<sup>٤</sup>  
ربما أشرف<sup>٥</sup> بالمرء<sup>٦</sup> على الآمال يأس<sup>٧</sup>  
ولقد ينجيك اغفا<sup>٨</sup> ل<sup>٩</sup> ويردّيك<sup>١٠</sup> احتراس<sup>١١</sup>  
والمحاذير<sup>١٢</sup> سهام<sup>١٣</sup> والمقادير<sup>١٤</sup> قياس<sup>١٥</sup>  
ولكم<sup>١٦</sup> أجدي<sup>١٧</sup> قعود<sup>١٨</sup> ولكم<sup>١٩</sup> أكدي<sup>٢٠</sup> التماس<sup>٢١</sup>  
وكذا الحكم اذا ما عز<sup>٢٢</sup> ناس<sup>٢٣</sup> ذل<sup>٢٤</sup> ناس<sup>٢٥</sup>

١ بداوى من آسى الجرح داواه ٢ قياس هنا جمع قوس ٣ اكدي بخل أو قل خيره



وبنو الأيام أخيا      ف<sup>١</sup> سرّاة<sup>٢</sup> وحسّاس<sup>٣</sup>  
 نلبس الدنيا ولكن      متعة ذاك اللباس<sup>٤</sup>  
 يا أبا حفص وما سا      واك في فهم ايلس<sup>٥</sup>  
 من سنا رأيك لي في      غسق الخطب اقتباس<sup>٦</sup>  
 وودادى لك نص      لم يخالفه القياس<sup>٧</sup>  
 أنا حيران وللأم      سر وضوح والتباس<sup>٨</sup>  
 لا يكن عهدك ورداً      ان عهدى لك آس<sup>٩</sup>  
 وأدر ذكرى كأسا      ما امتطت كفك كأس<sup>١٠</sup>  
 فعسى أن يسح الدهر      سر وقد طال الشّمس<sup>١١</sup>  
 واغتم صفو الليالى      انما العيش اختلاس<sup>١٢</sup>  
 ما ترى في معشر حا      لوا عن العهد وخاسوا<sup>١٣</sup>  
 أذوب هامت بلحمى      فانهاب وانتهاس<sup>١٤</sup>  
 كلهم يسأل عن حا      لي وللذئب اعتساس<sup>١٥</sup>  
 ان قسا الدهر فلما      من الصخر انبجاس<sup>١٦</sup>  
 ولئن أمسيت محبوسا      فللغيث احتباس<sup>١٧</sup>  
 ويفت المسك في التر      ب فيوطى ويداس<sup>١٨</sup>

هذه نفحات القلوب ، وهذا هو الشعر الذى يستولى على النفس ويلهمها  
 الحكمة والعبرة ، وهذا هو جمال القول . ليس ذلك لأنّه مطرب مرقص بوزنه  
 وقافيته . بل لأنّه ساحر بمعانيه وجماله . كل معنى فيه تحتاج اليه النفس

١ مختلفون ٢ أشراف ٣ أدنياء ٤ العصيان ٥ غدروا ٦ مثل الانتهاش وهو الاكل  
 بمقدم الاسنان ٧ تجسس

في مثل هذه المواقف . ولقد كانت هذه المعاني سائغة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله،  
 معبر عن شعوره يرسم صورة من نفسه الحزينة المتأللة . لهذا كان الشعر جميلاً .  
 وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا بالفخر بنفسه ، وأمعن في ذلك ، وكأنما كان  
 يبكي حظه ويندبه بهذا الأسلوب الفخري . أو كأنما كل معنى من هذه المعاني كانت،  
 تهذا خاطره وترج نفسه . فلما مدح ابن جهور مدحه في قالب استعطاف ،  
 وتوسط بين المدح الخالص والعتب الجدي . وقد ظهر بنفس كبيرة وأنف أشم  
 حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور ، فكان عاتباً أشد منه مادحاً ، لانه  
 كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا ينسى الفخر بنفسه ، ولا يريد أن يملأ  
 عليهم ولو همساً انه في موقف مذلة . وكأنه كان يتسلى بهذا ، لانه يرى ان أعداؤه  
 لم ينالوا منه الا لأنه فاقهم بعلمه وفضله . حتى انه قال متهمكاً .

ولو أنني أسطيع كي أرضى العدا شريت ببعض العلم حظاً من الجهل  
 فقال:

ألم يأن أن يبك الغمام على مثلى	ويطلب ثأري البرق منصلت النصل
وهلا أقامت أنجم الليل مائماً	لتندب في الآفاق ماضع من نبلى
فلو أنصفتني وهي أشكال همتي	لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي
لعمرك الليالي ان يكن طال عمرها	لقد قرطست بالنبل في مقتل النبل <sup>١</sup>
تحلت بآدابي وان مآربي	لسارحة في عرض امنية عطل <sup>٢</sup>
اخص لفهمي بالقلبي وكأنما	يبيت لدى الفهم الزمان على دحل <sup>٣</sup>
وأجفني على نظمي لكل قلادة	مفصلة السمطين بالمنطق الفصل

١ النبل بفتح النون السهم وبضمها الشرف ٢ لا فائدة فيها من عطلت المرأة اذا خلا  
 حيدها من القلائد ٣ الدحل الحقد

ولو أننى أسطيع كي أرضى العدا      شريت ببعض العلم حظاً من الجهل  
وان رجائى فى الأمام ابن جهور      لمستحكم الأسباب مستحصد القتل  
كريم عريق فى الكرام وقلم      يرى الفرع الاستمداد من الأصل  
يرف على التأميل لآلاً بشره      كما رف لآلاً الحسام على الصقل  
ويغنى عن المدح اكتفاء بسروها      غنى المقلة الحكلاء عن زينة الكحل  
أبا الحزم أنى فى عتابك مائل      الى جانب تأوى اليه العلا سهل  
حامى شكوى صبحتك هوادلا      تناديك من أفنان آدابى الهدل

وكل قصائده التى أرسلها يستعطف بها ابن جهور هى أثر ذلك الشقاء الذى لقيه  
فى سجنه ، وصورة من صور البؤس الذى حرك شعوره وفتق من لسانه ، وأثار  
فى نفسه عواطفه الشعرية المظلمة المملوءة همماً وغماً .

ولكن أسلوبه فى الشكوى والاستعطاف واحد فى نظمه ونثره . وما أشبه قصائده  
فى ذلك وما فيها من المعانى برسائله الجدية . وكأنما كان فكره سجيناً مثله من شدة  
تألمه فى السجن ، فانه لم يخرج عن عادته فى ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وانه  
أفضل انسان وأكرم من دب على وجه الارض .

غير أن كلامه مع ذلك عذب المذاق ، رقيق الحاشية ، جذاب خلاب ، تظهر  
عليه سيما الابتكار والصدق فى التعبير ، فانه ليس من الخيالات الشعرية الصرفة  
بل به كثير من الحقائق التى كان يملها عليه شعوره كما قال :  
ماجال بعدك لحظى فى سنا القمر      الا ذكرك ذكر العين بالأثر  
ولا استطلت ذمء<sup>٢</sup> الليل من أسف      الا على ليلة سرت مع القصر  
الى أن قال :

---

١ رفته وعلو شأنه ٢ الذمء بقية الروح يريد مابقى من الليل



فهمت معنى الهوى من وحي طرفك لى      ان الحوار لمفهوم من الحدود  
كَمْ يسأل الناس عن حال يشاهدها      محض العيان الذى يغنى عن الخبر  
لم تطو بُرد شبابى كبرة وأرى      برق المشيب اعتلى فى عارض الشعر  
قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كُثِبَ<sup>١</sup>      وللشبيبة غصن غير مهتصر  
يا للرزايا لقد شافيت منها      غمراً<sup>٢</sup> فما اشرب المكروه بالغمر<sup>٣</sup>  
لا ينهى الشامت المرتاح خاطره      أتى معنى الأمانى ضايح الخطر  
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة      أم الكسوف لغير الشمس والقمر  
ان طال فى السجن الداعى فلا عجب      قد يودع الجفن حد الصارم الذكور<sup>٤</sup>  
وان يثبط أبا الحزم الرضى قدر      عن كشف ضرى فلا عتب على القدر  
من لم أزل من تأليه على ثقة      ولم أبت من تجنبه على حذر  
وكتب الى أحد أصدقائه وهو مخنف بقرطبة بعد قراره من السجن فقال  
«... وبلغنى أنك أحد اللائمين لى، ومن أمثالهم: ويل للشجى من الخلي<sup>٥</sup>  
وهان على الأملس ملاقى الدبر<sup>٦</sup>. وعلمت ان العاجز من لا يستبد، فالمرء يعجز  
لا محالة. ولم أستجز أن أكون ثالث الأذلين، العير والوتد، وتذكرت أن  
الفرار من الظلم والحرب مما لا يطاق من سنن المرسلين، وقد قال تعالى على لسان  
موسى: ففررت منكم لما خفتكم. فنظرت فى مفارقة الوطن، فقدماً ضاع الفاضل  
فى وطنه، وكسد العلق<sup>٧</sup> فى معدته. كما قال:

أضيع فى معشري وكم بلد      يكون عود الكبراء<sup>٨</sup> من خطبه  
فاستخرت الله فى انفاذ العزم. وأنا الآن حيث أمنت بعض الأمن، الا ان

١ قرب ٢ الغمر الكثير ٣ الغمر قدح صغير يريد انه كثير البلوى ٤ سيف ذكر  
حاد ٥ الشجى المشغول ٦ مثل يضرب فى سوء اهتمام الرجل بشأن أخيه والدبر الذى فى  
ظهره قرحة والأملس صحيح الظهر ٧ العلق النفيس ٨ الكبراء العود المتبخرة

الغنى لم يرتفع، ومادة البغى لم تنقطع .

شحننا وما بالدار نأى ولا شحط  
أحبابنا ألوت بحادث عهدنا  
لعمركم ان الزمان الذى قضى  
واما الكرى مذم أزركم فهاجر  
وشط بمن نهوى المزار وما شطوا  
حوادث لا عهد عليها ولا شرط  
بشت جميع الشمل منا لمشتط  
زيارته رغب والماء فرط  
الى ان قال :

هرمت وما للشيب وخط بمفرقى  
وطاول سوء الحال نفسى فاذكرت  
وانى لراج أن تعود كبديها  
وحلم امرى تعفى الذنوب لعفوه  
ولكن لشيب الهم فى كبدي وخط  
من الروضة الغناء طاوها القحط  
لى الشيمة الزهراء والخلق السبب<sup>١</sup>  
وتمحى الخطايا مثل ما محى الخط  
فمالك لا تختصني بشفاة يلوح على دهري لميسمها علط<sup>٢</sup>

الى آخر ما قال فى هذه القصيدة التى هى من أبدع قصائد الشكوى وأجمعها لذكر  
الماضى والحاضر والمستغفار والاستعطاف ، والسرور بذكر ما انقضى والبكاء  
على الحاضر ، وهى أيضاً أظهر فى لهجتها الجدية من كثير من شعره . ولذلك  
كانت أجف فى أسلوبها ومعانيها ، ليس بها تلك الرقة المعهودة فى كلامه .  
كل ذلك هاجه السجن وما تدوقه من الآلام ، فرسمه فى شعره . لأنه رجل  
فنى عرف كيف يصور ما يشعر به ويعبر عما يجول بخاطره .

ولقد يلاحظ الانسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة عن تفكير

---

١ يريد الخلق الكريم يقال رجل سبط اليدىن كريمها وسبط الجسم حسن القدر فهى من  
صفات المدح ٢ الميسم أثر الحسن والعلط سواد يزين به الوجه

طويل أو علم واسع . وانما هو خيالياً أكثر منه مفكراً ، وشاعراً أكثر منه عالماً .  
وهذه كل حال شعره ونثره .

أما مدحه ورنائؤه فهما في الدرجة الأخيرة من شعره ، لانه على جمال أسلوبه  
في ذلك ، وحسن تصرفه في المعاني ، لا يكاد يعثر الانسان فيه على معنى جديد ولا رأى  
خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاء من المعاني من قبيل معارضة غيره من الشعراء  
والاخذ بمعانيهم ممزوجاً ذلك بما له من البراعة والصناعة والافتنان .

ومن أجمل قصائده في ذلك كلامه في المعتضد بن عباد وابنه المعتمد<sup>١</sup>  
ومن أرق كلامه في الشكوى ، وأقرب عباراته وصولاً الى القلوب بكأؤه  
على الماضي ، والتلذذ بذكره وما كان فيه من النعيم كقوله :

الهوى في طلوع تلك النجوم      والمنى في هبوب ذاك النسيم  
سرّاً عيشنا الرقيق الحواشي      لو يدوم السرور للمستديم  
وطراً ما نقضى الى أن تقضى      زمن ما زمامه بالذميم  
أيها المؤذنى بظلم الليالى      ليس يومى بواحد من ظلوم  
ولقد كان ينظر الى أيامه الماضية فيحن اليها حنيناً مؤلماً ، فاذا قرأت  
شعره في ذلك رأيت نفسك كأنك واقف على أطلال سعادته البالية ، فبكي  
وبكيت معه . كما قال :

ألا هل الى الزهراء أوبة نازح      تقضت مبانها مدامعه نزحاً  
مقاصير ملك أشرقت جنباتها      نخلنا العشاء الجون<sup>٣</sup> أثناءها صبحاً  
يمثل قرطبيها لى الوهم جهرة      فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحاً

---

١ راجع قصيدته التي يرثي بها المعتضد ويمدح المعتمد ابنه في نفع الطيب طبع أوروبا  
ج ٢ صفحة ٦١٤ ٣ الجون يطلق على الأبيض والأسود والغرض منه الأسود



محل ارتياح يُذكر الخلد طينه  
هناك الحمام الورق<sup>١</sup> تندى خفافها  
نعوضت من شدة القيان<sup>٢</sup> خلاها  
ومن حملى الكأس المفدى مديرها  
إذا عز أن يمسي الفتى فيه أو يضحا  
ظلال عهدة الدهر فيها قى سمحا  
صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا  
تقحم أهوال حملت لها الرمحا

---

١ التى فى لونها يابض ممزوج بسواد ٢ الجوارى



## الغزل في شعر ابن زيدون

يتبين من أحوال الاجتماع في الأندلس ، وميول النفوس واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من الأديبات في مجالس اللهو والطرب ، ان المرأة شغلت جزءاً عظيماً من أوقات الرجال المفكرين ، وملأت رؤوسهم كما أن مجالس الشرب كان لها سلطان عظيم على نفوسهم . فكانت المرأة تحرك العواطف والشعور ، والخر تدير العقول وتعمل عليها القول ، وتفتح أمامها طرق التصور والخيال . والعقول ثَمَلَةٌ بنشوة الغرام ، والرؤوس مُثْقَلَةٌ بحرارة المدام ، والناس لا يفوتهم الطرب ، ولا يريدون أن يتواروا عنه لمُلقته بنفوسهم ، حتى في أشد المحن . فقد رأينا ان ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حفص بن برد يقول :

وأدر ذكرى كأساً ما امتطت كفك كأسُ

واغتشم صفو الليالي انما العيش اختلاس

وقع ابن زيدون في شرك ولادة بنت المستكفي بالله ، وكانت خليعة ماجنة بارعة في الجمال أدبية شاعرة ، ذات مكانة رفيعة بين الأدباء « تناضل الشعراء وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء ... خرجت على نهاية في الأدب والظرف حضور شاهد ، وحرارة أو ابد ، وحسن منظر ومخير ، وحلاوة مورد ومصدر . وكان مجلسها بقرطبة منتدًى لأحرار المصير ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعيش أهل الأدب الى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وسهولة حجابها وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب ، وطهارة أثواب ، على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ... » وقالوا « انها



كانت بالمغرب كهلية بالمشرق ، الا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق . وأما  
الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها . وكان لها صنعة في  
الغناء : وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمر فيه من النادر وانشاد  
الشعر كثير لما اقتضاه عصرها ..... وكانت من الأدب والظرف ، وتمتيع السمع  
والطرف ، بحيث تختلس القلوب والألباب ، وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب «  
فقال ابن زيدون رضاها ، ووقع من نفسها كما وقعت هي من نفسه ، حتى كتبت  
اليه تضرب له موعداً فقالت :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي      فاني رأيت الليل أ كتم للسر  
وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح      وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر  
قال أبو الوليد : « فلما طوى النهار نوره ، ونشر الليل نيره أقبلت بقدر  
كالقضيبي ، وردف كالكثيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل .  
فلما الى روض مديح ، وظل سجسج ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل  
أنهاره ، ودر الطل منشور ، ورحيق الراح مزور . فلما شربنا نارها ، وأدركت  
منا ثارها ، صرح كل منا بحبه وشكا ما بقلبه ... وأنشدتها :

ودع الصبر محب ودعك      ذائع من سره ما استودعك  
يقرع السن على أن لم يكن      زاد في تلك الخطى اذ شيعك  
ياأخا البدر سناء وسنا      حفظ الله زمانا أطلعك  
ان يطل بعدك ليلى فلکم      بت أشكو قصر الليل معك  
وكتبت اليه بعد ذلك تقول :

الاهل لنا من بعد هذا التفرق      سبيل فيشكو كل صب بما لقي  
الى ان قالت .

تمر الليالى لا أرى البين ينقضى      ولا الصبر من رِق التشوق معتقى  
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا      بكل سكوب هائل الوبل مغدق

لا تريد الآن أن نتكلم في العشق وأثره في النفس وما يوحيه من روائع القول وجمال الفكر حتى. عند عامة الناس ، فإن تاريخ الانسانية حافل بحوادثه . ولكننا نقول ان العشق في كلام العرب أو شعر الغزل كما يسمونه ، ليس من المسائل الهزلية . لأن الشعر الذي هو وحي النفوس وجمال الادراك الانساني ، أكثر ما يكون ظهوراً في التعبير عن الحب ، ووصف هذا الضعف الانساني الذي نسميه عشقاً ، . فان العشق ادراك أكبر مظاهر الجمال في الحياة . ومن لم يفتح قلبه يوماً ما ، لم يدرك أسرار الحياة ، ولم يرغب ظواهرها ولم يتسرب الى نفسه بصيص ضوء من جمال الكون . ان جمال مظاهر الحياة وأسرار النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية . والعشق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في الشعر ، لأنه مصدر الشعر الخيالي الجميل . لذلك كان أجمل الشعر ما يكشف عن سر من أسرار النفوس ، ويفتح القلوب . ويظهر مكنونات الانسان وأخلاقه وآلامه وآماله .

ان النساء منبع من منابع الشعر . والشعراء مدينون لهن بأفضل الصفات لديهم وهي وصف شعور الناس . والشاعر الذي يشعر بالحب لا يتكلم عن نفسه فحسب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأينهم فيتألم ويئن معهم . وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب للنفس من سماع هذا الأنين. ان الشاعر يصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ورنات مايجول بها من المعاني ويدفعها الى النفوس فتصبو اليها ، ويذيمها بين العشاق فيرى كل قلبه وكأنه ينظر في مرآة يرى فيها صورته . وذلك لا يكون الا في الشعر.

فاذا اخطأ العرب في امعائهم في هذا النوع والاكثر منه ، فقد اخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتقليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وظنهم أن كل

قلب يحب بشكل واحد، وان صلة الحب بمظاهر الجسم قوية متينة ، وان المعانى محصورة فى ذلك .

ولكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المقلدين ، بل من الذين كانوا يجولون جولات واسعة فى الخيال ، فكان فنياً مبدعاً. أرأيت شعراء الغرب كيف يطنبون فى وصف الأمكنة التى اجتمعوا فيها مع صديقاتهم، وهم يتخذون ذلك وسيلة لأمرين : الأول احياء ذكرى تلك الأيام والأمكنة وما فيها ، اذ كل شىء هناك كان يشهد حبهم ويعطف على عشقهم، وتلك الأمكنة جميلة لأنها احتوت عليهم، والأضواء التى كانت تسطع عليهم والأشجار التى كانت تظللهم، والكواكب التى كانت تتجسس أخبارهم ، جديرة بأن لا تنسى ، لأنها أثر من آثار العشق .

الثانى ان الشاعر الفنى يفر من التكرار، ويعرف ان معانى العشق والحب سرعان ما تنفد، فهو يتحايل على بث شىء من المعانى الأخرى التى لها صلة بذلك ، كي يتسنى له أن يجول فى ميدان أوسع ليصل الى التعبير عن مراده ، أو يمنع العقول من أن يدركها الملل . فهو يستعين بذلك كما يستعين المصور الماهر بالألوان ل اظهار الصورة التى يريد أن يبرزها . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء الفنانين أو قريباً منهم . فقد التجأ الى مدينة الزهراء الجميلة فى أيام الربيع ، يريد أن يسلى نفسه ويخفف عنها من أثر حبه ولأدلة ، فذكر فى شعر أرسله اليها كل ما كان يحيط به اذ ذاك ، وأبدع أيما ابداع ، وافتن افئنانا عظيماً فى ذلك . فقال :

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا	والأفق طلق ووجه الأرض قدراقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله	كأنما رَقَّ لى فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم	كما حَلَلَّتْ عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت	بتنا لها حين تام الدهر سراقا
نلهوا بما يستميل العين من زهر	جال الندى فيه حتى مال أعناقا



كأن أعينه اذ عاينت أرقى      بكت لما بى فجال الدمع رقرقا  
 ورد تألق فى ضاحى منابته      فازداد منه الضحى فى العين اشراقا  
 سرى ينافحه نيلوفر عبق      وسان نبه منه الصبح أحداقا  
 كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا      اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا  
 لو كان وفى المنى فى جمعنا بكم      لكان من أكرم الأيام أخلاقا  
 لا أسكن الله قلبا عن ذكركم      فلم يطر بجناح الشوق خفاقا  
 لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا      وآفاكم بفتى أضناه مالاقا  
 كان التجازى بمحض الود من زمن      ميدان أنس جرينا فيه اطلاقا  
 فالآن أحمد ما كنا لعهدهم      سلوتمو وبقينا نحن عشاقا

واذا كان لابن زيدون ميزة فى شعره الغزلى فليس ذلك فى ابتكار المعانى  
 التى لم يسبق اليها ؛ وانما هى فى طريقة تصويرها بعبارات تملك النفوس وتستولى  
 على القلوب . وكأن الانسان لم يقرأ مثلها ولم يسمع بما يشبهها لجودة الاقتنان  
 فى التعبير و الإسلوب . كما فى قوله :

اليك من الأنام غدا ارتياحى      وأنت من الزمان مدى اقتراحى  
 وما اعترضت هموم النفس الا      ومن ذكراك ريمحائى وراحى  
 فديتك ان صبرى عنك صبرى      لدى عطش عن الماء القراح  
 ولى أمل لو الواشون كفوا      لأطلع غرسه ثمر النجاح  
 وأعجب كيف يغلبنى عدو      رضاك عليه من أمضى سلاحى  
 ولما أن جلتك لى اختلاسا      أكف الدهر للحن المتأاح  
 رأيت الشمس تطلع فى نقاب      وغصن البان يرقل فى وشاح  
 فلو أسطيع طرت اليك شوقا      وكيف يطير مقصوص الجناح

وحسبى أن تطالعك الأمانى بأقنك فى مساء أو صباح  
فؤادى من أسى بك غير خال وقلبي من هوى لك غير صاح  
وان تهدى السلام الى شوقا ولو فى بعض أنفاس الرياح  
ولقد يسمع الانسان أئينه فى شعره ، ويرى نفسه الحزينة من خلال كلامه ،  
وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك القلق النفسى للذين يملآن نفوس العشاق ويمنعان  
عنهم راحة الحياة ولذاتها على أنه يلتذ لذكر محبوبته وتذوق الآلام فى سبيلها .  
فيقول :

متى أبينك ما بي	ياراحتى وعذابى
متى ينوب لسانى	فى شرحه عن كتابى
الله يعلم أنى	أصبحت فيك لما بي
فلا يلد منامى	ولا يسوغ شرابى
يا فتنة المتعزى	وحجة المتصايبى
الشمس أنت توارت	عن ناظرى بالحجاب
ما البدر شف سناه	على رقيق السحاب
الا كوجهك لما	أضاء تحت النقاب

ولقد بلغ درجة من التعبير يحمل بها القارئ على الاعتقاد بأنه مخلص كل  
الاخلاص فى حبه ، وأن حبه هذا هو كل أمنيته . وأنه يرى فى سبيل العشق ما  
لا يراه غيره ، ويهون عليه كل شيء فى سبيل ارضاء حبيبته حتى حياته . وهو  
نفور بهذا كما قال :

أنى تضيع عهدك أم كيف تخلف وعداك  
وقد رأيتك الامانى رضى فلم تتعدك

يأليت شعري وعندي ما ليس في الحب عندك  
هل طال ليلى بعدى كطول ليلى بعدك  
سكنى حياتى أهبها فليست أملك ردك  
الدهر عبدى لما أصبحت في الحب عبدك

على أننا لا نبرىء ابن زيدون من التصنع أحيانا فيما يقول لأنه كان كغيره  
من الشعراء يعبر عن غير شعور ، فان تمكنه من الصناعة كان يفتق لسانه بقول  
الشعر . كما قالوا ان السلطان أمره ان يعارض قطعاً كان يغنى بها ، واستحسن  
ألحانها ، فانشأ أبياتا كأنها صادرة من عاشق متيم ، وضمنها مدح السلطان . فقال :

يقصر قربك ليلى الطويلا ويشقى وصالك قلبى العليلا  
وان عصفت منك ريح الصدود فقدت نسيم الحياة البليلا  
كما أننى ان أطلت العثار ولم يبد عذرى وجهاً جميلا  
وجدت أبا القاسم الظافر الـ مؤيد بالله مولى مقيلا  
لا قلامه فعل أسيفه يظل الصرير يبارى الصليلا

وفى بعض كلامه ، ما يدل على أنه كان يتصيد الالفاظ والمعانى التى قيلت فى  
العشق ، فينظمها ويلبسها ثوبا جديدا وكأنها له ، وقد برع براعة عظيمة فى ذلك  
كما . قال :

يا غزالا أصارنى موثقا فى يد المحن  
إئننى منذ هجرتنى لم أذق لذة الوسن  
ليت حظى اشارة منك أو لحظة تعن  
شافى يامعذبى فى الهوى وجهك الحسن  
كنت خلوا من الهوى وأنا اليوم مرتين  
كان سرى مكثما وهو الآن قد علن



ليس لي عنك مذهب فكاشئت لي فكن  
وهو في كل كلامه مبدع مجيد متفوق على غيره ، خفيف الروح عذب  
الالفاظ سهل الأسلوب .  
أما نوبته التي أرسل بها الى ولادة وبثها كثيراً من شعوره وآرائه المختلفة.  
فهي على شهرتها وجمالها ككل شعره ولذلك لم نذكرها

## نثر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برساليته الجدية والهزلية . أما الأولى فهي التي كتبها في سجنه يستعطف بها ابن جهور ، وأما الرسالة الهزلية فكتبها على لسان ولادة يتهم على ابن عبدوس وينال منه لمشاركته في غرامه .

اشتهر ابن زيدون بهاتين الرسالتين لجودة أسلوبهما النادر المثال، ولاحتوائهما على كثير من الاسماء التاريخية والأمثال العربية، واقتباس أبيات من الشعر معروفة وقعت في صوغ الكلام وكأنها عملت من أجله، أو قيست على سمته . وليس من السهل معرفة الاقتباس وأمكانته ، ولا من الهين أن يخوض الانسان غمار الأدب الواسع ويسهل عليه الاختيار منه ، ويحفظ نفسه من الضلال في نواحيه ويميز بين الجيد وغيره، ويختار ما يناسب المقام ، ويكون ذلك مقبولا لدى النفس ثم يصوغ ذلك كله في قالب واحد ويضم بعض أجزائه الى بعضها ويمخضه كما يمحض الزبد فلا يتنافر منه جزء مع آخر .

ان الكلام على هذا النحو لا يصعب من الابتكار في التأليف المبتدأ، وكما قرب الى القارئ الأسلوب وصعب عليه معرفة تأليفه ، شعر بسعة اطلاع الكاتب ، وأعجب به وكبرت في نفسه منزلته . وكما فاجأه اسم لم يكن يخطر له ببال ، أو رأى كان بعيداً عن ذهنه ، أو تلميح الى قصة لا يظن أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو عبارة تحرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل انعط به ، أو ذكر رجل شهير يمجده ، أو نكتة تسر بها نفسه ، أو مسألة فنية يرتاح لها ويلتذ بذكرها ، زاد أعجابه بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل انسان

غير قادر على ذلك ، وان هذه صفة يمتاز بها الكاتب عن سواه . كل ذلك في نثر ابن زيدون وهو من دواعي الإعجاب بأسلوبه في رسائله . فقد عرف كيف يأتي في كتاباته بالتناسق في المعاني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا التناسق في التأليف والجمع وكيف يتصيد كلام غيره ويرصفه رصفا جميلا ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه منهجا جمع فيه كل معوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه ، فكانت رسائله أنيقة جميلة ، وكان كالمهندس الماهر الذي يعرف كيف يجمع بين الحجر والحجر ، والمصور الفنان الذي يؤلف بين اللون واللون .

ولقد حاول ابن زيدون في رسالتيه الوصول الى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يحسم بها المعنى في نفس القارئ لتنهال عليه المعاني ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا فعلها . فكل ما ذكره من الأمثلة المقتبسة والمعاني المختارة قصد به توضيح ما يريد .

ففي رسالته الجدية أراد أن يستعطف ابن جهور ، ويبرئ نفسه مما اتهم به وينكل بأعدائه . فبدأ رسالته بالاستعطاف وهو يستدل نفسه تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر إخلاصه له ويتعلق اليه أخرى . ويعتذر عنه فيما وقع منه في حقه ، ثم يبين له شدة ألمه من شماتة أعدائه فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به ، وامتدادى منه ، ومن أبقاه الله ماضى حد العزم ، وارى زَند الأمل ، ثابت عهد النعمة . ان سلبتني أعزك الله لباس نعمائك ، وعظمتني من حُلِي اِيناسك ، وأظمأتني الى برود اسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى الى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائى عليك ، وأحس الجمد باستحمامى اليك ، فلا غرو قد يَغص الماء شاربته ، ويقتل الدواء المستشفى به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمنى في أمنيته ، والحين قد يسبق جهد الحريص .



كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شامة الأعداء  
وأنى لا تجلد ، وأرى للشامتين أنى لريب الدهر لا أتضعضع . فأقول: هل أنا  
الأيدي أدامها سوارها ، وجبين عض به اكليله ، ومشرقي ألصقه بالأرض  
صاقله، وسمهريّ عرضه على النار مثقفه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذى يقول  
قسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم»

ثم أخذ يتعلل بالآمال ، ويضرب فى ذلك الأمثال ، ليسلى نفسه ويهدئ  
منها بعبارات شعرية يريد أن يؤثر بها فى نفس المرجو ، ويحمده على كل شيء ،  
كما يحمد الله على السراء والضراء . فقال:

«هذا العتب محمود عواقبه، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة  
صيف عن قليل تَقَشَّع . ولن يرينى من سيدى أن أبطأ سَيَّبه ، أو تأخر غير  
ضنين غناؤه، فأبطأ الدلاء فيضا أملؤها وأثقل السحائب مشيا أحفلها، وأنفع الحيا  
ما صادف جدبا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلا، ومع اليوم غد، ولكل أجل كتاب.  
له الحمد على اهتباله، ولا عتب عليه فى اغتفاله

فإن يكن الفعل الذى ساء واحدا فأنفعاله اللاتى سررن ألوف»

ثم وقف المذلة وكانما يسمع الانسان بكاءه فى كلامه ، واستصغر ذنبه  
فى ساحة عفو سيده ، وفى جوار ما ارتكبه غيره من الذنوب الكبيرة ، فقال :

«وأعود فأقول: ما هذا الذنب الذى لم يسمعه عفوك؟ والجهل الذى لم يأت من  
ورائه حاكم؟ والتطاول الذى لم يستغرقه تطولك؟ والتحامل الذى لم يف به  
احتمالك . ولا أخلو أن أكون بريئا فأين العدل؟ أو مسيئا فأين الفضل؟

الا يكن ذنب فعد لك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

فهبني مسيئاً كالذي قلتَ طالبا قصاصاً فأين الأخذ يا عز بالفضل  
حنائيك . قد بلغ السيل الزبى ، ونالني ما حسبي به وكفى ، وما أُراني إلا لوأُمرت  
بالسجود لا دم فأيت واستكبرت ، وقال لي نوح اركب معنا ، فقلت سآوى الى  
جبل يعصني من الماء ، وأمرتُ بيناء صرح لعل اطلع الى إله موسى ، وعكفت على  
العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فَعقرت ، وشربت من النهر الذي  
ابثلى به جيوش طالوت .....»

والعجب في ذلك من حضور ذهنه وحدته مما يدل على تيقظه  
الشديد . ثم أخذ بعد ذلك يرى نفسه ، ويعجب من سيده الذي يصنى  
الى أعدائه ، على ما كان له من المنزلة التي لم تدفع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن  
جهور لوما لا يظهر الا من خلال عباراته ، لشدة تمكنه من تصرف  
الكلام واحتراسه فيما يقول :

« فكيف ولا ذنب الا نعمة أهداها كاشحٌ ، ونبأ جاء به فاسق ، وهم الهمازون  
المشاءون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا ، والفؤاة الذين  
لا يتركون أديما صحيحا ....»

والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية اليك ، ولا  
ناصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت ياسا منك ، مع ضمان تكفلت به الثقة  
عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك . فقيم عبث الجفاء بأذمتي ، وعاث العقوق  
في موائى وتمكن الضياع من وسائلى ؟ ولم ضاقت مذاهبي وأسكدت مطالبى ؟ وعلام  
رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب ؟ وأتني غلبنى المغلب وفجر على  
العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار ؟ ومالك لم تمنع مني قبل ان افترس

وتدركنى ولما أمزق، أم كيف لا تتضرم جوامح الا كفء حسدا الى على الخصوص  
بك ، وتتقطع أنفاس النظراء منافسة فى الكرامة عليك ؟ »

ثم ذكره باخلاصه له ، ومدحه اياه ، وأخذ يرجع الى استعطافه ويملقه  
فقال :

«وقد زاننى رسم خدمتك ، وزهانى اسم نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل فى  
سماطك ، وقت المقام المحمود فى بساطك

ألست الموالى فىك غرقصائد هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما  
ثناء يظن الزوض منه منورا ضحى ويخال الوشى فيه منمنما  
وهل لبس الصباح الا برداً طرزته بفضائك؟ وتقلدت الجوزاء الا عقداً فصلته  
بما ترك؟ واستملى الربيع الا ثناء ملأته فى محاسنك؟ وبث المسك الاحديثاً أذعته  
فى محامدك؟ ما يوم حليمة بسر. وان كنت لم أكسك سليبا، ولا حليتك عطلا،  
ولا وسئتك غفلا. بل وجدت أجراً وجصاً فبنيت، ومكان القول ذا سعة فقلت .  
حاشاك أن أعد من العاملة الناصبة ، وأكون كالذبالة المنصوبة تضىء للناس  
وهى تحترق ، فلك المثل الأعلى وهو بى وبك أولى .»

ثم جاءته عزة نفسه فانتقل نقلة أخرى ، فبين له أن مثله لا يصبر على الهوان  
وأنه يستطيع فراقه وهجر بلده الى مكان آخر ، ويخاطر فى هجرته هذه بما عسى  
أن يلاقى من الآلام مستأنساً بأدبه وفضله . فقال :

« ولعمرك ما جهلت أن صريح رأى أن أتحول اذا بلغتنى الشمس ونبأى  
المنزل، وأصفح عن المطامع التى تُقَطَّع أعناق الرجال، فلا استوطىء العجز، ولا أطمئن



الى الغرور . ومن الامثال المضروبة خامري أم عامر . واني مع المعرفة بأن الجلا  
سباً ، والنُّثْلَةُ مُثْلَةٌ

ومن يفترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم بجراً ومسحبا  
وتدفن منه الصالحات وان يسيء يكن مأساء النار من رأس كبكباً

عارف أن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زبالة ، والنسيب  
لا يخفى ، والجمال لا يخفى . ثم ما قران السعد للكواكب أبهى أثراً ، ولا أسنى خطراً  
من اقتران غنى النفس به ، وانتظامها نسقاً معه ، فان الحائز لهما ، الضارب بسهم فيهما ،  
وقليل ما هم ، أينما توجه ورد منهل بر ، وحط في جانب قبول ، وضوحك قبل انزال  
رحله ، وأعطى حكم الصبي على أهله  
وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقبل

وكأنه شعر بأن هذا يدعو ابن جهور الى أن ينسى استعطافه لما يظن في  
هذا الكلام من عجب ابن زيدون بنفسه . فأخذ يلطف من حديثه ، ويسكن من  
هياجه ، ويظهر تمسكه بجوار سيده لأنه أفضل شيء لديه في الحياة . فقال :  
غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، واللبيب يحن الى وطنه ، حنين  
النحيب الى عطنه ، والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوايله ، ولا ينسى بلدة فيها مراضعه ،  
قال الاول :

أحب بلاد الله ما بين متعج الى وسلمى أن يصوب سحابها  
بلادها حل الشباب تمانى وأول أرض مس جلدي تراها  
هذا الى مغالاتي بعقد جوارك ، ومنافستي بلحظة من قربك ، واعتقادي  
أن الطمع في غيرك طبع ، والغنى ممن سواك عنا ، والبدل منك أعور ، والمعرض  
لقاء ، وكل الصيد في جوف الفرا

واذا نظرت الى أميري زادني ضنا به نظري الى الامراء »

ثم أخذ يقوى أمله في اجابة طلبه، ويضرب الامثال في ذلك، ويمدح في جوار سيده بقوله :

« أعيدك ونفسي من أن أشيم خلِّبا وأستطرَّ جَهما ، وأكرم غير مكرم ، وأشكو  
شكوى الجريح الى العقبان والرحم ، فما أبَسْتُ لك الالْتدر ، وحركت لك الحوار  
الالتحن ، ونبهتكَ الا لأنام ، وسريت لك الا لأحمد السُّرى لديك ، وانك ان  
سנית عقد أمرى تيسر ، ومتى أعذرت في فك أسرى لم يتعذر ، وعلمك محيط بأن  
المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاء المروءة ، وفضل الجاه يعود صدقة  
واذا امرؤ أهدى اليك صنعة من جاهه فكأنها من ماله »

هذا أكثر ما في هذه الرسالة الجديدة . وأعظم ما فيها تأليفها الذي يرى من  
خلاله تلك النفس الحائرة المضطربة ، التي تهيج مرة وتسكن أخرى ، وتجد أحيانا  
ثم ترجع وتلين ، وكأنما الكاتب في نزاع مستمر بين نفسه وأهوائه ، وكأنه هو  
ونفسه قرنان : يشتد كل منهما عند ما يخاف قوة صاحبه

هذه صورة نفس ابن زيدون يراها القارئ اذا وقف على كشب ونظر الى  
حركات نفسه وهو يكتب أو يفكر في هذه الرسالة . يرى نفسه الأبية وهو  
يفخر بها ويظن أنه من أهل الفضل ، ويرى نفسه المتهكمة ، وهو يحسب ويعد  
الذنوب الكبيرة التي تستحق مثل عقوبته ، لا يريد أن يقول هذا ظلم ، ولكن  
يريد أن يقول هذا حق وخرق في الرأي . ويرى نفسه الكئيبة التي أخذتها  
الأكدار فذلت وأخذت تستعطف وتستشفع وتتملق . يرى الانسان كل ذلك  
في هذه الرسالة . ومن هنا جمالها وابداعها . لا ما بها من الاسلوب البليغ أو  
العبارات المختارة لا غير ،

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن عبدوس عن لسان ولادة . فقد دل فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى باع أوسع في الهجاء . لأنه أقذع في ذم ابن عبدوس اقتداعا ، وتهكم به تهكما لامثيل له ، حتى انه ليخيل الى الانسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في الذم والتهكم وأفرغه على ابن عبدوس واستعمل أسلوبا جميلا خلّابا يدل على تمكنه من التصرف في الكلام ومعرفة امتلاكه عقول القراء ، لان هذه الرسالة على طولها وكثرة الاقتباس فيها ، الذي يستغرق أربعة أخماسها أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال المعروفة والابيات المشهورة ، والاطناب في ذكر الاسماء التي يكفي منها القليل ، ليس فيها ما يدعو الى الملل ، ولا ما يشعر بالاستهجان والابتذال . على أن بها شيئا كثيرا من تلك العيوب ، فقد ذكر أكثر من خمسين اسما لمشهورى الرجال ، سردها سردها ، وكان يكفي عشرها ، وأكثر أيضا من صفات الذم مما كاد يكون ثرثرة ولغوا . ولكنه ستر كل ذلك ببراعته في الصناعة . وليس أدل على جفاء الطبع وغلظه من هذه الرسالة . فقد ابتدأها بسفاهة نادرة ولكنها سفاهة أدبية فنية فقال :

«أما بعد أيها المصاب بعقله . المورط بجهله . البين سقطة . الفاحش غلظه العائز في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره . الساقط سقوط الدُّباب على الشراب . المتهافّتهافت الفراش على الشهاب . فان العُجب أ كذب . ومعرفة المرء نفسه أصوب . وانك راسلتني مستهديا من صلتى ماصفرت منه أيدي أمثالك . متصديا من خلتي لما قرعت دونه أنوف أشكالك . مرسلا خليلتك مرتادة ، مستعملا عشيقتك قوادة . كاذبا نفسك انك ستنزل عنها الى . وتختلف بعدها على»

ولست بأول ذى همة دعته لما ليس بالنائل  
ولاشك أنها قلّتكَ اذا لم تضن بك . وملّتكَ اذا لم تعز عليك . فانها أعذرت



فى السفارة لك . وما قصرى فى النىابة عنك . زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه .  
والانسانية اسم أنت جسمه وهىولاه . حتى خيلت أن يوسف عليه السلام  
حاسنك ففضضت منه . وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه . وأن قارون أصاب  
بعض ما كنزت . وكسرى حمل غاشيتك ، وقىصر رعى ماشيتك....»

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الاسماء. ثم أقذع فى الدم وأفحش  
فى صفاته فقال :

« وهبألم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها حبيها حسن فيها من تود.  
وكانت انما حلتك بجلالك ، ووسمتك بسيماك . ولم تترك شهادة... ولم تكن كاذبة فيما  
أثنت به عليك ، فالعبدى تسمع به خير من أن تراه . هجين القذال ، أرعن السبال .  
طويل العنق والعلاوة . مفرط الحق والغباوة . جافى الطبع . سىء الجابة والسمع .  
بغىض الهيئة . سخيىف الذهاب والجيئة . ظاهر الوسواس . منتن الأنفاس .  
كثير المعاييب . مشهور المثالب . كلامك نعمة . وحديثك غممة . وبيانك فقهة .  
وضحكك قهقهة . ومشيك هرولة ، وغناك مسألة . ودينك زندقة . وعلمك مخرقة  
مساو لو قسمن على الغوانى لما أمهرن الا بالطلاق»

واستمر على هذا النحو الى آخر الرسالة يضرب الأمثال للاستهزاء  
والتهكم. ولقد كشف ابن زيدون فى هذه الرسالة عن نفس حقودة محبة للانتقام  
وانه شديد الحفيظة ، ودل على غلظة فى طبعه ، وخشونة فى أخلاقه . مع ذلك  
فهى رسالة تمتاز بأسلوبها . وتناسق عباراتها . ولعل ابن زيدون أخذ هذا  
الاسلوب عن الجاحظ فى بعض رسائله ، كما فى رسالة الترييع والتدوير



## احمد ابن عبد ربه<sup>(١)</sup>

عاش ابن عبد ربه في أيام نضارة دولة بني أمية في الأندلس ، زمن عبد الرحمن الناصر ، وكان أكرم الناس لديه ولدى وليّ عهده الحكم ، واشتهر ذكره بما كان له من العلم والفضل . تعلم في قرطبة قاعدة العلوم اذ ذاك . ودرس جميع الفنون العربية ، ولا سيما علوم الأدب ، حتى أصبح اماما فيها ، وكان محبا للاطلاع فصار أعلم أهل زمانه ، وأكثروا معرفته بآداب العرب ولا سيما التاريخ والنوادر والملح . وكان في أول أمره ككل الادباء والظرفاء الذين يميلون الى اللهو فكان كثير من شعره في صباه شعراً رقيقاً غزلياً وقد رجع عن لهوه في شيخوخته وتاب عما فعله في أيامه الماضية . وقالوا انه عمل على أعاريض شعره الذي قاله في صباه أشعارا في الزهد وسماها الممحصات

١ هو احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب كان جده من موالى هشام بن عبد الرحمن الداخل ثاني خلفاء بني أمية بالأندلس . ولد في سنة ٢٤٦ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ ودفن بقرطبة بعد أن عاش ٨٢ سنة . ذكره ابن خلكان في الجزء الاول . وياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء في الجزء الثاني ، والضبي في كتابه بنية المتنس صفحة ١٣٧ . وذكر في عدة مواضع من نفع الطيب ولا سيما في الجزء الثاني ، وفي الجزء الاول من يتيمة الدهر طائفة من شعره ٢ شهد له المتلبي بهذا . روي في ذلك وذكره صاحب نفع الطيب في الجزء الثاني وياقوت في كتابه معجم الادباء جزء ثاني انه اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص أحد الادباء ففاوضه قليلا ثم قال له أنشدني للمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه فأشده :

ياؤلؤا يسى العقول أيقا ووشا بتعذيب القلوب ريقا  
ما أن رأيت ولا سمعت بمشله دارا يمود من الحياء عيقا  
واذا نظرت الى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناء غريقا  
يا من تقطع خصره من رقعة ما بال قلبك لا يكون رقيقا  
فلما أكل انشادها استمادها ثم صفق يديه وقال : يا ابن عبد ربه لقد تأتيتك العراق حبوا .



وقال عنه صاحب اليتيمة: «أحد محاسن الأندلس علماً وأدباً ونبلاً . وشعره في غاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة » وأورد له طائفة من شعره .  
والحق ان مقطوعاته الشعرية في الغزل والوصف من أرق الشعر المعروف في ذلك وأحسنه . وأجمل شعره في هذا النوع ، وكل هذا من قبيل الصناعة وحب الكلام الجميل لأنه كان من الذين يميلون الى قول الشعر ونظم الكلام ، لا ممن خلقوا شعراء ، بل هو أديباً أكثر منه شاعراً . وإنما جاءه الشعر من كثرة حفظه واطلاعه وأمثالته بأقوال الشعراء . وكان بطبيعته ميالاً الى الرقة ، فأنحدر الى قول الشعر الرقيق ، وأغرب بعض الاغراب فيه ككثير ممن يسميهم الأدباء شعراء . فهو رقيق الذوق حسن الديباجة

وكثير من كلامه أبيات قليلة تدل على انه كان شغوفا بقول الشعر ولكنه شغف فنى . حتى لقد يقول البيتين أو الثلاثة فيعرف كيف يختار الالفاظ والمعاني المرقصة ، وكأنما يشرب الانسان خمرأ لا يقرأ شعراً . أو كأنما انفتح أمامك منظر جميل ، أو لحظة من لحظات الحياة اللذيذة . أو كأن الكأس ومافيه والحبيب وجماله كل شيء في الحياة . كما قال :

اشرب على المنظر الأنيق      وامزج بريق الحبيب ريقى  
واحلل وشاح الكماب رقفاً      خوفاً على خصرها الرقيق  
وقل لمن لام في التصابي      خل قليلاً عن الطريق  
وقد أجاد في هذا النوع من الغزل ، كقوله :

بزمام الهوى أمت اليه      وبحكم المقار أقضى عليه  
بابي من زهى على بوجه      كان يدمى لما نظرت اليه  
كلما علني من الراح صرفاً      علني بالرضاب من شفتيه

ناول الكأس واستمال بلحظ فسقتني عيناه قبل يديه

كذلك كان رقيقاً في شعره وميلاً إلى الرقة في كل شيء ، وإلى الابتكار في المعاني والأساليب . فقد قالوا عنه ، ورواه ابن بسام في « الذخيرة » وابن خلدون « في مقدمته » : انه أول من سبق إلى اختراع الموشحات .

ولقد كان يصف مواقف العشاق ومحادثتهم ويصور ذلك بشكل ساحر خلاب وعبارات جذابة . كقوله :

ودعتني بزورة واعتناق ثم نادت متى يكون التلاق

وبدت لي فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والاطواق

ياسقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق أظفح يوم ليتنى مت قبل يوم الفراق

وله قصائد طويلة في العقد الفريد .

وأفضل ما جاء به ابن عبد ربه ، وعد من أجله أكبر أدباء الأندلس ، كتابه الشهير «العقد الفريد» الذي هو من أمهات كتب الأدب العربية ، وهو كتاب فذ بين هذه الكتب جرى في تأليفه على أسلوب لم يسبق إليه . وهو تقسيمه إلى عقود وجواهر ، خص كلا منها بكلام في موضوع خاص واستوعب هذه الموضوعات بقدر ما سمحت له مباحثه ، فجاء كتاباً وافياً لمن يريد أن يطلع على ما قيل في الأدب العربي : من أخبار وقصص ورسائل وكل أنواع النثر والشعر : من كلام الأعراب والمستعربين . ومن رسائل أدبية وفنية ، وكلام في السياسة والملك والوعظ والفكاهات والحكم والنوادر . ونقل شيئاً عن بعض الأمم الأخرى مما كان معروفاً في كتب الجاحظ وغيرها . وأودعه كثيراً من كلامه . وهو مع هذا كتاب سهل خفيف الروح جم الفائدة ، أسهل تناولاً من

غيره وأدل في جلته عل أدب صاحبه ورقة ذوقه في الاختيار . وفي هذا الكتاب من مسائل التاريخ ما ليس في غيره ، ويكفي الاطلاع عليه للوقوف على شيء عظيم من الأدب العربي وعقول العرب ونفسياتهم . ومعظم الكتاب ، أو كله من مختار كلام الناس ، وقد ذكر المؤلف ذلك فقال :

« وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجواهر ولب اللباب . وإنما لي فيه الاختيار وحسن الاختصار . وفرش لدور كل كتاب وما سواه فماخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء . واختيار الكلام أصعب من تأليفه ... وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الأخبار ، ولا جامعة لجل الآثار ، فجملت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة وتدور على السنين الملوك والسوقة ، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها . وقرنت بها غرائب من شعري ... »

وقد أخذوا على المؤلف أنه لم يذكر شيئاً في كتابه عن أحوال بلاده ولا اقتبس فيه من أهل بلده . وقالوا إن صاحب بن عباد سمع بكتاب العقدة فلما حصل عليه وتأمله قال هذه بضاعتنا ردت إلينا ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا ، لا حاجة لنا فيه ورده . وعابه في ذلك أبو علي الحسن محمد التميمي القيرواني صاحب الرسالة التي كتبها إلى أبي المغيرة بن حزم .



## ابن دراج القسطلی<sup>(١)</sup>

هو ابو عمر احمد بن درّاج القسطلیّ . آدب أهل زمانه ، وأشهر من عرف في عصره بطلاقة اللسان وبلاغة الشعر . قال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر: « بلغني أن القسطلی كان عندهم بصقع الأندلس كالنبي بصقع الشام »

ولد ابن درّاج سنة ٣٤٧ هـ وتوفي سنة ٤٢١ هـ وأدرك عز الدولة الأموية ، لانه ولد في آخر أيام عبد الرحمن الثالث وعاش في عصر الحكم ابنه ، ذلك العصر الذي بلغت فيه حضارة العرب منتهىها ، وفي عصر المنصور بن أبي عامر ، وكان كاتبه وشاعره وأكبر شعراء دولة بني عامر كما يقولون ، بل قالوا انه كان آخر شعراء هذا العصر المجتهدين . واشتهر ذكره في الشام والعراق<sup>٢</sup>

كان ابن دراج يعيش بشعره ، فكانت صناعته قول الشعر ومدح الملوك . وناهيك بمن تكون هذه صناعته ، يفد على من يعرف ومن لا يعرف ، ويمدح كل الناس ويقول غير ما يعتقد . ولعل تهافته على المدح وتسايقه في هذا الميدان ووقوفه بين أيدي الملوك والأمراء هو الذي أكسبه هذه الشهرة . على أن عصره كان عصر الشعراء المداحين ، لأنه مبدأ الاضطراب بخروج الأمر من يد بني أمية وتألب الناس على دولة بني عامر ، والاشتغال بالدسائس . ذكر مؤرخ الأندلس

---

١ راجع ابن خلكان ج ١ والذخيرة ج ١ وفهرس الجزء الثاني من نفع الطبيب طبع أوربا وبغية الملتس ص ١٤٧

٢ ويقول فيه ابن بسام انه كان في وقته لسان الجزيرة شاعرا وآخر حامل لواء شعرائها ومدحه كثيرا وقال عنه ابن خلكان انه من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين وكان يجيد ما ينظم ويقول . وقال ان له ديوانا في جزئين

الشهير أبو حيان ابن درّاج بقوله: « أبو عمر القسطلّي مابق حلبة الشعراء العامريين ،  
وخاتمة محاسن أهل الأندلس أجمعين ، كان ممن طوحت بهم تلك الفتنة الشنعاء  
واضطرتّه الى النجمة فاستقرأ ما وكها أجمعين ... يهز كلا بمدحه ، ويستعينه على  
نكبته ، وليس منهم من يصنى له ، ولا يحفظ ما أضيع من حقه ، وأرخص من عقله  
وهو يخبطهم ..... بمقوله ، فيصنون عنه . الى أن أناخ بساحة منذر بن  
يحيى أمير سرقسطة فألقى عصا سيره عند ما بوأه ، ورحب به وأوسع قراه ولم  
يزل عنده وعند ابنه بعده . »

أما شعره فهو في جملة شعر من يتردد على موائد الأدب ليتذوق من كل  
لون طعماً ، ويجمع هذه الطعوم ليجعل له مائدة خاصة به يدعو إليها الآكلين  
وكأنما يأكلون من مائدته . حتى ان بعض الباحثين استدل بقصيدته التي مدح  
بها المنصور بن أبي عامر على تقليده الشعر القديم . ويقولون انه عارض بها قصيدة  
أخرى في المدح . على انه أجاد اجاداً عظيمة في هذه القصيدة التي دلت على براعته  
في التقليد . ولعله أراد أن يبين للمنصور انه أفضل ممن مدحه ذلك الشاعر ، وان  
مدحه خير من مَدَحِ ذاك . والقصيدة في غاية السبك وحسن البيان ، وهي من  
أجمل قصائده . تشبه الشعر القديم بما فيها من الروح البدوية التي تدل على أخلاق  
العرب من الشهامة وصدق العزيمة ، وعزة النفس والجلد والصبر على تحمل الآلام ،  
ومخاطبة النساء ووصف الوداع . حتى لقد يظهر من عباراتها انها من كلام أهل  
البدو لمتانة أسلوبها ونزعتها العربية الخالصة ، وكأنها صادرة من عربي يحب القفار  
وتقطع الصحارى أعناق مطاياها . ويلفحه الهجير فيحرق وجهه . وتهب عليه  
النكباء فيستنشقها وكأنه يستنشق الموت . ويتلظى حرارة الرمضاء بقدميه وكأنما  
يطأ حطائر الجحيم . يقطع المفاوز طولا وعرضاً . وكأنه في بحر يزخر . مياهه  
الرمال وأمواجه السراب

يكاد يلمح الانسان من كلامه صورة متقنة الصنع لتلك الصحارى التى يسمع  
بذكرها، ويظن انه أمام منظر من تلك المناظر البعيدة الرهيبة. فإذا امتلأت نفسه  
من هيبة هذه القفار وهول الاسفار وهبوب الرياح ، سمع فى كلامه ما هناك  
من زئير الاسود وأصوات الحيوانات المفترسة وكأنه يرى الشاعر يعانى الخلاص  
من تلك الأهوال ويحاول الفرار ، من مخالب الموت الزؤام . ولم ينس وهو  
يخوض غمار هذه الأخطار وصف الكواكب فى هذا الليل البهيم والقصيدة هى :

ألم تعلمى أن الشواء هو التوى	وأنت بيوت العاجزين قبور
تخوفنى طول السَّفار وانه	لتقبيل كف العامرى سفير
ذرينى أرد ماء المفاوز آجنا	الى حيث ماء المكرمات نيمر
فان خطيرات المهالك ضمن	لراكبها ان الجزاء خطير

ومنها فى وصف وداعه لزوجته وابنه الصغير

ولما تدانت للوداع وقد هفا	بصبرى منه أنه وزفير
تناشدنى عهد المودة والهوى	وفى المهد مبغوم النداء صغير
عبيّ بمرجوع الجواب ولفظه	بموقع اهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت	له أذرع محفوفة ونحور
فكل مفدات الترائب مرضع	وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه وقادنى	رواح لتدآب السرى وبكور
وطارجناح البين بى وهفت بها	جوانح من دعر الفراق تطير
لئن ودعت منى غيورا فانى	على عزمى فى شجوها لغيور
ولو شاهدتنى والهواجر تلتظى	على ورقراق السراب يemor



اسلط حر الهاجرات اذا سطا	على حروجهى والأصيل هجير
واستنشق النكباء وهى لوافح	واستوطى الرمضاء وهى تفور
والموت فى عين الجبان تلون	والذعر فى سمع الجرىء صفير
لبان لها أنى من البين جازع	وأنى على مض الخطوب صبور
ولو بضربى والسرى جل عزمى	وجرسى لجنان الفلاة سمير
واعتسف المومة فى غسق الدجى	وللاسد من غيل الضباب زئير
وقد حومت زهر النجوم كأنها	كواكب فى خضر الحدائق حور
ودارت نجوم القطب حتى كأنها	كؤوس مهي وآلى بهن مدير
وقد خيلت طرق المجرة أنها	على مفرق الليل البهيم قدير
وقد أيقنت ان المنى طوع همتى	وانى بعطف العامرى جدير

هذا فى جلته أسلوب عربى صميم، من أمثلة الشعر العربى الخالص من شوائب التكلف . ولكنه يدل على أن ابن درّاج لم يكن شاعراً فطرياً يقول الشعر عن شعور صحيح أو دافع نفسى، وإنما هو مقلد بارع، حتى فى المعانى التى لم تشعر بها نفسه، وفى وصف الامكنة التى لم يرها الا فى كلام الشعراء . فهو من الذين اتخذوا الشعر صناعة لفظية، وآلة من آلات الكلام ليمدح من يريد

ومما قاله فى قصيدة مدح يذكر فيها حضور صاعد اللغوى من بغداد الى الأندلس قوله :

وأهدت لنا بغداد ديوان علمها	هدية من والى وتحفة من حيا
فكانت كمن حيا الرياض بزهرة	وأهدى الى صنعاء من نسجها وشيا
ويبكي ملوك الأرض من كان مفخرا	اذا امثلوا من بعض أفعاله شيا
وحسب رواة العلم أن يتدارسوا	مآثره حفظا وآثاره وعيا

اذا لمعت زرق الأسننة حوله      كاضرام نيران الهوم جواليا  
 وقد لاذ أبطال الجلاد بمطفه      كما لاذ أطفال الجلاد بعطفيا  
 وما قصرت عنه رماح عداته      كما قصرت عنهم رياش جناحيا  
 فيالك من ذكرى سناء ورفعة      اذا وضعوا في التراب أيمن شقيا  
 وناحت ليالى الدهر منى ميتا      بآخر أيام دفنت بها حيا  
 وكان ضياعى حسرة وتندما      اذا لم يفد شيئا ولم يغنى شيئا  
 وأصبحت فى دارالغنى عن ذوى الغنى      وعورضت فاستقبلت أسعد يوميا  
 فياعبرنى سحى لعلى مبلل      بحريك ما انزفت من ماء خديا  
 الى آخر ما قال

وقد أجاد فى أساليب المدح اجادة لا يقدر عليها الا من انقطع لها .  
 فلقد تجده يمدح مدحا يحرك الاطماع ويدفع المدوح الى الغرور، ويجعله يعتقد  
 فى نفسه ما ليس أهلا له . وهو يتظاهر له بالتواضع والحمد والشكر ، ويجله فوق كل  
 انسان ، حتى كأنه ليس فى خلق الله من يدانيه أو يجاريه فى صفات الكمال .  
 قال من كلام يمدح منذر بن يحيى :

فلئن تركت الليل فوقى داجيا      فلقد لقيت الصبح بعدك زاهرا  
 وحالت أرضا بدلت حصباؤها      ذهباً يرف لناظريّ وجوهرا  
 ولتعلم الاملاك انى بعدها      ألفيت كل الصيد فى جوف الفرا  
 ورمى علىّ رداه من دونهم      ملك تخيرّ للعلا فتجيرا  
 ضربوا قبابهم على فعاذنى      من كان بالقدر المعلى أنجدا  
 وكأنما تابعت تبع رافعاً      أعلامه ملكا يدين له الورى  
 وحططت رحلى بين نادى حاتم      أيام يقرى مومراً أو معسرا  
 ولقيت زيد الخيل تحت عجاجة      يكسو غلائلها الجياد الضمرا

وأُتيت بجدل وهو يرفع منبرا      للدين والدنيا ويخفض منبرا  
تلك البدور تتابعت وخلقتها      سعيًا فكنت الجوهر المتخيرًا  
كل هذا من الكلام السهل الجميل الذي تتسابق إلى الاسماع رنته وحسن  
سبكه . ولقد جعل ابن دراج كل أغراضه الشعرية المدح ، ولكنه ذكر فيه  
كل خواطره وأفكاره ؛ وكأنه اتخذ وسيلة للتعبير عن آرائه التي لا تخرج عن  
الشكوى والحقد على الأيام وبعض الآراء المعروفة ، ولقد كان يتأثر بالحوادث ،  
ونفسه توحى عليه بأخيلة مظلمة فيقول :

ومن دوننا آنسات الديار      نهاب الحمى موحشات الطلول  
مغاني السرور لبسن الحداد      على لابسات ثياب الدهول  
خطيبات خطب النهى والمهوز      مهاري عليها رحال الرحيل  
فمن حرة حليت بالجـلال      وعذراء نصت بنص الزميل  
ولا حلّى الا جان الدموع      تسيل على كل خد أسيل  
فيبدلن من طول خفض النعيم      بشق الحزون ووعث السهول  
ومن قر الليل تحت الحجال      بهول السرى تحت ليل طويل

وفد جرى في وصفه على الطريقة الخيالية المعروفة عند شعراء العرب . كما وصف  
أسطول المنصور بن أبي عامر . فقد كان يستطيع أن يتكلم عن عز الدولة ، وإن  
ذلك من آثار تقدمها ، ومن وسائل حمايتها ، ومن المسائل الحيوية لصيانتها ، أو يذكر  
شيئاً من الآراء الجديدة ، أو الاجتماعية أو السياسية . ولكنه لم يقل شيئاً من  
ذلك ولم يفكر في هذا ، وإنما كان يفكر في مدح الأمير لا غير . ولو أنه كان  
مدفوعاً بشعور صحيح وأراد أن يمدح عمل الأسطول وهو يعتبره من آلات  
الدفاع عن وطنه لكان له غير هذا الخيال . ولكنه قال :



تحميل منه البحر بحرا من القنا      يروع بها أمواجه ويهول  
بكل معالات الشراع كأنها      وقد حملت أسد الحقائق غيل  
إذا سابت شأو الرياح تخيلت      خيولا مدى فرسانهم خيول  
محائب تزجها الرياح فان وف      أنافت بأجساد النعام فيول  
ظباء سهام ما هنت مفاحص      وزرق حمام مما هن هديل  
سوا كن في أوطانهم كأن سما      بها الموج حيث الراسيات تزول  
كما رفع الآل الهواج بالضحى      غداة استقلت بالخليط حول  
أراقم تفرى ناقع السم ما لها      بما حملت دون الغداة مقييل  
هذه نظرة تدل على أن ابن درّاج وإن لم يكن من الشعراء المبتكرين ، أو من  
أصحاب الصفات الشعرية الممتازة ، فهو بارع في صناعته متين ، في أسلوبه ،  
مادح يجيد الاختيار في اللفظ والمعنى . وله قصائد كثيرة وبعض رسائل نثرية ،  
ذكرها صاحب الذخيرة في الجزء الأول . وكلها من باب الخيال ونقل معاني غيره  
في نظمه ونثره . ومع ذلك يحسبه الأديب من أكبر الشعراء .



## المعتمد بن عباد<sup>(١)</sup>

نشأ المعتمد في عز أبيه ، وترعرع في أبهة الملك ، وورث كثيراً من صفات والده . فقد كان أبوه نبيل الطبع شريف النفس ، شجاعاً مهاباً داهية في السياسة اتسع الملك على يده ، وصارت دولته أكبر دولة اذ ذاك ، وكان مع هذا أديباً فاضلاً ، كريم الاخلاق ثاقب الذهن حاضر الخاطر ، شاعراً رقيق النوق حسن

---

١ هو أبو القاسم محمد المعتمد على الله بن المعتض بالله بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية وأشهر ملوك الطوائف

ولد المعتمد سنة ٣٤١ هـ بمدينة باجة وتوفي في السجن بأغمت من بلاد البربر سنة ٤٨٨ هـ ومجل خبره في ذلك أنه تولى الامر والحال في اضطراب وشقاق ، والدولة في ضعف : فقد كان تابعا للملك الافرنج يدفع اليه اتاوة سنوية : حتى طمع ذلك الملك في أخذ بلاد المعتمد وأبى قبول ضريته . وأرسل الى المعتمد رسولا ، ففرض المعتمد الرسول وقتل من معه ، فتاهب ملك الافرنج للاغارة على قرطبة . فلما علم كبار الناس اجتمعوا الى أحد القضاة هناك وتشاوروا فيما بينهم لينفذوا بلادهم من شر العدو . واتفقوا على أن يستجدوا بملك مراکش يوسف بن تاشفين ، وأخبروا المعتمد بذلك وبينوا له خطورة الحال فوافق على رأيهم وطلب من ذلك القاضي أن يذهب بنفسه لقضاء ذلك . فتوجه وقابل ابن تاشفين وأخبره بخبر المسلمين هناك ، فأرسل جيشا الى الأندلس ، وتقابل هذا الجيش بجيش المعتمد بن عباد ثم تقابل جيش المسلمين بجيش الافرنج ، فانهزم الافرنج وفر ملكهم هاربا ، وقوى أمر المسلمين . وقد أبلى المعتمد في هذه الموقعة بلاء حسنا . وقاوم مقاومة الأبطال ، ولم يبال الموت حتى أنه أصيب بكثير من الجروح وهو ثابت ثابت الوائق بالظفر .

ولقد كان هذا لانتصار العظيم الذي سر به المعتمد بن عباد أعظم سرور في حياته من أكبر الأسباب لشقائه : لأن يوسف بن تاشفين ذلك البربر طمع في بلاد الأندلس ولا سيما عند ما اطلع على ما هناك من الأموال والذخائر والباني والبساتين وأصناف الاموال وأسباب الترف التي لم يرها في بلاده . وزاده طمعا في ذلك تزيين حاشيته تلك البلاد وما فيها حتى كان يسيل لعابه عند ذكرها . واشتد به الطمع والحقد على المعتمد لما رأى من قوته هو وضعف ذاك واتهزت بطاقته هذه الفرصة فأوغروا صدره على



الاختيار طلى العبارة ، جميل الصورة بهيج الطلعة ، جذابا بهيئته وشكله، جواداً كريماً :

عاش المعتمد بن عباد فى هذه البيئة فاكسب منها شيئاً كثيراً، ومال بطبعه الى الأدب والمجون . فكان كأبيه فى كل صفاته . ولكنه كان أشعر منه وأرق ذوقاً وأخف ظلاً ، وأحب للأدب من أبيه ، حتى قالوا انه لم يجتمع الأديباء والشعراء عند أحد كما اجتمعوا عنده ، وناهيك بأمير شاعر من أفضل الشعراء ديباجة ، وأرقهم ذوقاً ، وأحبهم الى مجالس الأدب . ألا يكون ذلك من الأسباب التى تساعد على نمو الأدب ورقة الشعور والاهتمام بالادباء ؟<sup>١</sup>

وقد كان المعتمد يعيش عيشة ترف وترف<sup>٢</sup> مبالاً لأن يصرف وقته فى اللهو الأدبى ومجون الشعر ومجازاة الشعراء فى قولهم . وكان يعجبه كثيراً أن يكون شاعراً وأديباً بين هؤلاء الأديباء والشعراء ، ويبتهد فى أن يقول

---

المعتمد حتى عزم على الانتقام منه ، فحاصره وهو بأشيلية . ولما علم المعتمد بذلك أخذ يدافع عن نفسه وبلده وجالد مجالدة لا تعرف . وأظهر من البسالة والشجاعة ما اشتهر به . ولكن ماذا يعمل انسان رقيق أمام هؤلاء الاجلاف ؟ على أنه ألقى بنفسه الى الموت وهو ثابت الجأش . والناس فى رعب وفزع يترامون فى الانهار من شرفات الاسوار ، الى أن نزل القضاء بهذا البلد ودخلها البربر سالبين ناهبين آخذين كل شئ رأوه ووجدوه . وقبضوا على المعتمد وأهله بعد أن نالوا من أسرته وحاصروا ولديه المؤمن والراضى وقتلوهما وأرسل المعتمد مقيداً مع أهله الى بلاد مراکش بعد أن شيعه أهل بلده ومحبه بالبكاء والنحيب وأرسله ابن تاشفين الى مدينة الغمات وبقي فيها الى ان مات سنة ٤٨٨ هـ

١ راجع سؤاله عن كلمة مسهب فى نفح الطيب طبع أوربا جزء ثانى صفحة ٤٧٣  
٢ قالوا انه أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فكان وزنها سبعمائة مثقال وأهداها الى فتاتين. وحضر أبو العرب الصقلى عند المعتمد وقد حمل اليه حمولة وافرة من قرار يطل الفضة فأمر له بكيس منها وكان بين يديه ثمانية عشر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللاقي فقال له أبو العرب معرضاً ما يحمل هذين الكيسين الا جمل فتبسم المعتمد وأمره به فارتجل شعراً فى ذلك وقالوا ان هذا الجمل بيع بخمسمائة مثقال

الشعر فكان حبه لقول الشعر وميله الى ذلك من الأسباب التي جعلت شعره رقيقاً .

وكان صافي الذهن نقي الذوق ، شريف الطبع عليه مسحة من الجلال ، عذب الحديث اذا تكلم ، حسن الاختيار في نظم الألفاظ والمعاني ، فكان شعره في جملة رقيق الحاشية صادقا في معناه ، خاليا من التكلف ، أكثره مأخوذ من حوادث حياته :

فهو صورة من حياته وصفحة من صحفه اليومية . كانت تملئ عليه الحوادث فيقول ، وتدفعه ميوله أو توخزه آلامه فينفتح لسانه بقول الشعر الجميل الخالي من كل تصنع ، أو معنى ليس له أثر في نفسه ، أو خيال لم ينشأ من شعور صحيح . فكان شعره أيا ما من حياته يشمل أوقات سروره ولذاته وساعات محنته وبؤسه . وأجاد في كل ذلك اجادة تدعو الى الاعجاب برقة شعره ورقى خياله .

أما بجودة فلم يخرج فيه عن الوصف الجميل والأدب اللائق بمثله . يشعر الانسان عند تلاوته بخفة روحه وحسن ذوقه ، وبراعته في سهولة الكلام والتعبير عما يريد ، بدون تكلف وحسن في الصناعة وافتنان في التعبير . وهو كل جمال شعره وقد اكتسب أسلوبه من أساليب زمانه المعروفة عند أكثر الشعراء في حسن الوصف ودقته .

فقد كان حلو الفكاهة في جميع أوقاته تشمله الخمر أحيانا فتزيد من رقة أدبه . ولقد كانت تنزل به عواطفه النفسية من عظمة جلاله فتحمله على مدح جواريه ، وبديهته تملئ عليه جميل القول . فقد جاءت اليه جارية تسقيه وكان كلفا بها ، اذ لمع البرق فارتفعت فقال :

يزوعها البرق وفي كفها برق من القهوة لماع

كل ذلك كان له أثر عظيم في شعره . وإذا لم يكن المعتمد من كبار الشعراء الذين كانت صناعتهم الشعر وكل ميولهم في الحياة قول الشعر ، ولا من الكثيرين ، فهو وجه من وجوه الأدباء ، وصورة من صور الشعراء الطرقات عشاق الشعر والأدب . ودليل على ما وصلت إليه حال الأدب في تلك البلاد ، وعلى تأثير الحضارة في النفوس وتهذيبها الاخيلة والتصوير ، ورقة الشعور وجمال القول .

كما كتب الى أبي محمد المصري يدعوه الى مجلسه :

أيها الصاحبُ الذي فارقت عي  
نني ونفسي منه السنا والسناء  
نحن في المجلس الذي يهب الراحة والسبع والغنى والغناء  
نتعاطى التي تُسمى من الله سدة والركة الهوى والهواء  
فأته تلف راحة ومحيا قد أعدا لك الحيا والحياة

وقال في ساق وذكر ذلك صاحب قلائد العقيان بقوله :

انه دخل عليه في دار المزينة والزهر يحسد اشراق مجلسه ، والدر يحكي  
انساق تأنسه ، وقد رددت الطير شدوها ، وجددت طربها وشجوها ، والفصون  
قد التحفت بسندسها ، والأزهار تحي بطيب تنفسها ، والنسيم يلم بها فتضعه  
بين أجفانها ، وتودعه أحاديث آذارها ونسيانها ، وبين يديه فتى من فتياه ، يتثنى  
تثنى القضب ، ويحمل الكأس في راحة أبهى من الكف الخصيب ، وقد توشح  
وكأن الثريا وشاحه ، وأنار فكان الصبح من محياه كان اتضاحه ، فكلمنا فاوله  
الكأس خامره سوره ، وتخيّل ان الشمس تهديه نوره ، فقال المعتمد :

لله ساق مهفّف غنّج قام ليسقى فجاء بالعجب  
أهدى لنا من لطيف حكته في جامد الماء ذائب الذهب



وأما بؤسه وما ألم به في آخر حياته فقد وصفه وقد نالت منه الآلام وأذابت  
مهجته، حتى لم يبق في نفسه بقية من الصبر، واستولى عليه الجزع، وكأنما ينظر الى  
عزه الماضي، وملكه الزائل فيتملكه اليأس، ويكاد يقضى على كل ما في نفسه من  
شجاعة وبأس، وقد نحل الضعف وملكه البكاء، وذابت نفسه حسرة على ما هو عليه  
وما أصاب أهله وبنيه من الذل، حتى أصبحوا خدما لخداهم، وقد كانت تذلل  
لهم الجبابرة، وتخدمهم خاصة الناس .

يصف ابن عباد ذلك في شعره ، وكأنك تراه في أشد ما يكون الرجل من  
البؤس واليأس ، فلا يرجو الخلاص الا الى الموت . فقد بلغ من أمره ان أكرم  
بناته دعاها الحال الى أن تطلب غزلا من الناس تسد بأجرته بعض مالها . فأدخل  
عليها فيما أدخل غزل لبنت شرطة أبيها . واتفق ان السيدة الكبرى أم بنيه  
اعتلت وكان الوزير أبو العلاء زهر بمرأ كش قد استدعاه ابن تاشفين لملاجه ،  
فطلب اليه المعتمد راغباً في علاج زوجته، فكتب اليه الوزير رسالة باجابة طلبه ،  
ودعاه له فيها بطول البقاء . فقال المعتمد في ذلك :

دَعَا لِي بِالْبَقَاءِ وَكَيْفَ يَهْوَى	أَسِيرٌ أَنْ يَطُولَ بِهِ الْبَقَاءُ
أَلَيْسَ الْمَوْتُ أَرْوَحَ مِنْ حَيَاةٍ	يَطُولُ عَلَى الشَّقَى بِهَا الشَّقَاءُ
فَمَنْ يَكُ مِنْ هَوَاهُ لِقَاءِ حُبِّ	فَإِنْ هَوَايَ مِنْ حَتْفِي الْلِقَاءُ
أُرْغَبُ أَنْ أَعِيشَ أَرَى بِنَاتِي	عَوَارِيَّ قَدْ أَضَرَّ بِهَا الْحَفَاءُ
خَوَادِمَ بِنْتٍ مَنْ قَدْ كَانَ أَعْلَى	مَرَاتِبِهِ إِذَا يَبْدُو النَّدَاءُ
وَطَرْدَ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيَّ مَمْرَى	وَكَفْهُمْ إِذَا غَصَّ الْفَنَاءُ
وَرَكُضَ عَنْ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ	لِنَظْمِ الْجَيْشِ أَنْ رَفَعَ اللَّوَاءُ
وَلَكِنْ الدَّعَاءُ إِذَا دَعَاهُ	ضَمِيرٌ خَالِصٌ نَفَعَ الدَّعَاءُ

جزيت أبا العلاء جزاء بر نوى برا وصاحبك العلاء  
سيسلى النفس عن ما فات على بأن السكل يدركه الفناء

ودخل عليه في سجنه بناته يوم عيد في أطمار بالية وحالة بؤس ، وكن يغزلن  
للناس بالاجرة في اغمات . فلما رآهن المعتمد في اطمار رثة شعر كأنما تمزقت  
أحشاؤه وانصدع قلبه . فقال :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا	فساءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائمة	يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة	أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية	كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
أفطرت في العيد لاعادت إساءته	فكان فطرك للأكباد تفتيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا	فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسره	فانما بات بالأحلام مغرورا

وهكذا عرف كيف يصدع القلوب بكلامه ، وكيف يفتح قلبه ليرى مكنوناته  
وأبان لنا كيف أن الآلام تدفع بالقلوب الى الكلام وتجسم المعاني . « دخل عليه  
وهو في تلك الحال ولده أبو هاشم والقيود قد عضت بساقيه عض الأسود ،  
والتوت عليه التواء الأساور السود ، وهو لا يطيق اعمال قدم ، ولا يريق دمعاً  
الا ممزوجاً بدم ، بعد ما عهد نفسه فوق منبر وسرير ، وفي وسط جنة وحرير ،  
تحقق عليه الألوية ، وتشرق منه الأندية ، فلما رآه بكى وقال : »

قيدي أما تعلمنى مسلما	أبيت ان تُشْفِق أو ترحمًا
دمى شرابك واللحم قد	أكلته لا تهشم الأعظما
يبصرنى فيك أبو هاشم	فينثنى والقلب قد هُشما

أرحم طفيلًا طائشاً لبه لم يخش أن يأتيك مسترحماً  
وأرحم أخيات له مثله جرعتن السم والعلقماً

أليست هذه نفس شاعر عرف كيف يعبر عما يجول في نفسه من المعاني ،  
ويصف آلامه وصفاً قريباً من الحقيقة ؟ واستمان على ذلك بما رآه من البؤس  
وآثاره الظاهرة . فذكر حاله وماهى عليه ، وذكر أولاده وما يعانونه ، ولم يلتجئ  
الى الخيال ولا الى الاحلام . ولكن شعره جميل لأن الحقائق اذا ألبسها الشعراء  
ديباجة الشعر أصبحت شعراً جميلاً . وليس الشعر الجميل الا حقائق شعرية .

ولقد كانت تملك ابن عباد عزة نفسه ورفعة شأنه ، فيستعذب هذه الآلام  
ويفضل الاستئثار بها على الخضوع لعدوه ، وتملكه الشجاعة وكرم المحتد  
فيستصغر كل شيء يلاقيه ، لأنه انما خرج الى القتال بهذه النفس التي يحملها  
بدون أن يتحصن بشيء سوى قوة بأسه ، عالم بأنه سيجود بها يوماً ما في موقف  
يرى الموت فيه خيراً من الحياة . نظم ذلك كله بعبارة جميلة مؤثرة . فقال عند ما  
أخذ أسيراً .

لما تماسكت الدموع وتنهنه القلبُ الصديق  
قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع  
وألد من طعم الخضوع على فم السم النقيع  
ان تستلب عني الدثنا ملكي وتسلمني الجموع  
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع  
لم أستلب شرف الطبّا ع أسلب الشرف الرفيع  
قد رمت يوم نزالهم ألا تحصنني الدروع  
وبرزت ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفعوع  
وبذلت نفسي كي تسيل اذا يسيل بها النجيع



أجلى تأخر لم يكن بهواى ذلى والخشوع  
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع  
وله فى الحنين الى شلب وقت ان كان يرتع فى بحبوحة العيش مع صديقه  
ووزيره ابن عمار كلام سهل رقيق ، صادر عن قلب مقروح ، وقد فارقه ابن عمار  
فأرسل اليه يقول :

ألا حى أوطانى بشلب أبا بكر وسلم على قصر الشراجيب عن فتى  
له ايداً شوق الى ذلك القصر  
منازل آساد وبيض نواعم  
فناهيك من غيل وناهيك من خدر  
وكم ليلة قد بت أنعم جنحها  
بمخضبة الارداف مجدبة الخصر  
وبيض وسمر فاعلات بمهجتى  
فعال الصفاق البيض والأسل السمر  
وليل بسد النهر لهوا قطعته  
بذات سوار مثل منعطف البدر  
نضت بردها عن غصن بان منعم  
نضير كما انشق الكيام عن الزهر  
ومما قاله وهو يبكي على نفسه :

قد كان كالثعبان رمحك فى الورى فعدا عليك القيد كالثعبان  
قلبي الى الرحمن يشكو بشه  
يا سائلاً عن شأنه ومكانه  
هايك قينته وذلك قصره  
من بعد كل عزيمة رومية تحكي الحائم فى ذرى الأغصان

كذلك كانت حسرته على أيامه الماضية ، وحالته الحاضرة منعباً من منابع  
شعره ، هو يتسلى عما يتندوق من الآلام . وليس فى البؤس معين غير الشكوى  
ولا للمنكوب ارتياح لغير أئينه ونظره الى أيامه الماضية ، والى تلك اللحظات التى  
كان ينعم فيها ، فترتاح نفسه الى ذكرها ، فيشعر كأنه لا يزال فى نعيمها ولذاتها .

فلقد تكون ذكرى السعادة سعادة أخرى في أوقات البؤس، يتسلى بها البائس في  
محنته ، فيرى انه كان وفي الحظ فيها ، وان الدهر يومان ، فاذا كان يوم  
السعادة قد انقضى فانه لا يزال يذكره . وهكذا تتناوبه الافكار فيستسلم للقضاء  
وتخف آلامه وهو يتغنى بحوادث الايام

هذه حال ابن عباد في شعره الذى يبكي فيه ويندب حظه . كما فى قوله :

غريب بأرض المغربين أسير	سيبكي عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا	وينهل دمع يينهن غزير
مضى زمن والملكت مستأنس به	وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد	متى صلحت للصالحين دهور
أيا ليت شعري هل أبيتن ليلة	أمامى وخلقى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون موروثه العلا	تغنى قيسان أو ترن طيور
بزاهرها السامى الذرى جاده الحيا	تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده	غيورين والصب المحب غيور

ولقد كان كل خاطر يمر به وكل منظر يراه يذكره تيناً من آلامه أوحينه الى  
أهله، فيفتق لسانه بقول الشعر الذى يمزق القلوب ويذيبها حسرة

ولما قتل المرابطون ابنه المأمون فى قصر قرطبة وألقوا بجسده على الارض ،  
ومالوا الى رندة حيث ابنه الثانى الراضى وقضوا عليه ، قال المعتمد يرثيها ، وقد  
رأى قرية تنوح ، وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغماً

بكت ان رأت الفين ضمها وكر	مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحث واستراحت بسرها	وما نطقت حرفاً يبوح به سر

فما لي لا أبكي ؟ أم القلب صخرة      وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر  
بكت واحداً لم يشجها غير فقهه      وأبكي لآلاف عديدهم كثر  
بني صغير أو خليل موافق      يمزق ذا فقر ويفرق ذا بحر  
ونجمان زين للزمان احتواهما      بقرطبة النكداء أو رندة القبر  
عذرت إذا أن ضن جفني بقطرة      وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر  
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي      لمثلها فلتحزن الأنجم الزهر

هذا بعض ما في نفس المعتمد بن عباد ، وهذا بعض شعره المنبعث من  
قلبه المقروح . فكان شاعراً وجدانياً ، ولكن وجدانه امتزج بالحقائق وحوادث  
الحياة . فكان شعره جميلاً له علقه بالقلوب ، لأن الوجدان والحقيقة إذا تآلفا في  
الشعر وامتزجا في ساحة الخيال ، أظهرنا الحقيقة شعراً جميلاً ، والشعر حقيقة مريئة  
في ثوب خيالي جميل .



## الوزير بن عمار

كان ابن عمار في أول أمره فقيراً خامل الذكر ، فلم يرد أن يعيش عيشة العامة كغيره ، فقصده إلى تلك السوق الرائجة ، سوق الأدب ، ورجح فيها ، وكان أديباً يقول الشعر فأخذ يسأل بشعره ، وكان من الأذكياء كثير المجون كجميع الأدباء في ذلك العصر فانفتح له باب آخر في الشعر والخيال ، وقال في ذلك كما قال غيره ،

١ هو أبو بكر محمد بن عمار من أسرة يقولون أنها عربية الأصل وقد عاش إلى سنة ٤٧٩ حيث قتلته المعتضد بن عباد بيده . ويظن أنه عمر ٥٠ عاماً .  
تأدب على بعض علماء قرطبة ككل الأدباء . لأن رواج سوق الأدب في تلك الأيام وسهولة مواردها كانت تحمل أمثال ابن عمار على ورود ذلك المنهل . وقد أراد أن يعيش على متون القوافي ومصاريح القريض . فحمله ذلك على أن يجيد الشعر ، وكان بطبعه ميلاً إلى ذلك فبلغ مبلغ غيره من مشهور دي الشعراء  
وقد كانت حياته حياة حركة واضطراب : فقد كان في أول أمره يسأل بشعره ليعيش . ويتدعى الكبير والصغير ويمدح الأمير والصلوك طالباً عطايهم .

قالوا عنه . . . انه لم يزل يجول في الأندلس مسترفداً لا يخص بمدحه الملوك ودون غيرهم ، بل لا يبالي ممن أخذ ولا من مدح من ملك أو سوقة ، وأنه ورد في بعض سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يجيد علفها ، فكتب بشعر إلى رجل من وجوه أهل السوق : فكان قدره عند ذلك الرجل أن ملأ له الخجلة شعيراً ووجه بها إليه ، فرآها ابن عمار من أجل الصلات وأسنى الجوائز . ثم اتفق أن علت حال ابن عمار وساعده الجدة ونهض به البخت . وانتهى أمره إلى أن ولاء المعتضد على الله مدينة شلب وأعمالها ، فدخل في موكب ضخم وجملة عبيد وحشم ، وأظهر نخوة لم يظهرها المعتضد على الله حين دخلها أيام أيه المعتضد بالله . فكان أول شيء سأل عنه صاحبه . صاحب الخجلة . فقال ما صنع فلان أهو حي : قالوا نعم ، فأرسل إليه بمخلاته نفسها بعد أن ملأها دراهم وقال لرسوله قل لو ملأتها برأ ملأناها تبراً

وما زال ابن عمار على هذه الحال في كسب الأموال ، يدفعه الطمع إلى السير في طريق الوصول إلى مراكز العظماء فشجذ من لسانه لأنه هو السلاح الوحيد لديه . حتى علا ذكره بين الشعراء ، واشتهر في عالم الأدب ، ومدح المعتضد بن عباد بقصيدة أعجب بها أعجاباً وجعله

حتى أخذوا عليه الامعان في المجون ، والادمان في الشرب ، فقال يدفع عن نفسه ذلك ويذكر مآثرها

نقمت على الراح أدمن شربها      وقلتم قى راح وليس قى مجد  
ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى      سواى ومن أعطى كثير أو لم يكده  
فديتكم لم تفهموا السر انما      قليتكم جهدى فأبعدتكم جهدى

من أجل ذلك في جملة شعرائه . ومنذ ذلك الوقت اندمج في حاشية الامراء ، وخلع عن نفسه لباس البؤس . ثم اتصل بالمتعمد بالله بن المعتضد ، وكان شاباً أديباً يحب الشعر ويميل اليه فأحبه المتعمد لاتفاقه معه في الميول والاهواء وفنون الادب والشعر والملاهي وانواع السرور . ولما تولى المتعمد ولاية شلب جعل ابن عمار وزيراً له هناك وترك له الحكم والأمر والنهي ، وهناك عاش مع المتعمد عيشة الاصدقاء وعيشة اللهو والطرب والمجون ، وقد كان مجلس الامير هناك يجتمع الادباء والشعراء الذين كانوا يملأون الجو لكثرتهم ، ولا يكاد يخلو مكان منهم وكانت مجالس الادباء هناك كل شيء في الحياة . فانفصر ابن عمار والمتعمد بن عباد في السرور واللهو انغمارا ، وصارا كأنهما شخص واحد ، حتى غاب ابن عمار المتعمد على أمره ، وملك منه كل شيء ، وساءت السمعة بينهما . فلما علم المعتضد بذلك فرق بينهما ، ونفى ابن عمار في أقاصي بلاد الأندلس ، وما زال في منفا الى ان مات المعتضد وتولى الامر بعد أبيه المتعمد فدعا اليه ابن عمار واختص به . وامتزج به امتزاجاً لا يكون بين رجل وأقرب الناس اليه ، حتى لقد كانا ينمان أحياناً على وسادة واحدة . ولكن ابن عمار على الرغم من ذلك كان سيء الظن غير مخلص في وده . فكان يتربص من المتعمد الفتك به ، رغم اخلاصه له . وقد ولأه المتعمد ولاية شلب ثم لم يقدر على بعده فدعاه اليه واستوزره ، وكان معه كما كان جعفر البرمكي مع الرشيد وسلم له كل شيء في السياسة وأمر الدولة ، حتى انه أصبح من قواد الجيش وانتصر على الاعداء في وقائع معروفة ، وكان له حيل في الخداع ومهارة في التغلب على غيره . ولما رأى علو أمره خطر له أن يستبد بالملك وأن يكون ملكاً ، فأراد أن يأخذ بالنسبة وملكها بعد أن فتحها ويخلق طاعة المتعمد ، ونسى كل ما كان بينهما ؛ ولكن لم يتمكن من ذلك . وبلغ المتعمد أمره فهرب ولجأ الى سرقسطة . فخافه هناك بنو هود . فأخرجوه . فالتجأ الى حصن ثم قبض عليه صاحب هذا الحصن وسجنه ثم بعث المتعمد من تسلمه ودخل ابن عمار قرطبة أشنع دخول على يذل بين عدلى تبين وخرج الناس جميعاً لرؤيته على هذا الحال ، بعد ان كان يهرع اليه الكبير والصغير لتقبيل يده . ولما مثل بين يدي المتعمد أخذ يمد أيديه عليه وابن عمار مطرق رأسه خجلاً . ثم أمر به فدخل أشبيلية على الحال التي دخل بها قرطبة . وسجن في غرفة في قصر المتعمد . ومنذ هذا الحين كتب قصائده الشهيرة في الاستعطاف حتى لان منها المتعمد ولكنه رجع عن عفوه وقتله بيده في السجن سنة ٤٧٩ هجرية .

مع ذلك فقد برع في المجون ، وكان شعره فيه أصدق منه في غيره  
واجمل ديباجة وأسلوباً لأنه صادر عن شعور صادق . وله في ذلك خيالات  
ومعان جميلة .

وقد كلف بالغناء ومجالسه ، وكلف الناس بحضوره لأنه كان حلو الفكاهة  
عذب الحديث ، يهرع الأدباء الى مجالسه ويسرون بحضوره . فقد روى ان  
بعض الكتاب اصطبج يوماً والجومسكي العوارف ، لازوردى المطارف ،  
والروض أنيقة لباته ، رقيقة هباته ، والنور مبتل ، والنسيم معتل ، ومعه قومه ،  
وقد راقبهم يومه ، وصلاته تصافح معتفيه ، ومبراته تشافه موافيه ، والراح  
تشعشع ، وماء الامان ينشع ، فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه :

ضمانٌ على الأيام أن أبلغ المنى إذا كنت في ودى مسراومعلنا  
فلو تسأل الأيام من هو مفرد بود ابن عمار لقلت لها أنا  
فان حالت الأيام بيني وبينه فكيف يطيب العيش أو يحسن الغنا  
فلما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول ، فقال أحد الحاضرين : انى  
لأعجب من ابن عمار ، كيف قعد عن هذا المزار ، مع ميله الى السماع ؟ فلما  
كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو :

هضرت لى الآمال طيبة الجنى	وسوغتنى الأحوال مقبلة الدنا
والبستنى النعمى أغض من الندى	واجمل من وشى الربيع وأحسنا
وكم ليلة أحظيتنى بحضورها	فبت سميلاً للسناء وللسنا
اعل نفسى بالكارم والعلى	وأذنى وكفى بالغناء وبالغنى
مأقرن بالتمويل ذ كرك كلما	تعاورت الأسماء غيرك والكُنَى
لأوسعتنى قولاً وطولاً كلاهما	يطوّق أعناقاً ويخرس ألسنا
وشرفتنى من قطعة الروض بالى	تناثر فيها الطبع وردا وسوسنا



هذا كلام وجداني جميل ، يسوغ للنفس تذوقه ، لأنه طلى العبارة ، عذب  
سهل في لفظه ومعناه . مدح ولكنه ليس من المدح الجاف المقصور على ذكر  
الفضائل وجميل الأوصاف التي ربما لم يكن للمدوح حظ وافر فيها ، بل هو مدح  
ممزوج بوصف جمال أوقات السرور والسعادة وآثار النعيم في النفوس وأثر  
النعمة على المنعم عليه . أو هو شكر يراد به المدح ، أو هو نوع من الافتنان في  
المدح وأساليبه

وكانت له خفة روح تظهر في كلامه ، وكأنه لا يبالي بما يقول ، ولا سبها إذا  
ذكرت الراح . فقد كان في حضرة الرشيد بن المعتمد فلما دارت الكأس  
وتمكن الأُنس ، وغنيت أصوات ، ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب .  
فارتجبل يخاطب الرشيد .

ما ضر ان قيل اسحق وموصله      ها أنت أنت وذى حص واسحق  
أنت الرشيد فدع ما قد سمعت به      وان تشابه أخلاق وأعراق  
لله درك داركها مشعشة      واحضر بسايقك ما قامت بناساق  
هكذا كان يفعل السرور في رأس ابن عمار ، فكان لا أثره في نفسه وشعره  
شيء كثير ، وكان شعره في اللهو والغزل من أحسن ما قيل في نوعه ، وان  
كانت معانيه ككل المعاني ، الا ان له بهاء في أسلوبه ككل الشعراء  
الفنيين . ولقد يقول المعنى فيخيل اليك انه شيء جديد . كما قال يتغزل :

قالوا أضربك الهوى فأجبتهم      يا حبيداه وحبذا اضراة  
قلبي هو اختار السقام لجسمه      زِيًّا نخلوه وما يختاره  
غير تموني بالنحول وانما      شرف المهند أن ترق شفاره  
من قد قلبي اذ تثني قده      وأقام عذري اذ أطل عذاره  
أم من طوى الصبح المنير نقابه      وأحاط بالليل البهيم خماره

أما مدحه، فله أسلوب خاص في تصور المعاني وترتيبها : يعرض صوراً مختلفة من الأخيلة التي كانت معروفة في الأندلس بعبارة سهلة رشيقة ، كما في قصيدته التي مدح بها المعتضد ، وهي تدل على مقدار ملكة الشعر وقوتها في نفسه ، وأنه شاعر بفطرته . يشعر بجمال القول، ويعرف كيف يصل الى اقتناص المعاني الجميلة ، ويضعها في أسلوب جميل ، وخيال جميل ، ورقة في الذوق ، وكأنك تقرأ كلاماً منشوراً لا شعراً منظوماً . أو كأنك تسمع نغمات الأوتار ، أوركبات القوافي أو حفيف الأشجار والنسيم يمسحها ويملقها . أو أنك في روض تفتحت فيه الأزهار ، ومالت عليك ظلال الأشجار ، أو كأنك ترى كتاباً مفتوحاً سطرت فيه حياة المعتضد أو مرآة تنعكس فيها أعماله ، أو مصوراً يرسم لك بالقلم والبيان لا بالريشة والألوان. كما قال :

أدر الزجاجة فالنسيم قد ابهرى	والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره	لما استردّ الليل منا العنبر
والروض كالحسنا كساه زهره	وشيا وقلده نداء جوهرا
أو كالغلام زهى بورد رياضه	خجلا وتاه بأسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم	صاف أطلّ على رداء أخضرا
وتهزه ربح الصبا فتخاله	سيف ابن عباد يبدّد عسكرا
عباد المخضر نائل كفه	والجوّ قد لبس الرداء الاغبرا
علق الزمان الاخطر المهدي لنا	من ماله العلق النفيس الاخطرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد	ونجاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى	وألذ في الاجفان من سنة الكرى
يختار اذ يهب الخريدة كعابا	والطرف أجود والحسام مجوهرا
قدّاح زبد المجد لا ينفك عن	نار الوغى الا الى نار القبرى

لاخلق أفرى من سفار حسامه  
 أيقنت انى من ذراه بجنة  
 وعلمت حقاً انّ ربهى مخصب  
 من لا توازنه الجبال اذا احتبى  
 ماض وصدر الرمح يكهم والظبا  
 قاذ الكتائب كالكوكب فوقهم  
 من كل أبيض قد تقلد أبيضاً  
 ملك يروك خلقه أو خلقه  
 أقسمت باسم الفضل حتى شمته  
 وجهلت معنى الجود حتى زرته  
 فاح الثرى متعطراً بثنائه  
 وتوجت بالزهر صلح هضابه  
 هصرت يدى غصن الندى من كفه  
 حسبى على الصنع الذى أولاه أن  
 يأبها الملك الذى حاز المنى  
 السيف أفصح من زياد خطبة  
 ما زلت تغنى من عنى لك راجيا  
 حتى حلت من الرياسة محجرا  
 شقيت بسيفك أمة لم تعتقد  
 أثرت رمحك من رؤوس كباتهم  
 وصبغت درعك من دماء ملوكهم  
 نعتها وشيا بذكرك مذهبها

ان كنت شبهت المواكب أسطرا  
 لما سقانى من نداء الكونرا  
 لما سألت به النعام المطرا  
 من لا تساقه الرياح اذا جرى  
 تنبوا وأيدى الخيل تعثر فى البرى  
 .....

عضبا وأسر قد تأبط أسمرا  
 كالروض يحسن منظرا أو مخبرا  
 فرأيت فى بردتيه مصورا  
 فقرأته فى راحتيه مفسرا  
 حتى حسبنا كل ترب عنبرا  
 حتى ظننا كل هضب قيصرا  
 وجنت به روض السرور منورا  
 أسعى بجدة أو أموت فأعذرا  
 وحباه منه بمثل حمدي أنورا  
 فى الحرب ان كانت يمينك منبرا  
 نيلا وتغنى من عتا وتنجبرا  
 رحبا وضمت منك طرفا أحورا  
 الا اليهود وان تسمت بربرا  
 لما رأيت الغصن يعشق مشمرا  
 لما علمت الحسن يلبس أحمرا  
 وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا



من ذا يناغى وذ كرك صنبل أوردته من نار فكري مجرا  
فلئن وجدت نسيم حمدي عاطرا فلقد وجدت نسيم برك أعطرا  
واليكها كالروض زارته الصبا وحنا عليه الطل حتى نورا  
وكان ابن عمار يتخذ الشعر وسيلة للتعبير عن كل شيء ، فلم تكن تمر به  
حادثة من الحوادث الا ذكرها في شعره . فكان اذا أراد أن يكتب للمعتمد  
كتب له شعرا ، واذا أراد أن يشكو ، شكافى شعره ، واذا أراد أن يذكر خبرا  
ذكره في شعره . وكأثما كان شعره صحيفة من صحفه اليومية .

ويخيل الى من يقرأ كلامه أن المعاني كانت تنهل عليه انهيالا ، أو أن الشعر  
صقل لسانه وتمكن منه ، حتى أصبح لا يقول الا شعرا ، أو لا يقدر على التعبير الا  
بنظم المعاني ، أو أن الشعر عنده كالنثر في سهولة التعبير . وأكثره خال من  
الخيالات الشعرية ، ولكنه يحسب من صميم الشعر لأن به جمال الشعر : وهو  
امتلاك النفوس بهذه العبارات السهلة ، واعجاب الانسان بزلاقة لسانه وتناسق  
ديباجته . اذ ليس كل شعر خيالا ، وليست بهجة الشعر وصناعته محصورة في  
الخيال : من تشبيه حسن أو كناية عجيبة أو مجاز غريب . فقد يكون الشعر معرفة  
التعبير عما في النفس وكشف ما بها . وحسب الشاعر أن يصل بعبارته الى امتلاك  
الاسماع واعجاب النفوس بقوله . وليس الشعر غير ذلك . كقوله :

أأسلك قصدا أم أعوج عن الركب	فقد صرت من أمرى على مركب صعب
وأصبحت لأدري أفي البعد راحتي	فأجعله حظي أم الحظ في القرب
إذا التفت في أمرى مشيت مع الهوى	وان أتعبه نكصت على عقي
على اني أدري بأنك مؤثر	على كل حال مايزحزح من كربى
أهابك للحق الذى لك فى دمي	وأرجوك للحب الذى لك قلبي
أبظلم فى وجهي لذا قمر الدجى	وتنبو بكفى صفحة الصارم المضرب

حنانيك فيمن أنت شاهد نصحه      وليس له غير انتصاحك من حسب  
وما جئت شيئاً فيه بنى لطالب      يضاف به رأى الى العجز والعجب  
سوى أننى أسأمتنى للمسة      فالت بها حدى وكسرت من قربى  
وما أغرب الايام فيما قضت به      ترينى بعدى عنك آنس من قربى  
أما انه لولا عوارفك التى      جرت جريان الماء فى الفصن الرطب  
لأسمت نفسى ما أسوم من الأذى      ولا قلت ان الذنب فيما جرى ذنبى  
سأستمنح الرحى لديك ضراعة      وأسأل سقيا من تجاوزك العذب

وكان لآلامه أثر عظيم فى شعره، فكانت قصائده فى استعطاف المعتمد وسيلة  
من وسائل التعبير عن كل آرائه وخطرات نفسه. وليس أرق فى كلامه من  
استعطافه ، ولا أشد أثراً فى النفس من كلامه حين تضيق فى وجهه الدنيا على  
رحبها . فمن ذلك قوله للمعتمد

سجايك ان عافيت أئدى وأسمح      وعذرك ان عاقبت أجلى وأوضح  
وان كان بين الخطتين مزية      فأنت الى الأذى من الله أجح  
حنانيك فى أخذى برأيك لا تطع      'عدائى وان أثنوا على' وأفصحوا  
وما ذا عسى الاعداء أن يتزيدوا .      سوى أن ذنبى واضح متصح  
نعم لى ذنب غير أن ملحه      صفاة يزل الذنب عنها فيسفع  
وان رجائى ان عندك غير ما      يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح  
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة      يكران فى ليل الخطايا فيصبح  
وهبنى وقد أعقبت أعمال مفسد      أما تفسد الأعمال ثمت تصلح  
أقلنى بما بينى وبينك من رضا      له نحو روح الله باب مفتوح  
وعف على آثار جرم جنيتسه      بهبة رحى منك تمحو وتصفح

ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم  
وما ذاك الا ماعلمت فأننى  
وقالوا سيجزيه فلان بفعله  
ألا ان بطشاً للمؤيد يتقى  
وبين ضلوعى من هواء تميمية  
سلام عليه كيف دار به الهوى  
ويهنيه ان مت السلو فأننى  
وقال يصف سجنه لصديق له وكأنما هى أنه من أئنه ، ولوعة من لوعاته ،

وهى من الشعر المطبوع :

أدرك أخاك ولو بقافية  
فلقد تقاذفت الركاب به  
طاحت صحابته بلا سنة  
بمعارج أدت الى جرد  
عال كأن الجن اذ مردت  
وحش تناكرت الوجود به  
قصر تمهد بين خافيتى  
متحير سل الوقار على  
ملكك عنان الريح راحته  
مأوى العزيز وقد نصحت فان  
واصلت خدمة قاطع سببى  
دع ذا وصلنا غير مؤتمر

وله مدائح كثيرة فى المعتضد وابنه كلها من جميل القول .



هذا شئ عن ابن عمار وهذه صورة من حياته وميوله النفسية ، يمكن بها معرفة ما في شعره من الرقة والمعاني الوجدانية ، وما له من السهولة في الأسلوب ولا سيما خلو كلامه من المعاني الجدية أو الفلسفية أو الاجتماعية ، فقد قصر كلامه على الوجدانيات في شكواه وبث آلامه . فليس هو من الشعراء المفكرين ، ولا ممن كان للتربية العامية أثر في نفوسهم ، وكأنه لم يطلع على شئ سوى أوزان الشعر وعبارات البلغاء . حتى امتلأت نفسه من ذلك ، ومال الى قول الشعر . فأصبح من أكبر الشعراء الوجدانيين

## عبد الجليل بن وهبون<sup>(١)</sup>

عاش عبد الجليل ابن وهبون في حاشية المعتمد بن عباد، ومر بتلك الأحوال التي مر بها ابن عمار وغيره . من مجون وهو وطرب ، فكان له نصيب في ذلك . وقالوا عنه ما قالوا في غيره من حب اللهو والميل الى الغلمان . وذكروا له شعرا كثيرا في ذلك . وكأن كل نفسه كانت منصرفة لهذا ، وليس بعجيب أن ينغمس ابن وهبون في هذه البيئة لانه عاش فيها ، ولأن كل الناس كانوا على تلك الحال .

---

١ لم نقف على تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته . ولكن عرف عصره الذي عاش فيه ورفاقه الذين عاش معهم .

عاش ابن وهبون في عصر المعتمد بن عباد وكان من المقدمين في حضرته ، وصديقا للوزير ابن عمار . فهو اذاً من أهل القرن الخامس الهجري ويقولون انه توفي في أوائل القرن السادس قبل سنة ٥٣٣ . هاجر من بلاده كورة تدمير واستقر بأشبيلية حيث عزة الملك والمال كانت في أوجها ، وسوق الادب والعلم رائجة ، وكان من أصحاب الرحلات والنقلة ، ينفذ على الملوك والامراء مع عزة في نفسه . فقد اجتاز مرة بالمرية وقد ملكها المعتصم بن صمادح فاهتزله وعرض عليه مالا وافرا فلم يقبل وكان اليوم عيداً فقال :

دنا العيد لو تدنو به كعبة المنى وركن المعالي من ذؤابة يعرب  
فيا أسفا للشعر ترمى جواره ويابعد ما بيني وبين المحصب

وقد صاحبه ابن عمار وأخلص له ورفع قدره وأكرمه . وسبب ذلك أن ابن وهبون لما قدم شيلية قصد الاستاذ أبا الحجاج الاعلم مؤدب أولاد ابن عباد . وكان في نفس ابن وهبون أن يكون له بهذا الاتصال شيء من الرفعة . وعلق آمالا كثيرة على ذلك . وحدث أن مدح المعتمد بقصيدة من أحد كبار الشعراء الذين كان يستقل ظلمهم الاستاذ الأعلم ، وقالوا انه عرض في هذه القصيدة به . فعرضها على ابن وهبون وولاه أمر الرد عليها ، فقال في ذلك قصيدة سمعها لجن بها وطار بذكره ، وأعجب به . ولما علم المعتمد به أنزله منزلة عظيمة وقصره على هواه فلم يرحل الى ملك سواه . وبقي في حضرة المعتمد . ولما بدت الفتنة هناك خرج هاربا ثم تلاقى بعصبة وجيش من جيوش الأعداء فاستشهد على أيديهم .

ولكنه مزج بين الجد والهزل في شعره. فقرأ تارة خليعا ماجنا ، حلو الكلام عذب .  
 العبارة ، منغمسا في ملاذه ومسراته انغماس الرجل الذي تسيره أهواؤه ، وكأنه  
 لا ينظر الى الدنيا وما فيها غير نظر الماجنين . فاذا أتعبتك خفة روحه ،  
 وأنعمت نفسك سرورا من خلاعته ومجونه ، ونظرت نظرة أخرى الى شعره ،  
 رأيت ينابيع الحكمة تتفجر من غضونه ، وظننت أنك تقرأ في كتاب حكمة  
 وفلسفة ، لا في ديوان شعر وخيال ، أو كأنما تقرأ كلام شاعر حكيم ، بلسان عربي  
 مبين ، أو انه نفحة من نفحات المعري ، أو حكمة من حكم المتنبي  
 لم يترب ابن وهبون تربية خاصة ، ولم يعيش عيشة غير عيشة من كان معهم .  
 ولكن آراءه ليست كأراء غيره ممن عاشوا معه ، بل ذلك شيء غير معروف  
 عند أكثر شعراء الأندلس . فقد عهدنا الأندلسيين برعوا في نوع جميل  
 من الخيال ورقة الاسلوب وجزالة اللفظ ، والأوصاف التي دعته اليها آثار تلك  
 المدينة الحديثة ولم يمهدها شعراء العرب . أما ابن وهبون فقد برع في نوع آخر وهو  
 الشعر الفلسفي على انه لم يقصر في ذلك النوع ولم يتأخر عن السبق في هذا الميدان

---

١ فسار رواعته انه ركب بأشبيلية زورقا في ليلة مظلمة مع جماعة كان بينهم غلام جميل بيده  
 شمعان . فقال ابن وهبون في ذلك :

أعجب بمنظر ليلة ليلاء	تحيا بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهي بغرة أغيد	يختال مثل البانة العيناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه	كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاح تحت الماء ضوء جبينه	كالبرق يخفق في غمام سماء

وقال في فتي وقد تابطه وزير جميل .

يا هلال استتر بوجهك عني ان مولاك قابض بشمالي  
 هبك تحكي سناء خيرا بخير قم بجثني لقدم بمشال  
 وقال متغزلا وقد أبدع ابداع المغرمين الفنين .

زعموا الفزال حكام قلت لهم نعم في صدم من عاشقيه وهجره  
 وكذا يقولون المدام كريقه يارب ما علموا مذاقة ثفره



ميدان الخيال. حتى رموه باحجون أكثر من غيره ، وقالوا ان ذلك حط من شأنه .  
ولكنه رغم ذلك من الشعراء المفكرين. وفي الحق ان ذلك لم يكن ناشئا من تربية فكريه  
أو اطلاع واسع على علوم الدين والفلسفة ، ولكنه كان ذكياً مفكراً ، وشاعراً صافى  
القرينة ، قادراً على نظم المعانى نظماً شعرياً . ولا بد أن يكون قرأ كثيراً من شعر  
المتنبي وأبي العلاء فأخذ يعارضهم في أساليبهم ، أو يجاريهم فيما كانوا ينظمون من  
المعانى والموضوعات ، مع بلاغة عبارته. كما قال :

نفسى وجسمى ان وضعتها معا	آل يندوب وصخرة خلقاء
لو تعلم الأجيال كيف مآلها	علمى لما امتسكت لها أرجاء
انا لنعلم مايراد بنا فلم	تعبيا القلوب وتغلب الأهواء
طيف المنايا فى أساليب المنى	وعلى طريق الصحة الا دواء
تتعاقب الأضداد مما قد ترى	جلبت عليك الحكمة الشنعاء
ماذا على ابن الموت من ابصاره	ولقائه هل عقت الابناء
أيفرنى أن يستطيل بى المدى	وانا بحيث تواطت الغبراء
لم ينكر الانسان ماهو ثابت	فى طبعه لو صحت الآراء
ونظير موت المرء بعد حياته	ان تستوى من حسنه الاعضاء

هذه فلسفة منطلومة . واذا كان هذا يحسب من الشعر الجميل فذلك لمعانيه  
وما فيه من الآراء التى تجذب النفوس اليها ، كما يجذبها الخيال الجميل ، والبلاغة  
الساحرة ، فهو من هذه الجهة شعر جميل أيضاً

ولكن الأدباء لم يفهموا هذا النوع من الشعر ، بل لا يقولون انه من باب  
الشعر . وقد ظنوا أن الشاعر الذى يحوم حول هذه المعانى انما دفعه العجز الى

ورودها، ورماء اليها ضيق التصور وجفاف الفكر<sup>١</sup>

قال ابن وهبون هذه القصيدة في رثاء أبي الحجاج الاعلم، وأتمها في مدحه .  
ورثاؤه يشبه في جملته رثاء أبي العلاء من حيث معانيه . وقد يكون قرأ  
شعر أبي العلاء أو المتنبي . ولكن مهما كانت الحال فليس ادراك ابن وهبون  
كادراك غيره من الشعراء . وان كان جاراهم في أساليبهم الشعرية ، فان له ميزة ظاهرة  
في المدح نفسه ، الذي هو شكل معروف وطابع اتفق عليه في الادب والخيال ، من  
تعداد الفضائل والأوصاف الكريمة كما قال من قصيدة في مدح ابن عمار قال :

قَتَلْتُ بَنِي الْأَيَّامِ خَيْرًا فَبَاطَنِي	مَشَيْبٌ وَمَا يَبْدُو عَلَى شَبَابٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الزُّورَ فِي النَّاسِ فَاشِيًا	تَحِيلُ لِي أَنَّ الشَّبَابَ خَضَابُ
وَأَلَيْتُ لَوْلَا مَلِكٌ نَحْمُ مُحَمَّدٍ	لَمَا كَانَ مَلِكٌ فِي الْأَنَامِ لِبَابٍ <sup>٢</sup>
وَلَوْلَا ابْنُ عِمَارٍ وَفَاضِلُ سَعِيهِ	لَأَصْبَحَ رُبْعُ الْمَجْدِ وَهُوَ خَرَابُ
وَمَا كَانَ يُؤْتَى الْأَمْنُ مِنْ حَيْثُ يَلْتَقَى	وَلَا كَانَ يَدْرِي لِلْحَوَادِثِ بَابُ
وَلَا أَحْرَقَتْ أَرْضَ الْمَدَى صَوَاعِقُ	وَلَا أَمْطَرَتْ أَرْضَ الْعَفَاةِ سَحَابُ
وَمَا كَانَ هَرُونَ أَصْحَ وَزَارَةُ	لِمُوسَى وَهَلْ دُونَ السَّحَابِ حِجَابُ
نَهَوْضُ وَلَوْ أَنَّ الْأُسْنَةَ مَرْكَبُ	وَرُودُ وَلَوْ أَنَّ الْحِمَامَ شَرَابُ

١ قال صاحب النخبة في ذلك :

وهذا معنى فلسفي قلما عرج عليه عربي . انما فرغ اليه المحدثون من الشعراء حين ضاقت  
عنهم منهج الصواب : وعدموا روث كلام الاعراب ، فاسرعوا الى هذا الهديان اسراع الجبان الى  
تنقص أفرانه . واستجادة سيفه وسانه . وقد قال بعض أهل النقد انه عجيب في الشعر والنثر أن  
يأتى الشاعر أو الكاتب بكلمة من كلام الحكماء أو بالفاظ الفلاسفة القدماء . وانى لأعجب من  
أبي الطيب على سعة نفسه ، وذكاء قلبه ، فانه أطال قرع هذا الباب والتمرس بهذه الاسباب .  
وكذلك المعري كثر به انتزاعه وطال اليه ابطاعه ، حتى قال فيه أعداؤه وأشباعه وحسبك من  
شرسبائه ،

٢ كذا في الاصل

مضى مثل ما يمضى القضاء وهزه      همام يهز الجيش وهو هضاب  
كما اقترنت بالبدر شمس منيرة      له عن سناها في الخطوب مآب  
أنافت به فوق السما كين همة      أناف عليها عنصر ونصاب  
فلفظته يوم المباهاة خطبة      ولحظته يوم اللقاء ضراب  
له سنة في الجسد والهزل مثلما      تدار كؤوس أو تدق حراب  
وقد نزع أيضاً في بعض شعره نزعة أبي العلاء والمتنبى في الفخر بنفسه  
ومدحها ، لان تلك كانت الطريقة الجديدة أو بدعة الشعر في ذم الناس والفخر  
بالنفس كقول المتنبى .

الخليل والليل والبيداء تعرفني      والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
وقول المعري .  
ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا      تجاهلت حتى ظن انى جاهل  
فقد قال ابن وهبون:  
اتخفى على الأيام غر مناقبي      وقد بد شأوى شأو كل نقاب  
ويركبنى رسم الخول وقد غدت      خصال العلى والمجد طوع ركابي  
سأرمى بهماى قصارى مراتبي      وان كان أذناها يطيل طلاي  
لتعلم أطراف الأسنة اننى      كفيل بها عند الصدى بشراب  
وتشهد أطراف اليراعات اننى      بهن مصيب فصل كل خطاب  
وليس نديى غير أبيض صارم      وليس سميرى غير شخص كتاب  
مضخة لا بالخلق أناملى      مزعفرة لا بالعير حراي  
ولكن بنفح ينجل الروض زاهرا      ولكن بدعس في كلى ورقاب  
وربما كانت تملأ نفسه حكم المتنبى وأسلوبه فينسج على منواله ، حتى لقد



يخيل اليك أنك تقرأ شعر المتنبي وقوافيه . ولعل ذلك كان من ضروب التقليد والمحاكاة أكثر منه من باب التفكير والابتكار . ولكنه يدل على ميل ابن وهبون الى التفكير وحب الكلام في المعاني الجديدة ، والبحث في بعض أحوال الناس ووصف بعض الأخلاق ونقدها ، وإظهار عدم رضاه عما يرى ويسمع في الحياة وهو يتخذ الشعر وسيلة من وسائل التعبير وجمال القول . كما قال :

أطلتُ في الدهر تصعيدى وتصويبي	ودهر ذى اللب مضمار التجاريب
ورُبَّ آخر لا يُهدى إلى فمه	أصاب غرة مأمول ومرغوب
وآفتى أدب باد فضيلته	من حيث يشفع لى قد صار يغرى بى
كنى من الحظ أنى لا أنافس فى	حظ ومخبرتى تكفى وتجريبى
وقد أرى صوراً فى الناس مائلة	أشيمها بين تحقيق وتكذيب
لما ملأت يدى منهم لأخبرهم	نفضت كفى باشباه اليعاسيب
بيض وجوههم سود ضامرهم	فما حصلت على عُرْب ولا نوب
الصدق أولى بمن يدى ضفينته	لا تجعل الصدق من نعت الأ صاحب

مع هذا فكان ابن وهبون يجارى الشعراء فى صناعتهم من مدح صناعى وكلام صادر من غير شعور . وذلك لنمكن ملكة الشعر منه واحتياجه الى هذه المجازاة . ولمكن ذلك لم يكن يخلو من نظراته وملاحظاته ، مما يدل على انه كان كثير التفكير . ولقد يمزج بعض آرائه النقدية بعبارات الشعرية مع شىء من التهمك ، فتجد كل ذلك جميلا . كما قال وقد توقف مرتبه عند العامل

ألستم مغشرا الاملاك طائفة	تقضى بتخليدها هذى الأناشيد
فان نقصتم أناسا من نوالكم	فحق منكم لأهل الشعر تزويد
لكم خلقنا ولم نخلق لأنفسنا	فانما نحن تحميد وتمجيد
يا صاحب المجد ان المجد سائمة	تضل اذ لم يكن بالشعر تقييد
خذنى بما شئت من غراء شاردة	يصغى الأصم اليها وهو مفؤود

واعذر بتقصيرها من لا يزال له  
لا يدرك القوت مما أنت واهبه  
وليس للشعر الا خاطر يقظ  
وما المدائح الا بالملوك وهل  
وكما قال:

قل للرشيـد وقد هبت نواخه  
أشكو لـديك النـدى من حيث أحـده  
يا قاتل الشكر بالاحسان يغـمره  
عجبت من كرم في راجتيك بدا  
آثرت عندك من بجاه ومن نشب  
يا واحداً تقتضى آلاؤه جـلا  
للناس بعدك في العليا منازلهم  
أسرفت ياديمة المعروف فاقتصد  
لوفاض فيضاً على البحرين لم يزد  
مهلاً أما لقتيل الجود من أود  
اسرافه كيف لا يعزى الى الفند  
حتى وجدت الغنى في همتي ويدي  
برحت بي وبنظم الشعر فاتتد  
والواحد الفرد يحوى مبدأ العدد

وبرع في الوصف وفي كل ما قال فيه ، فقد وصف قصراً بقصيدة طويلة  
جيدة المعنى ، ولم تخل من بعض الآراء لأنه لم يكن يسرد الكلام سرداً بدون  
فكر . قال في هذه القصيدة :

وللزاهى الكمال سنا وحسنا  
يحاط بشكله عرضاً وطولاً  
تواصلت المحاسن فيه شتى  
وقدر مثل ركز الطود ثبت  
تدافع من جوانبه اثتلافا  
فلو أدنوا حرام السحر منه  
سواء ترتى بعباب تبر  
كما وسع الجلالة والكمالا  
ولكن لا يحاط به جمالا  
فوفد اللحظ ينتقل انتقالا  
ومختال من الحسن اختيالا  
يكاد المستبين يقول مالا  
لأضحى يعبد السحر الحلالا  
كأن بها اكاما أو تلالا

فقد كاد اللييب يهاب منه      ويحسب ان بحر الجوّ سالا  
فما أبقى شهابا لم يصب      ولا شمساً تنير ولا هلالا

ومنها فى الحكم

تزاومت الموم خلال صدرى      فما تركت لأنفاسى مجالا  
وما خلت الزمان يكون ثقلا      ولا نفحاته تأتى وبالا  
كأنى كلما استنشقت منه      أردت به الى كبدى نصلا  
وكيف يصح ذو قلب أبى      اذا كان الالباء له كالا

هذا هو عبد الجليل بن وهبون . وهو وان لم يكن من الشعراء المعروفين  
بكثرة الكلام ، فان شعره صورة من صور الأدب فى الأندلس القليلة المثال.  
بل هو من الشعراء الذى كانوا يحاولون الانتقال بالشعر من الخيال الصرف الى  
المعانى العامة . أو الى نوع من فلسفة التفكير التى تدل على ان حسن الديباجة  
وجمال الأسلوب يجعلان الفلسفة شعراً ، والتفكير العميق فى باب الخيال الجليل



## ابن حمديس الصقلي<sup>(١)</sup>

ولد عبد الجبار بن حمديس بجزيرة صقلية. ولم يكد يتنسم ريح الشباب حتى وقعت بلاده في يد الترمانيين، الذين لم تكد تطأ أقدامهم تلك الجزيرة حتى نكلوا بأهلها كل تنكيل، وأذاقوهم العذاب الأليم، وحملوهم على ترك دينهم، وفتكوا بأعراضهم، وأذلّوهم وأهانوهم في شرفهم. فشهد ابن حمديس، ذلك ورأى بعينه كيف تسلب الأوطان من أهلها، وكيف يجرؤ القوي على سلب حقوق الضعيف، وينقضّ عليه كما ينقض اللص ذو القوة والطول، على الضعيف السليب من كل قوة وحول.

لذلك أثر الهجرة على البقاء بين قوم اغتصبوا بلاده. وكان لهذا أثر عظيم في نفسه وخياله الشعري وأخلاقه حتى أصبحت نفسه من النفوس المظلمة، وصدره من الصدور المنقبضة، واستولى عليه البؤس بسبب هذه الحوادث. فهاجر إلى إسبانيا ونزل بأشبيلية، وعاش في حاشية المعتمد بن عباد وصار في جملة شعرائه، وتبعه في منفاه. ولم يكن ابن حمديس معروفاً عند قدومه إلى أشبيلية. فقد قال:

«أقمت بأشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت إلى، ولا يعابى، حتى قنطت لخيتي مع فرط تعبي، وهممت بالنكوص على عقبي. فاني لكذلك ليلة

---

١ ولد أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي سنة ٤٤٧ هـ في جزيرة صقلية وفي سنة ٤٧٦ هـ هاجر إلى إسبانيا وعاش في أشبيلية وتوفي سنة ٥٢٧ هـ بجزيرة ميورة

من الليالى فى منزلى اذ بعلام معه شمعة ومركوب، فقال لى أجيب السلطان. فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبة فنك<sup>١</sup>، وقال لى افتح الطاق اتى تليك ففتحتها، واذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه، وواقدة تفتحهما تارة وتسدهما أخرى، فحين تأملتها. قال لى أجز.

انظرهما فى الظلام قد نجما . فقلت: كما رنا فى الدجنة الأسد فقال: يفتح عينيه ثم يطبقها . فقلت: فعل امرى فى جفونه رمد فقال: فابتزه الدهر نور واحدة . فقلت: وهل نجا من صروفه أحد فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمى خدمته<sup>٢</sup>»

أما نفسه فنفس رجل ربه الحوادث ونالت منه الايام. وأذاقته مرها قبل حلوها . فثقلت عليه الحياة . ولوت من ظهره بعد ان أخرجه من وطنه وليس له اللسانه وخياله . وقد كان لبلاده أثر طيب فى نفسه ومنزلة رفيعة وحب جم. فلما اضطر الى الهجرة والنزول فى غير أهله تعست نفسه، وأظلمت فى وجهه الدنيا وكثر حنينه الى بلده، وصار ذلك من أظهر صفاته النفسية مهما حاول الخروج منه الى وصف الميزات أو التظاهر بالمسرات . ولقد يلمح الانسان هذا فى كل شعره حتى فى الغزل والخريات والمدح والوصف .

وأما عقله فكان ميالا الى ادراك الاشياء والمعانى ادراك من يحاول فهم ما يرى ويفكر. فقد كان يرغب دائماً فى تشبيه المحسوسات بالمعقولات، والمعقولات بالمحسوسات<sup>١</sup>، وهذه طريقة من طرق المحاولة فى الادراك . وأكثراهتمامه فى تشبيهاته موجه الى وصف المراثيات وادراكها . ولقد تظهر حركة عقله عند قراءة شعره بسبب انتقاله من معنى الى آخر، ومحاولة الخروج من طريق واحد الى طرق

---

١ دابة فروتها أطيب أنواع الفراء

٢ نفح الطيب جزء ٢ صفحة ٤١٦

متشعبة . أما قوته الشعرية التي بها تكوين هذه الاشياء ووضعها في أسلوب خيالى جميل فتابعة لنفسه وعقله ، وأكثر اعتماده في ذلك على ما يكتسبه من التأثير بطواهري الأشياء وما فيها من التشابه بالجمال .

ذلك أسلوبه في شعره أو أن هذه هي صفات شعره : يشكو الزمان ونصيب الحر منه وكثرة نوبه ، ويأتى في خلال ذلك بعبارات شعرية جميلة تدعو القارئ الى الشعور بما يشعر به هو

وعلى الرغم من صبغته الجدية في شعره ، فإن كثرة كلامه في الحزن ومجالسه والعشق وآثاره ، تدل على انه كان يميل الى شئ من المجون ، ولكنه كان أقل من غيره في ذلك فان الانسان لا يكاد يرى لتهتك أثراً في كلامه . ولولا انه عاش في هذا العصر وفي حاشية المعتمد بن عباد ، قلنا انه كان بعيداً عن اللهو والمجون ، ولعلنا شعره الذى جاء في هذا على نوع من الصناعة والخيال ، اذ اننا نجد في كثير من شعره يميل الى الكلام في المواعظ والعبر ، أو الى بعض الآراء التى تدل على انه كثيراً ما كان يدفعه الفكر الى خوض المعانى النفسية أو الخواطر الفلسفية ، ويمزج هذه الافكار ويصوغها في أنواع شعره . ويظهر من شعره انه أنضج من غيره وأكثر تأثراً بالمعاني الاجتماعية من سواه . ولهذا أيضاً نراه شاعراً مفكراً من أصحاب الملاحظات والنظر في الحياة والاجتماع أكثر منه شاعراً وصافاً كما هو معروف عنه . ويمكن الاستدلال من هذا على تربيته العقلية وحالته الفكرية .

وقد أبدع في هذا الشعر الجدى المملوء بالعبر والحكم . كما دل على انه مفكراً أكثر منه خيالياً لاشتغال شعره على جولات فكرية مملوءة بأحواله النفسية ، والآلام التى يشعر بها ، وكثيراً ما تظهر هذه الآلام آلاماً لجميع الشاكين والمتألمين من الحياة ، كما تظهر آلام العاشق الشاعر آلاماً لكل العاشقين . لذلك كان ابن حمديس شاعراً نفسياً نلقا على الحياة وما فيها . كما قال



هل أقصر الدهر عن تعنيت ذى أدب      أو قال حسبي من أخمال ذى حسب  
 لا يلحظ الحر إلا مثلما وقعت      على أخى سينات عين ذى غضب  
 وكيف يصفو لنا دهر مشاربه      يخوضها كل حين جحفل النوب  
 ان الزمان بما قاسيت شينى      ولم أشبهه . هذا والزمان أبى  
 ولو خلا الدهر ذو الأنباء من عجب      أكرت منه ومن أنبائه عجبى  
 قرأت وحدى على دهرى غرائب      فما أعاشر قوماً غير مغرب  
 أحلت عزمى على همى فقطعه      كأن عزمى على صمصامى الذرب  
 ماقر بى السير فى سهل ولا جبل      إلا كما قر جارى الماء فى صلب  
 ولم أضق فى السرى ذرعا بمعضلة      قد زاحمتنى حتى ضاق مضطربى  
 وترتقى حر أنفاسى قابضه      برداً وإن كان مستبقى من اللهب  
 وأحر بالحر ان تلقاه ذا جلد      وإن تبطن داء قابل الوصب  
 ولقد تنقبض نفسه فتحرك خياله      حركة البائس الذى ينظر الى الأيام نظرو  
 الحاقد ، ويعدد مساوئها ويندب أوقات الشباب ، وكأنه واقف على أبواب الموت  
 يودع الحياة ويطلب المغفرة من الله ذلك وهو فى حلة كآبة نفسه متأثرة بهنه  
 الخواطر . كما قال :

وعظمت بلمتتك الشائبة      وفقد شببتك الزاهية  
 وسبعين عاماً ترى شمسها      بعينك طالعة غاربة  
 فويحك هل عبرت ساعة      ونفسك عن زلة راغبة  
 فرغت لصنعك مالا يثيك      كأنك عاملة ناصبة  
 وغرتك دنياك اذ فوضت      اليك أمانيها الكاذبة  
 أصاحبة خلها ؟ انها      باحداتها بثست الصاحبة

اما سلبت منك برد الشباب      فهل يسترد من السالبة  
وان دقائق ساعاتها      لعمر ك آكلة شاربة  
وان المنية من نحوها      عليك باظفارها واثبة  
ألم ترها بحصاة الردى      لكل حميم لها حاصبة  
كأن لنفسك مغنيطسا      غدت للذنوب به جاذبة  
فيا حاضراً ابدا ذنبه      وتوبته أبدا غائبة  
أذب منك قلبا تجارى به      سوا كب عبرتك الساكبة  
على كل ذنب مضى فى الصبا      وأتعب اثباته كاتبه  
عسى الله يدركك العقاب      والا فقد ذمت العاقبة

وقد يكون ابن حمديس من أكبر شعراء العرب وأفضلهم، لأن لشعره صبغة خاصة ليست معروفة كثيراً فى الشعر العربى : تلك الصبغة هى محاولة الخروج من الوجدانيات التى هى أكبر مظاهر الشعر العربى ، الى الكلام عما يجول بالنفوس، لا من جهة الخيال وما به من الجمال لا غير ، بل من جهة التفكير أيضاً ، وما يمر بنفس الانسان وما يشعر ويحس من حوادث الحياة وأشكالها ، وما يعتريه من حيرة وشك و يقين، وكرهة للوجود أحيانا، وميل الى البقاء تارة . ذلك بعرض صور الحوادث المؤلمة التى تزهد فى الدنيا وتنفر الانسان من رؤيتها وتلك بوصف أوقات الانس ولحظات السرور ، من حسن الذكرى ووصف بمجالس اللهو والطرب والخمر ولذتها ، والجمال وأثره فى النفس وغير ذلك من أصفى وجوه الحياة وأجمل صورها .

فهو فى كل أنواع شعره جاد لا مازح . ولذلك تجد أثر فكره وحركة عقله فى كل كلامه ، وتشعر بنفسه المفكرة اذا قرأت شعره ، كما تشعر بتلك الحيرة التى هى أصل كل تفكير ، وكما تشعر بسعة خياله الشعرى واذا اجتمعت قوة الفكر

وسعة الخيال لانسان كان من أكبر الشعراء ، فاذا كانت حاسته النفسية التي هي رقة شعوره قوية أيضاً كان في مقدمة الشعراء . كل ذلك في شعر ابن حمديس . فهو شاعر نفسي في مقدمة شعراء العرب المفكرين . بين في شعره ما تنطوي عليه نفسه ، ولكن لا بصفته الشخصية الفردية ، بل بصفته انساناً أمثاله كثيرون . واذ كان كثير التفكير في ظلمات الحياة وجوهرها العابسة وميالا الى التأمل في ذلك أكثر من التفكير والنظر في وجوها النضرة الباسمة غلبت على شعره صبغة التشاؤم . أكان كذلك لأن نفسه كانت مريضة وأعصابه مضطربة ؟ قد يكون هذا . وربما كانت رقة شعوره تقود عقله وتملك منه ادراكه ، وكان اغترابه عن وطنه ونزوح الأعداء اليه ووقوعه في غير قبضة أهله من الأسباب التي أثرت في نفسه واستولت على عواطفه . فكان يشعر بضيق ويكره الحياة وينحى باللوم على نفسه وينهرها . ولكنه لم يكن في ذلك فيلسوفاً ، بل كان يميل الى أمثال أفكار المتصوفة في لوم النفس والنيل منها . ولقد كانت تملكه هذه العاطفة أحياناً ، عاطفة الندم أو توبيخ النفس ، فيرى نفسه ذليلاً حقيراً ، وكأنه يبكي على ذنوبه وهو حزين كئيب . ولكن ما أجمل حزنه الشعري وأرقه في هذا الأنين . حيث يقول :

ياذنوبى ثقلت والله ظهري	بان عذرى فكيف يقبل عذرى
كلما تبت ساعة عدت أخرى	لضروب من سوء فعلى وهجرى
ثقلت خطوتى وفودى تفرى	غنيب الليل فيه من نور فجرى
ربّ موت السكون في حركاتى	وخبا في رماده خمر جمرى
وانا حيث سرت آكل رزقى	غير ان الزمان يأكل عمرى
كلما مر منه وقت بربح	من حياتى وجدت في الربح خسرى
يارفيقا بعبده ومحيطا	علمه باختلاف سرى وجهرى



هل بقلبي الى صلاح فسادى      منه واجبر برأفة منك كسرى  
وأجرني بما جناه لساني      وتناجت به وساوس فكرى  
أو كقوله وهو يفكر فى نفسه وحياته وكأنه متصوف ، ولكنه مع ذلك شاعر  
جهيل القول :

كلت لى الخسوس والخس      ووقعت فى مرض له نكس  
ووجدت بالاضداد من جسدى      غصنا يلين وقامة تقسو  
وتنافرت عني الحسان كما      لحظ المصور جآذر خنس  
وأبيض من فودى من شعري      وحف كأن سواده النقس  
والعمر يذبل فى منابته      غرس ويلبس نضرة غرس  
الى أن قال

وأقل ما يبقى الجدار اذا      ما انهد تحت بناءه الأس  
يارب ان النار عاتبة      ولكل سامعة لها حس  
لا تجعل جسدى لها حصبا      فيه تحرق منى النفس  
وارفق بعبد لحظه جزع      يوم الحساب ونطقه همس  
وكقوله فى الشكوى :

أسامنى الدهر للرزايا      وغير الحادثات قفشى  
وكنت أمشى ولست أعيا      فصرت أعيا ولست أمشى  
كأننى اذ كبرت نسر      يطعمه فرخه بعش  
ومن دعاياته فى ذلك :

نومى على ظهر الفراش منغص      والليل فيه زيادة لا تنقص  
من عاديات كالذئاب تذاءبت      وسرت على عجل فما تتربص  
جعلت دمي خمرأ تداوم شربها      مسترخصات منه مالا يرخص  
فترى البعوض مغنيا برابة      والبق تشرب والبراغث ترقص

وكانت تشور نفسه ثورانا وتغلى غليان الرجل فتنتطق بالشعر وكأنه زاهد  
في صومعة . أو ناسك في دير أو تقي من كبار التقاة . فيقول :

يبتك فيه مصرعك	وفي الضريح مضجعتك
غرنتك دنياك التي	لها شراب يخدعك
همت بحب فارك	وقلما تمتعك
يضررك الحرص بها	والزهد فيها ينفعك
لا تأمنن منية	ان عصاها تقرعك
مغربك القبر الذي	يكون منه مطلقك
ان فرقتك تربة	فالله سوف يجمعك
وللحساب موقف	أهواله تروعك
كم جر ما أشفقت من	لمسك منه أصبعك
فكيف بالنار التي	من كل وجه تلذعك
يراك ذو العرش اذا	ناديته ويسمعك
فتق به ولا يكن	لفيره تضرعك

وقد تجول نفسه جولات في ذكر أيامه الماضية ، فيذكر كل ما يخطر بباله ،  
ويسطر الماضي كما يسطر الكاتب مذكراته في كتاب ، أو كما يرسم المصور  
صورة من ماضيه على اختلاف أحواله . وهو يخرج من معنى ليدخل في معنى آخر  
بين جد وهزل ، ولكن كل ذلك بصيغة الرجل الجاد المفكر ، وكأنما تمر أمام  
القارئ سلسلة حوادث ، أو صور جميلة يتمتع بها ويتعظ منها . قال في إحدى هذه  
القصائد :

قضت في الصبا النفس أوطارها	وأبلغها الشيب انذارها
نم وأجيلت قداح الهوى	عليها فقسم أعشارها

وما غرس الدهر في تربة      غراساً ولم يحن أثمارها  
ظافيت في الحرب آلاتها      واعدت للسلم أوزارها  
كيتا لها مرج بالفتى      اذا حثَّ باللهو أدوارها  
تناولها الكوب من دنها      فتحسبه كات مضارها  
وساقية زررت كفها      على عنق الظبي أزارها  
تدير بيـاقوثة درة      فتغس في مائها نارها  
وفتيان صدق كزهر النجوم      كرام النجار أحرارها  
يديرون راحات فيض الكؤوس      على ظلم الليل أنوارها

ثم أخذ في وصف دير وصاحبة هذا الدير وما عندها من خمر، وأبدع في وصف الخمر بابتكارات عجيبة ، وخیالات غريبة. ووصف ملهى من الملهى وفيه القيان ترقص وتغنى وهو يقص ذلك ويحكى حكاية ، وكأنك جالس في ذلك الملهى ترى خطرات الراقصات وتسمع أصوات الغناء ، ولقد شعر بشدة تمكنه من صناعة الشعر ودقة وصفه وسهولة أسلوبه . قال .

وراهبة أغلقت ديرها      فكنا مع الليل زوارها  
هدانا إليها شذى قهوة      تذيع لأنفك أسرارها  
طرحت بميزانها درهمي      فاجرت من الدن دينارها  
تفرس في شمها طيبها      مجيد الفراسة فاختارها  
فتى دارس الخمر حتى درى      عصير الخمر وأعصارها  
يعدُّ لما شئت من قهوة      سنيها ويعرف خمارها  
وعدنا الى هالة أطلعت      على قضب البان أقمارها  
يرى ملاك الله وفيها الهوم      ثور فيقتل ثوارها  
وقد سكنت حركات الأسي      قيات تحرك أوتارها



فهذى تعانق لى عودها      وتلك تقبل يزمارها  
وراقصة لقطت رجلها      حساب يد نقرت طارها  
وقضب من الشمع مصفرة      تريك من النار نوارها  
كأن لها عمداً صفت      وقد وزن العدل أقطارها  
الى ان قال

ذكرت صقلية والأسى      يهيج للنفس تذكارها  
ومنزلة للتصايب خلت      وكان بنو الظرف عمارها  
فان كنت أخرجت من جنة      فأنى أحدث أخبارها  
ولولا ملوحة ماء البكا      حسبت دموعى أنهارها

وشكى فى قصيدة طويلة آلامه فذكر صبره على ذلك، وذكر غربته، وهجر  
وطنه ، وان ذلك كان من أكبر محنه . ثم ذكر شكاته من الناس وهو يضرب  
الامثال فى أثناء ذلك ، وفيالاقى من الأحوال بانفراده فى عزله حتى عن خيال  
كان يزوره . ثم أخذ يتسلى بمدح نفسه ويتغنى بفضلها الجم وذكر لىاليه الماضيه،  
وعرج على ذكر وطنه ونكبة بلاده باستيلاء الاعداء عليها وأخذ يصف أهل بلده،  
وما كان لهم من صفات الكمال والشهامة ومنازلة الحرب بافضل وأجمل ما يصف  
شاعر قوماً يمتاز بهم ، ويشرف بالانتماء اليهم . وختم كلامه بالحنين الى وطنه ،  
والبكاء على أهله . فقال :

تدرعت صبرى جنة للنوائب      فان لم تسالم يازمان فحارب  
عجبت حصاة لا تلين لعاجم      ورضت شموساً لا يذل لراكب  
كأنك لم تقنع لنفسى بغربة      اذا لم أتقب فى بلاد الأغارب  
فطمت بها عن كل كأس ولذة      وأنفقت كنز العمر فى غير واجب  
يبيت رياش العضب فى ثنى ساعدى      معاوضة من جيد غيداء كاعب  
وما ضاجع الهندى الا مثلاً      مضاربه يوم الوغى فى الضرائب

فكست وفدّي في الصبّا مثل قده      عهدت اليه أن منه مكاسبى  
فان تك لي في المشرقيّ مأرب      فكم في عصي موسى له من مأرب  
ثم أخذ ينسكهم عما في نفسه من ذكرى الحوادث الماضية ، وخيانة الناس  
والأيام ، وهو يتمثل أثناء الكلام ببعض الحقائق المعروفة للناس جميعاً ليثبت  
بها معانيه ويحسمها للقراء . ولم يخرج في مجموع أسلوبه عن الأسلوب العربي  
المعروف من كثرة استعمال المجاز والغموض في بعض العبارات ، وذكر الركب  
والرحل والنوى وركوبه القلاص وهزلها . كقوله

أتحسبني أنسى وما زلت ذا كراً      خيانة دهرى أو خيانة صاحبي  
تغذى بأخلاقى صغيراً ولم تكن      ضرائبه الاخلاف ضرائبي  
ويارُبّ نبت تعتريه مرارة      وقد كان يستقى عذب ماء السحاب  
عامت بتجريبي أموراً جهلتها      وقد تجهل الاشياء قبل التجارب  
ومن ظن أمواه الخضاريم عذبة      قضى بخلاف الظن عند المشارب  
ركبت النوى في رَحَل كل نجيبة      تواصل أسباني بقطع السباب  
ولما رأيت الناس يرهب شرهم      تجنبتهم واخبرت وحدة راهب

وعجيب تلك العادة التي ابتلى بها الشعراء في مدح أنفسهم مدحاً يخجل  
منه القارىء . فكيف بالشاعر وهو يضع نفسه فوق كل شيء ؟ هل هذا من  
الأماليب الشعرية ؟ لعله من وسائل التسلية ، على ما فيه من المبالغة والتغنى  
بمدح النفس . ولكن مهما يكن من شيء في هذا فإنها بدعة عجيبة في الشعر العربي  
وأسلوب غريب .

وبينما الشاعر يكيل لنفسه المدح كيلاً ، ولا يقنع بشيء منه تراه فاجأك  
بذكر الخمر ووصفها ومدحها . وانك لنكاد تشمل من ذلك ، وإذا هو ينتقل الى  
الكلام في وطنه ويذكر بلده ويمدح أهله . فيقول .

ولى فى سماء الشرق مطلع كوكب  
 متى تسمع الجوزاء فى الجو منطقى  
 وكم لى به من صنودد محافظ  
 أخى ثقة لا دسه الراح والصبأ  
 معتقة دع ذكر أحقاب عمرها  
 اذا خاض منها الماء فى مضمحلحشا  
 ولو ان أرضى حرة لأتيتها  
 ولكن أرضى كيف لى بفكاكها  
 الا فى ضمان الله دار بنوطس  
 أمثلها فى خاطرى كل ساعة  
 أحن حنين النيب للموطن الذى  
 ومن يك أبقى قلبه رسم منزل  
 تمنى له بالجسم أوبة آئب

هذا خلط فى تركيب القصيدة ، ولكنه خلط معهود عند شعراء العرب ،  
 فالقصيدة من هذه الوجهة من الشعر العربى الجميل . على ان هذا شاعر عرف  
 كيف يتكلم عن شعور ، وكيف يطبع نفسه حين تدفعه الى الكلام ليصور  
 خفاياها ويبين مكنوناتها .

وله فى الوصف براعة معروفة ، واستحضار عجيب لصور الأشياء والتشبيهات ،  
 ودقة فى جمع الأشياء وتنسيقها ، كأنما تراه يجمعها وينسقها بيده ، أو كأنه يفوس على  
 المعنى الخفى فيأتى به ويضعه فى موضعه . ولقد يتكلف أحيانا جمع هذه المعانى ، حتى  
 كأن كل كلمة أختطففت من مكانها لتوضع فى مكان آخر . ولكنك تراها  
 كالعقد يؤخذ من عنق الحسناء الى عنق العانية ، فلا يفقد قيمته ولا تضارته



وكأنك وأنت تقرأ كلامه ترى بعينك ما يصف وتحس ما يقول . لأنه كان  
 ذا شعور قوى ونظر ثاقب . لا يكاد يشعر بشيء الاذ كره في شعره ، ولا تكاد  
 تمتلئ عينه بمنظر الا وصفه كأنه كان مملوءا بذلك ، أو كأن هذه كانت كل  
 حياته ، لذلك كان يقول في المعنى الطريف ، كما يقول في المعنى المبثذل . ولكن  
 الابتذال يضيغ أمام شعوره بالجمال وحسن صناعته .

ولا تكاد تقف له على غور في الوصف ، ولا على أسلوب واحد ، لأنه  
 يميل الى الاختراع : ويصف الصيد والليل ، ويندكر رفاقه ، ثم يعرج على  
 السرور والكلام في الخمر ، ثم يرجع الى الطبيعة ، فيحن اليها ، ويصف طلوع  
 الصبح . ثم يصف الخيل و كلاب الصيد وحركاتها ووثبتها . وكثيراً ما يكون  
 وصفه حقيقياً ، أكثر منه خيالياً كأنما يرسم ما يرى . كما قال :

وليلة حالكة الارار مدت جناحاً كسواد القار  
 تحجب عنا غرة النهار عقرت فيها الهمم بالعقار  
 بجسم ماء فيه روح نار في مجلس ضم بني الفخار

كما في قوله يصف شجرة

أقناة من الشمع مركوزة لها جربة طبت من لب  
 تحرق بالنار أحشائها فتدمع مثلها بالذهب  
 تمشى لنا ورما في الدجى كما يتمشى الرضى في الغضب  
 عجبت لآكلة جسمها بروح تشاركها في العطب

وكما قال يصف ساقية

وساقيه تسقى الندامى بعدها كؤوسا من الصبء طاغية السكر  
 يمود فيها كل جام كأنما تفضن روع الشمس في جبد البدر  
 إذا قصدت ما نديما زجاجة تناولها رفقا انمله العشر  
 ويرسلها في مائها فيعيدنها للراحتي ساق على حكمه تجري

كهالة تضحك عن أقمارٍ      تراحت بالنجوم درارى  
من كل يَمِرٍ فى حى الدمارِ      مهين مالٍ ومعزٍّ جارٍ  
يُسقَوْنَ من ساطعة الأنوارِ      كثيرة الأسماء والأعمارِ

الى ان قال :

قنا لنسفى عرض الخمار      عن جوهر الأَنفس فى الصحارى  
بكلٍ طرفٍ سَلَبَ مطَّاراً      موجه الاقبال والأدبارِ  
الى ان قال :

فر بى غيمٍ من الغبار      يشكل فيه أحرف الآثارِ  
كأنما يطلبه بشار      ماذا يريد الظبى بالفرارِ  
يحذفه بِيرَمَعٍ صغار      حذف المولى باليد اليسارِ  
من ابن ريحٍ فى قيض نارٍ      وهو مع الاجهاد والاضرارِ  
فلو ترانا فى انتزاح الدار      فى روضة كالغادة المطارِ  
ناكل من صيد أبى العقار      ونشرب الصهباء بالكبارِ

ما كنت الا خالغ العذارِ

ويصف مجلس أنس وما يدور فيه ، فتجده ينسى أحياناً نفسه المظلمة ،  
ويكب على اللهو والمجون وكأنه من أكبر رجاله ، ويندكر المبارات التى تدعو  
الى الخوض فى غماره ، والى انتهاء هذه الاوقات حتى بعد فوات الشباب الذى  
يبكى عليه ، بما لا يكون ارق منه ولا أدعى للحسرة وهو يتنفس الصعداء ، ويسلى  
نفسه بهذا الكلام ، ووصف هذه المجالس ، ثم يرجع على نفسه بالميرة والعظة  
أو تعود اليه نفسه المتشائمة أثناء هذا المهرج والمرج فيفتيق من ثورة سروره  
ومجونه ، ويندكر انه وصاف وصانع من صناع الكلام ، وانه ليس من أهل

١ سلب طويل عظيم ومطار عدا سريع السير

هذه المجالس ، ولا من شراب الخمر ، ويرجع الى التقوى والندم على الذنوب .  
فيقول :

حبذا فتيات صدق عرسوا      بمذاوى من سلاطات الخمر  
عربد الصحو عليهم بالأسى      فاتقاء السكر عنهم بالسرور  
عمرؤا ربع الصبا من قبل أن      يتمشى فيه بالشيب دثور  
ان للأعمار أعجازا إذا      بلغت لم تمن منهن صدور  
كل نافي العمر في شيرته      للصبأ تلو في الوجنة نور  
يقتنون العيش من قايصة      ذات عمر كثرت فيها الدهور  
أطلع الساقى عشاء منهم      أنجم الكاسات في أيدي البدور  
عد بالأكواب عني ان لي      في يد الآنس عنهن تفور  
عمر الشيب الدجى من لمي      بنجوم طلّع ليست تفور  
لا نشور لشبابي بعدما      مات من عمرى الى يوم النشور  
وخضاب الشيب لا أقبله      إنه في شعرى شاهد زور  
أنا من وجدى بأيام الصبا      أذرف الدمع رواحا وبكور  
فكافى ذو غليل تلتظي      لوعة منه الى ماء الثغور  
أصف الراح ولا أشربها      وهى بالشدو على الشرب تدور  
كالذى يأمر بالكر ولا      يصطلى نار الوغى حيث تفور  
فسواء بين اخوان الصفا      وذوى اللهو مفبى والحضور  
أنا من كسب ذنوبى وجل      وان استغفرت فالله غفور  
وقد اشتهر بوصف القصور . كما قال :

كم شاخص فيه يطيل تعجبا      من دوحة نبئت من العقيان  
عجبا لها تسقى الرياض ينابعا      نبعت من الثمرات والاغصان

١ مكدا الى الاصل



خضت بطائرة على قن لها      حسنت قافرد حسنهما من ثان  
قُس الطيور الخاشعات بلاغة      وفصاحة من منطق وبيان  
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت      بخير ماء دائم الهملان  
وكان صانعها استبد بصنعة      نخر الجهاد بها على الحيوان  
أوفت على حوض لها فكانها      منها الى العجب العجائب روائى<sup>١</sup>  
فكانها ظنت حلاوة مأها      شهدا قذاقته بكل لسان  
الى ان قال :

كم مجلس يجرى السرور مسابقا      منه خيول اللهو فى ميدان  
يجلو دماه على الحدود ملاحه      فكانه المحراب من غمدان  
فسماؤه فى سمكها علوية      وقبابه فلكية البنيان  
وكقوله :

واذا نظرت الى غرائب سقفه      أبصرت روضاً فى السماء نضيرا  
وعجبت من خطاف عسجده التى      حامت لتبنى فى ذراه وكورا  
وضعت به صناعه أقلامها      فأرتك كل طريدة تصويرا  
وكأنما للشمس فيه ليقة      مشقوا بها التزويق والتشجيرا  
وكأنما للأزورد مخرم      بالخط فى ورق السماء سطورا  
وكأنما وشوا عليه ملأه      تركوا مكان وشاحها مقصورا  
يامالك الارض الذى أضحى له      ملك السماء على العداة نصيرا  
كم من قصور للملوك تقدمت      واستوجبت لقصورك التأخيرا  
فعمرتها وملكت كل رئاسة      منها ودمرت العدا تدميرا<sup>٢</sup>

١ كذا فى الاصل

٢ راجع القصيدة فى الديوان المطبوع فى رومه ص ٤٨٢

وقد يتغزل فيخاطب حبيبته بما في نفسه من ألم، وما يلاقيه في سبيلها من  
شهامة الاعداء، وما يتمناه من الصبر في سبيل ذلك. ثم يستحلفها بما لها من الدلال  
أن تكف عن أسر قلبه . وهو يستعطفها ويدل في آن واحد . فيقول .

عذبت رقة قلبي	ظلما بقسوة قلبك
وسيمت جسمي سقما	وما شفيت بطبك
أسخط كل عدو	رضيته لمحجك
من لي بصبر جميل	على رياضة صعبك
فيا تشوقاً بعدى	الى تنسم قربك
ووجنة غمستها	في الورد صنعة ربك
لقد جنحت لسلمى	كما جنحت لحربك
فبالدلال الذي زاد	في ملاحه عجبك
فكي من الأسر قلبا	عليه طابع حبك
ونعميتى بعنبي	فقد شقيت بعثبك

ويمدح على الأسلوب المعروف من حيث البدء بالنسيب. وقد يطيل في ذلك  
وربما لم يكن له ميزة في غير الاسلوب ، وربما كان مدحه كغزله، ولكنه مدح  
جميل على الرغم مما يشعر به القارئ من الثثرة . غير أن المعاني تنهال عليه انهيارا  
فيعذب الكلام . كما قال .

غيرته غيرَ الدهر فشاب	ورمته كل خود باجتنا
فعدا عند الغواني ساقطا	كسقوط الصفر من عد الحساب
وتولى عنه شيطان الصبا	اذ رماه الشيب رجما بشهاب
وكأن الشعر منه سعف	يلتظي فيه شواظ ذو التهاب

أبها المفرى بتأنيب شج	سلط الوجد عليه نهل أناب
هام لاهمت من الغيد بمن	حبها عذب وان كان عذاب
لمت لا لمت عميدا قلبه	عن سماع اللوم فيها ذو انقلاب
والهوى باق مع المرء اذا	كان من عصر الصبا عنه ذهاب
بأبي من أقبلت في صورة	ليس للتائب عنها من متاب
كل حسن كامل في خلقها	ليتها تنجو من العين بعاب
فالقوام الغصن والردف النقا	والأقاح الثغر والطل الرضاب
ظبية في العقد إما التفتت	ومهاة حين ترنو في النقاب

ويذكر الخمر وكان الناس جميعاً سكارى ، وفي كل رأس نشوة وحيرة .  
وكان الخمر حلال لا حرام ، أو كأنها أكل شيء في الوجود ، لأنه يصفها بأكل  
الصفات وأجمع سمات الكمال والذات . ويحيل الى الانسان انه لم يبق كلمة  
تمت الى الخمر بقراءة الا ذكرها ، أو معنى يدب في النفس بديها الا قاله ،  
والقارئ يشمل بذكر الخمر كما يشمل بأسلوب الشاعر وعذوبته ، وكان أحدا لم يقل  
مثله في ذلك كما قال :

وجسم له من غيره روح لذة	سليل ضروع أَرْضعت حَلَبَ السحب
اذا قبض الابريق منه سلافة	تقسمها الشراب حويله بالقَمْب
شربنا وللأصباح في الليل غرة	تريد اندماجا بين شرق الى غرب
على روضة تحيا بحية جدول	يفيء عليه ظل أجنحة القضب

أو كما قال الشاعر

أشهاب في دجى الليل ثقب	أم سراج ناره ماء العنب
أم عروس فوق كرسي بدا	يجتليها اللهو في عقد الحب
ياشقيق النفس أنفاس الصبا	بردت والمصبح لاشك اقترب
قم امتصك بميش لم تقع	في صفاء منه اقذاء النوب



بلزهر يجلو اللهو فيه عرائساً  
 كأن لها في الخمر حمراً غلائل  
 وكم من كُتبت الآون تحسب كأسها  
 اذا مُزجت لانت لنا وتحولت  
 جرى في عروق النار ماء كأنما  
 وان نال منها ذو السكابة شربة  
 كراسيها أيدي الكرام من الشرب  
 مزردة الأطواق باللؤلؤ الرطب  
 لها شفة لمساء ذات لمي عذب  
 بأخلاقها عن قسوة الجامع الصعب  
 رضى السلم منها يتقى غضب الحرب  
 تسربت الأرواح منه الى القلب

فلقد حان لضوء الفجر أن  
 فأدركها تحت ليل سقفه  
 أو على برق سماء ضاحك  
 سكر الروض وغنى طيره  
 هات درا فيه ياقوت وخذ  
 قهوة لو سقيتها صخرة  
 يجذب الروح اليه روحها  
 ولدت بالشيب في عنقودها  
 كلما موجهها المزج أرت  
 مادري خمارها عاصرها  
 خندريس عتقت في أجوف  
 ومليح الدل ان عل بها  
 شمع القهوة في صوب الحيا  
 فتلاقي في فمي من كأسه  
 يضرب السرحان فيه بذنب  
 ظلمة فيها من النور ثقب  
 غيبه بالدمع منه منسكب  
 أفلا ترقص قامات القضب  
 جسم ماء حاهلا روح لهب  
 أورقت باللهو منها والطرب  
 ألطف الشيتين عند ما يجذب  
 وهي اليوم عجوز لم تشب  
 حجب الفضة في ماء الذهب  
 فحديث الصدق فيها كالكدب  
 من دم العنقود مملوء نجب  
 قلت نجم في فم البدر غروب  
 وسقاني فضلة مما شرب  
 ماء كرم وغمام وشند



## ابن برد الأصغر<sup>(١)</sup>

بنو بُرد أسرة معروفة بالأدب كبنى شهيد وبنى حزم. وكانت هذه الأسر جماعات وأحزاباً أدبية تستخدم عمالاً للملوك والأمراء، يكتبون لهم ويساعدونهم في أغراضهم . والأمراء أنفسهم أدباء وشعراء، فكانت تربطهم بهؤلاء صلة الأدب، للاستعانة بهم في مسائل السياسة والكتابة فيما يكون من أمر الدولة والاستفادة بآرائهم، ولاحتياجهم اليهم في أوقات الطرب ومجامع اللهو والمسامرة والشرب والحديث والأسفار . ولذلك كان الوزراء جميعاً كتاباً وأدباء وشعراء ورجال جد وهو . وكانت هذه المجموع تحتوي على كثير من الناس المختلفي المذاهب والعقائد في كثير من المسائل ، كما كانت مسرحاً للدسائس والملق ، ومثاراً لغضب الملوك والأمراء ، وباعثاً من بواعث الرضى ، وجد الناس بالخطوة عند الرؤساء .

بهذا وغيره رقى الأدباء الى مراكز الوزارة ، وقبضوا على أزمة الامور ، كما سبق وتكلمنا عن بعضهم . وقد انتشرت هذه المجالس الأدبية وكثر الأدباء فيها ، وانتمى الى الأدب والكتابة كثير ممن كانوا يرون أنفسهم أهلاً

---

١ هو حفيد أبى حفص الأكبر كاتب يحيى بن على بن حمود الذى خرج على عمه القاسم بن حمود وأسره ستة أعوام ثم قبض عليه ستة عشر سنة ثم قتله خنقاً سنة ٤٣١ هجرية . وكان بين يحيى هذا وعمه حروب ومنافسات طالت زمناً وانتصر كل منهما على صاحبه مرات وخذل مرات ( راجع العجب في تلخيص أخبار المغرب ) ولم يكن هناك وقت أكثر اضطراباً من هذا الوقت الذى خرجت منه السلطة من بنى أمية ثم رجعت اليهم ثم خرجت منهم نهائياً الى ملوك الطوائف وكان أبو حفص الأكبر من أشهر الادباء



لان يجولوا في هذه الميادين . وعرف بنفسه من لم يكن معروفا ، واستعان على ذلك بالحاجة الى أمثاله . وكان ذلك وقت أن كانت الفتن يدب ديبها في جسم الدولة هناك ، والفرقة بين الناس تعمل فيهم ، والأمة آخذة في التدهور ، وسلطان بني عامر قد قام على دعامة من الدسائس والخداع ، والمنصور يحاول هدم ملك بني أمية ، وكانت بقية العلوم والآداب من عصر عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم لا تزال وافرة . فاندس في هذه الفتن نفر من الأدباء أرادوا أن يعيشوا من ألسنتهم . فقصدوا الأمراء والملوك ، فرحب هؤلاء بهم وافسحوا لهم صدورهم . فكان من جرّاء ذلك انتعاش حركة الأدب في عصر كانت الدولة مائلة فيه الى السقوط ، والدسائس تتطلب مثل هؤلاء الكتاب والشعراء . فطال عمرهم بطول الحاجة اليهم . وهذا سر بقاء الأدب في الأندلس حافظاً شكله ومكانته الى أواخر الدولة هناك . ومن الذين عاشوا في هذه البيئة وتربوا فيها وكانوا يرتعون في ساحاتها بنو برد . وأشهرهم أبو حفص الأكبّر وحفيده أحمد أبو حفص الأصغر

كان أبو حفص بن بُرْد الأصغر من كبار الكتاب والأدباء ومن النبهاء الأذكياء ، ومن الشعراء أصحاب الديباجة الحسنة وأهل الظرف في الشعر . أخذ عن جده أبي حفص الأكبّر وسلك مسلكه . وكان يفخر به وبالاتهام اليه ١

( توفي سنة ٤٢٨ بسر قسطة ) ومن كتاب ديوان الانشاء في دولة العاصريين وكتب للمظفر بن أبي عامر . وكان من أقطاب البيان وله عدة رسائل شهيرة تدل على طول بآعه في السياسة . ( ومن رسائله الشهيرة ما كتبه لعبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر وكان قد استبد بالامر وحجر على الخليفة هشام الاموي وأراد أن يستأثر بما بقي من رسوم الخلافة . فطلب من هشام المؤيد أن يوليّه عهداً فأجابته وأحضر لذلك الملاّ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوماً مشهوداً فكتب عهد من انشاء أبي حفص بن برد  
١ حيث يقول

من شاء خبري فأنا ابن برد حد حسامي قطعة من حدى  
وأرفع الناس بناء جدى من نظم الالفاظ نظم المقد  
ونقد الكلام حق النقد وكف بالاقلام ايدي الاسد

وهو من المقدمين بين الادباء والشعراء ذكره ابن بسام بقوله  
« كان أبو حفص بن برد الأصغر في وقته فلك البلاغة الدائر . ومثلها  
السائر . ينفث فيها بسحره . ويوردها بناصع نظمه وبارع نثره  
وكان يفخر بامتلاك أعنة البلاغة <sup>١</sup> . فقد كان الأدب ولا سيما الشعر  
والنثر أشبه بما يسمونه الآن فنون الجمال ، التي تقاس بها أذواق الأمم الفنية  
ودقة الادراك لديهم ، وفهمهم أسرار الوجود الخفية  
وأسلوبه النثرى هو في جملته أسلوب خطابي ، يسلك فيه مسلك توارد الجمل  
والمترادفات ليملك الأسماع ، ويؤثر في نفس القارئ . وإن كان كثير من هذه  
الجمل مكررا خاليا من معنى جديد . وهذا طريق طويل . ولكنه أحد طرق البلاغة  
الذي يسموه بالأطناب ، ويريدون أنه في نهايته يصيب الغرض المقصود من  
التعبير ، ويوصل الى ما يؤدي اليه الايجاز : من معرفة مواقع الكلام الدال  
على المعنى تَوًّا . وقد يكون هذا الأسلوب آثق في لفظه ، لكثرة اختيار الكاتب  
الجمل الفصيحة وأثبت في أذهن ، لكثرة تردد المعنى الواحد في ذهن السامع  
بعبارات مختلفة .

---

١ كتب يقول في كتاب سماء ( سر الادب وسبائك الذهب ) ... وأصبنا بعد نرى أغراض  
الكلام بأسهم أزرها شديد . ونمقد مناظم القول بألسن برىء منها التعقيد . ونسيل من  
المنثور جداول النطاف . ونجيد من المنظوم جواهر الاصداف ، وكان جدى احمد بن برد رحمه  
الله لطول ممارسته هذه الصناعة برحاء الله ، ونهمة الطلب . ودعة الزمان واقبال السلطان ...  
كأنه وقد أقبسنى من مصاييح وصاياه فيها .. وصرف لى ضوأ من هداياته مأفأ الله به نفعا  
وأوسع معها ارشادا . ثم ان الايام اثر مصابه . وبعد ذهابه . باكرتنى بصروفها . وشغلتنى ..  
برقع خروقتها . ومكابدة ضيقها ؛ وسوق الأدب قد كسدت ، والى أمضى من البيان ، والاساءة  
أحد من الاحسان . وأفلامنا يومئذ في عطلا . ومحابرنا في عقلة . وكنتنا في رقدة .. الخ ...  
راجع الجزء الاول من الذخيرة

وأدل على قدرة الكاتب وسعة خياله ، لكثرة ما يجد من هذه الألفاظ ذات المعنى الواحد ، وعلى الافتنان في معرفة الفرار من ملل التكرار ، وعلى إبراز هذه الجمل المتحددة المعنى كأنها مختلفة الدلالة ، مما لا يقدر عليه الموجز بإيجازه المملوء بالعبارات الدقيقة والمعنى الكبير في الألفاظ القصيرة لعدم ضلال الفكر في كثرة الجمل وإدراك معانيها .

أما أبو حفص فإنه من أصحاب الأطناب ، الذين يميلون إلى قرع الأسماع بنغمات البلاغة في كثرة الجمل وتعاقبها على المعنى الواحد . وهذا كثير في نثره ، وربما كان ميالا إلى زينة اللفظ أكثر من ذكر المعاني . ولكنه في جملة حسن الديباجة ، وأسلوبه من أحسن ما يكون في نوعه

والظاهر أنه كان يعشق هذا الأسلوب . فإن نثره يكاد يكون كله من هذا النوع مفصلا ، جملا جملا ، وكأنما كل جملة مستقلة عما قبلها وما بعدها ، كالحكم والأمثال .<sup>١</sup> وله كثير من النثر الصناعي المتكلف ، وكأنه ضرب من اللعب بالألفاظ والعبث بصناعة الكلام.<sup>٢</sup>

وليس أدل على التكلف من مثل هذا الكلام ، ولا أغرب من هذه الأساليب التي يحسبونها من سعة الخيال وغنى اللمة . على أن ذلك لا يخلو أحيانا من أثر في النفس ونعمة للذينة في السمع . تمرر النفس العليل . كقوله في الاستزارة .

---

١ من ذلك قوله في وصف القلم والمداد والكتاب . ويقولون أنه أول من ابتكر الكتابة في هذا الموضوع . المداد كالبحر . والقلم كالقواس . والألفاظ كالجرهر . والقرطاس كالسلك والدواة كالقلب . والقلم خادم له . ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة . ويلفظ نوراً

٢ كقوله : أظلم لي جو صفائك . وتوعرت على أرض خائتك ... فليت شعري ما الذي أنسى مهجة الود . وأذبل زهرة ذلك المهد ... وإن رغم أنف القلم ، وانزوت أحشاء القرطاس ... الخ



« اليوم يوم بكت أمطاره .. وضحكت أزهاره . وتقنعت شمسه . وتعطر نسيمه . وعندنا بلبل أزج وساق غنَّج . وسلافتنا سلافة أخذان . وسلافة دنان قد تشاركنا في الطباع . وازد وجنا في اثاره السرور . فاحرق الينا مرادق الدجى . تجدد مرأى لا يحسن الا لك . ولا يتم الا بك . الزيارة بالليل أخفى . وبالزائر والمزور أخفى . وقد سدل حجابيه . ووقع قرابه . وتبرقعت نجومه بفيومه . وتلفعت كواكبه بسحابه . فاهتك الينا سراً . وخض الينا بجرأ ... »

ومن هذه الاساليب الفنية فصول كتبها في تفضيل الورد على غيره من الازهار وقالوا انه مخترع هذا النوع، وأول من كتب في هذا الموضوع

١ وقد عارضه في هذه الرسالة الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد المعروف بحبيب . وكان أبو الوليد حبيب هذا من المتأخرين بالكتابة في زمنه ، أديباً مشهوراً له بالفضل . تليذا لابن الأثر أحد شعراء المعتضد بن عباد ، وقالوا انه كان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق، وينثر النثر الرائق . واستوزره جد المعتضد بن عباد وكان يصنف الى مقاله ويرضى بفعاله ، وهو ما جاوز العشرين (نقح الطيب طبع أوروبا جزء ٢ صفحة ٢٩٠) وكان شاعراً أكثر شعراً في الازهار ولم يذكر ابن بسام من رسالته التي عارض بها ابن برد الا صغر الا طرفاً صغيراً . قال فيه « وأما رسالة أبي الوليد فخاطب بها المعتضد يومئذ قال فيها : فأول من رأى نور ذلك الكتاب وعان الخطاب . نوا وير فصل الربيع . هي خيرة الورد في الوطن . وسعابته في الزمن . ولما أن قرأته أنكرت ما فيه . وبنيت على هدم مبانيه ، ونقد معانيه . وعرفت الورد بما عليه فيما نسب اليه . من استحقاقه مالا يستحقه . واستهاله مالا يستأهله ، وعلكت ان مخاطبته من أخطأ تلك الخطيئة وأدنى من نفسه تلك الدنيئة ، تدبير دبرى . ورأى غير مرضى ، فكتبت الى الاخوان والحيرى الا صفر كتابا . قالت فيه لو استحق الورد امامة : واستوجب خلافة . لبادرتها آباؤنا ولعقدها أوائلنا التي لم تزل تجاوره في مكانه . وتجيء في أوانه ، ولا ندرى لاي شيء أوجبت تقديمه . ورأت تأهيله . بما غيره أشكل له وأحق به ، وهو نور البهار والبادى فضله بدؤ النهار . والذي لم يزل عند علماء الشعراء وحكماء البلغاء ، مشبها بالعيون التي لا يحول بنظرها . ولا يحور حورها . وأفضل تشبيه الورد بحمرة الخد عند من تشيع فيه . وأشرف الحواس العين اذ هي على كل متول عون وليس الخد حاسة فكيف تبلغه رئاسة

أين الحدود من العيون نفاسة ورئاسة لولا القياس الفاسد وأصح تشبيه الورد وأقربه من الحق ، قول ابن الرومي في الشعر الطائى ، ولقد وافق ووفق وشبه الحق « وطول أبو الوليد في رسالته هذه وختمها بمبايعة الازهار البهار ورجع عن تقديم الورد في خبر طويل

أما رسالته في ذلك فهي رسالة نادرة في موضوعها وأسلوبها، تدل على سعة خيال كاتبها، وحسن ذوقه في اختيار الألفاظ ومعرفة مواقع الكلام، وأنه كان من الكتاب الذين يميلون إلى الأساليب القصصية. وربما لم يكن لهذه الأساليب نظير في بلاغة المشرق، لأن أهل الأندلس هم الذين اخترعوا الكلام في الأزهار على هذا النحو.

تصور ابن بُرْد أن الأزهار والرياحين قد اجتمعت في مجلس واحد، وقام أحدها يتكلم ويخطب بين أبناء جنسه. وقد دل الكلام على عقل الكاتب وأنه من أصحاب المعتقدات، وأنه في كلامه هذا يمثل ميول العقول في عصره. وذلك أنه افتتح كلامه بما يشبه الحمد أو ما يشبه التفكير في الوجود والمخلوقات فقال: «ان صنوقا من الرياحين، وأجناساً من البساتين، جمعها في بعض الأزمنة خاطر خطر بنفوسها، وهاجس هجس في ضمايرها لم يكن له بد من التفاوض فيه، والتحاور والتحاكم من أجله والتناصف. وأجمعت على أن ما ثبت في ذلك من العهد، ونفذ من التحالف ماض على ما غاب شحه ولم يأن منها وقته فقام منها قائمها فقال: يا معشر الشجر، وعامة الزهر، إن الله تعالى لطيف خبير، خلق المخلوقات البريات، بآين بين أشكالها وصفاتها، وباعد بين منحها وأعطيائها، فجعل عبداً وملكاً، وخلق قبيحاً وحسنًا، فضل بعضاً على بعض، حتى اعتدل بعدله السكل، وانصل على لطف قدرته الجميع، وإن لكل واحد منها جمالا في صورته، ورقة في محاسنه، واعتدالا في قده، وعبقا في نسيه ومائية في ديباجته»

ثم تطرق من ذلك إلى الكلام في الزهور وما لها، وما اختصت به من الجمال والمنزلة في الاجتماع ونفوس الناس فقال:

«وقد عطفت علينا الأعين، وثنت إلينا الأنفس، وزهت بحاضرنا

المجالس ، حتى سفرنا بين الأحبة ، فوصلنا أسباب القلوب ، وتجملنا لطائف  
الرسائل ، وصيغ فينا القريض ، وركبت على محاسننا الأعاريض »

ثم عمل على نقد الصفات والأخلاق الغير المحمودة بقوله  
« فظفح بنا العجب ، وأزدهى بنا السكبر ، وحملنا تفضيل من فضلنا ،  
رائثار من آثرنا ، على ان نسيم الفسك في أمرنا والتمهيد بمواقبنا ، والتطبيب  
لأخبارنا »

وقد اقتبس ذلك من أخلاق الانسان . وهى طريقة جميع أصحاب الأمثال  
والأساطير ، الذين يتكلمون على السنة الحيوان أو النبات . ولكن الظاهر ان  
الكاتب لم يكن يقصد بذلك الا الوصف أو سمة الخيال ، لا العبرة والعظة . غير  
ان هذا باب من أبواب الأساليب الاجتماعية ، أو القرية من ذلك وخروج من  
الدائرة المعروفة ، دائرة الرسائل والمكاتبات ، ودليل على رقى الفكر ، وترك  
القديم ، وباب جديد من أبواب المنشور ، الذى يدخل منه الكتاب الى القصص  
والحكايات

ثم أخذ بعد ذلك فى تفضيل الورد وبيان مزاياه . فقال :  
« وادعينا الفضل بأسره ، والكمال بأجمعه ، ولم نعلم ان فينا من له المزية علينا ،  
ومن هو أولى بالرياسة منا : وهو الورد ، الذى ان بذلنا الانصاف من أنفسنا ، ولم  
نسبح فى بحر عمانا ، ولم نعل مع هوانا ، دنا له ، ودعونا اليه ، فمن لقيه منا حياه  
بالمك ، ومن لم يدركه زمن سلطانه ، ودولة أوانه ، اعتقد ما عقد عليه ، وولى ما دعا  
اليه ، فهو الاكرم حسبا ، والأشرف زمنا ، ان فقد عينه ، لم يفقد أثره ، أو غاب  
شخصه لم يغب عرفه ، وهو أحمر ، والحررة لون الدم ، والدم صديق الروح ، وهو  
الياقوت المنضد ، فى أطباق الزبرجد ، وعليها فوائد المسجد ، والأشعار من  
محاسنه حسنت ، وباعتدال جماله وزنت »



وقد دل على أوصاف الكمال التي في الورد ، وأخذ ينمقها بدقة أسلوبه ومهارته. ثم استرسل في الكلام على هذا النمط ، وذكر أنواعاً أخرى من الزهر وانطقها بالكلام . فقال :

« وكان ممن حضر هذا المجلس ، من رؤساء الأنوار والأزهار ، النرجس الأصفر ، والبهار والبنفسج ، والخيزري النمام . فقال النرجس الأصفر والذي مهد لي حجر الثرى ، وأرضعني ثدي الحيا ، لقد جئت بها أوضح من لبة الصباح ، وأسطع من لسان المصباح ، ولقد كنت أسير من التعب له ، والشغف به . وإلأسف على تماقب الموت دون لقائه ، ما أنحل جسمي ، ويمكن سقي ، واذ قد أمكن الهوى بالشكوى ، فقد خف ثقل البلوى . ثم قام البنفسج فقال على الخبير سقطت ، أنا والله المتعب له ، والداعي إليه ، المشغوف به ، وكفى ما بوجهي من ندوب ، ولكن الناسى بك آنس . ثم قام البهار فقال : لا تنظروا إلى غضارة منبتى ، ونضارة رونقي ، وانظروا إلى وقد صرت حدقة باهتة تشير إليه ، وعينا شاخصة تندي بكاء عليه

ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسي

ثم قام الخيزري فقال: والذي أعطاه الفضل دوني ، ومد له بالبيعة يميني ، ما اجترأت قط اجلالا له واستحياء منه ، على أن أتنفس نهارا ، أو أساعد في لذة صديقا أو جارا ، فلذلك جعلت الليل سترا ، واتخذت حوائجه كنّا » وجعلها تتناقش وتتنافس . ثم تم بعد ذلك اتفاقها في مجلس عام ، وكثبت بذلك صكا اعترافاتها بفضل الورد، واطاعته. وجعلته رئيساً لها، نطيع أمره ونخضع له، فقال: « فلما استوت آراؤها، قالت ان لنا أصحابا، وأشكالا وأترابا، لا نلتقي بهافي زمن، ولا نجاورها في وطن فہلم فلنكتب بذلك عقدا، ينفذ على الاقصى والادنى فكتب رُقعة، ونسختها: هذا ما تحالفت عليه أصناف الشجر ، وضروب الزهر،

وسميتها وشتويها ربيعها وقظيها، ما نجمت من تلمة أو ربوة، وتفتحت من قرارة  
أو حديقة، عند ما راجعت من بصائرهما، وألمت من مرآستها، واعترفت بما  
سلف من هفواتها، وأعطت للورد قيادها، وملكته أمرها، وعرفت أنه أميرها المقدم  
لخصاله فيها، والمؤمر لسوابقه عليها، واعتقدت له السمع والطاعة، والتزمت له الرقة  
والعبودية، وبرئت من كل زهر نازعه المباهاة له، والانتداء عليه في كل وطن، ومع  
كل زمن. فانه زهرة قضى عليها لسان الأيام هذا الحلف، فلتعرف ان ارشادها  
فيه، وقوام أمرها به.»

ذلك من الأساليب الجديدة في اللغة العربية، وليس أدل على سعة الخيال  
ومتانة البلاغة ورقى الآداب من هذه الأساليب القصصية. لان كل أدب أو  
بلاغة لا تحتوى على القصص وتمثل وتبين نفوس الكتاب وغيرها من  
الأسرار الانسانية، التي لا تظهر الا في مثل هذه الموضوعات، تكون آداباً ناقصة  
أو بلاغة مقصورة على كتابها وشعرائها. ولا تكون هذه الأساليب الا في أمة تربت  
أخيلتها وعقولها تربية عامية فنية. ولقد ظهرت بوادر ذلك في بلاد الأندلس  
عند بعض الكتاب، وخصوصاً في القرن الخامس حيث انفتحت أمام العقول  
أبواب من الخيال، بسبب ما وجد هناك من الترف والبذخ وأبهة الملك. ولقد  
كان هذا الباب الذي ولج الكتاب في الأندلس يصل بهم الى طريق جديد  
لم يسلكه كتاب العرب في المشرق، غير ان هذا الابتداء لم يستمر، ولم يجد له  
أنصاراً كثيرين، لعدم اعتيادهم هذا النوع من الكتابة، ولان الكتاب والادباء  
لم يتسن لهم بعد اقتباس هذه الأساليب القصصية. فكانوا يحتاجون الى زمن  
طويل لصقلها في عقولهم والتعود على فهمها. ولقد كان أيضاً من الأسباب التي لم  
تدفع الكتاب الى السير في هذا الطريق ان الدولة لم تدم طويلاً، والملوك الأدباء  
ابتدؤا يختفون وقت ظهور هذا الأسلوب.

ويلاحظ ان هذا الأسلوب القصصى بدأ يظهر بشكل خيالى أكثر منه بالحقائق التى تلمس النفوس . وكان لا بد أن يبتدىء بذلك لدى أمة ليس لها عهد بهذا . وقد كانوا يريدون الدخول فى الموضوعات الاجتماعية، فلم يجدوا أمامهم نماذج يقفون أثرها ، غير ما ابتكره أبو العلاء فى رسالة الغفران من جمع الأدباء والمناقشة مع بعضهم بعضاً فى مسائل اللغة والأدب . ولكن يظهر من كثير من المكاتبات والرسائل أن الأسلوب القصصى كان يتسرب اليها شيئاً فشيئاً، وان رسائل العتاب وغيرها تحتوي على كثير من الملاحظات الفكرية المتصلة بأحوال الناس والاجتماع. وهذا على ضعفه وقلته يعد من الأطوار التى تخطاها النثر فى اللغة العربية. وكل ذلك يدل على تحرك العقول وميلها الى حب الجديد. والأساليب التى كتب بها هؤلاء الكتاب. أساليب حسنة التركيب، جميلة العبارات، تدل على ابتكار الكاتب وشدة عارضته . وانه وجه من وجوه الأدباء فى ذلك العصر .

وقد كان ابن برد شاعراً أيضاً، وربما كان شعره أفضل من نثره ، لانه ميال الى الصناعة فى الكلام ، والصناعة أمراً على النفس فى الشعر منها فى النثر وكل شعره أو جله قطع صغيرة فى الغزل . وشعره خفيف الروح ، عذب التذوق كأنه نفحات موسيقية ، أو فكاهات أو مسامرات . وله معانى ظريفة أخذها وتصيدها ونظمها ، وألبسها لباساً من صناعته . كقوله .

أبدأ نأى بعتب دون أن آتى بجُرم  
بيننا فى الحب قربى سقمُ عينيك وجِسمى<sup>١</sup>  
ومن قوله

يا كثير الجفاء إلى ومُضِيعاً وسائلي  
طال حَيِّي ولم تفز منك نفسى بطائل

١ قال ابن بسام وهذا كقول ابن الرومى  
يا عيلاً جمل اليلة منتاحاً لسقى ليس فى الارض عليل غير جنيتك وجسمى



أنت لي هاجر وإن كنت في ثوب واصل  
 أنت أن ررت منهلاً كان أحلى مناهلي  
 وجرى خياله في هذه المعاني شوطاً بعيداً ، وأخذ يتصيد ما فيها ويشه في  
 كلامه وشعره : كطيب ريح فم الحبيب ، واحترق فؤاده بنار الحب ، وغرقه في  
 دموعه . وله أبيات رقيقة في وزنها وقافيتها من الشعر المرقص الخفيف على النفس ،  
 الذي تليق قراءته بخفة وزنه ونغماته الموسيقية أكثر مما فيه من المعاني التي هي  
 معروفة لكل عاشق . كقوله :

بمخداع عللوه	وبهجر وصلوه
لم يبألوا يوم صد	أى وجد حملوه
أخرجوه من محل	للتسلي أدخلوه
بلغت منه الاعادى	أى شئ أملوه
رُب ستر للتصاني	فوقه قد سلاوه
كلما سقوه كأساً	إثر كأس قبلوه
وهلال بشرى	بنجوم كمللوه
في بهيم من ظلام	نسناه أخجلوه
نشطوه ثم لما	لان عطفا ثبطوه
عزلوه عن وصال	حسداً ثم ولّوه
أما حبي فيكم	مثلا قد أرسلوه

وقال ابن بسام انه أخذ هذا الوزن والروى من قطعة لشاعر من شعراء  
 بغداد . وهكذا كان يسطو على المعاني وينظمها وعلى خيالات غيره وينسجها  
 على منواله . كقوله في معنى معروف .

والبدر كالمرآة غير صقلها      عبث العذارى فيه بالأُنْفاس  
والليل ملتبس بضوء صباحه      مثل التباس النقش بالقرطاس  
فكان في كل شعره يميل الى زينة اللفظ والتشبيهات البديعة ككثير من الشعراء  
مثل قوله :

سقائي وجفن الليل يغسل كحله      بماء الصباح والنسيم رقيق  
مذابا كذوب التبر أما بخارها      فضخم واما جسمها فرفيق  
وكل شعره من هذا النوع وهو من الخيال الصرف يقلد المعاني ويضعها في  
أوزان العروض ، غير ان هذا لا يحيط من قدره ولا يغط من حقه في ميله الى  
قول الشعر وذوقه الفني . وله قصائد ذكرها صاحب الذخيرة في الجزء الأول

## الأعمى التطيلي<sup>(١)</sup>

عاش أبو جعفر أحمد بن عبد الله الأعمى التطيلي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس وكان من أشهر الأدباء في عصره<sup>٢</sup>  
أما نثره فهو نثر مسجوع من طبقة النثر الممتاز بسهولة العبارة وجودتها ووضوحها ، وعدم التعمق في البحث عن الجمل والألفاظ مع حسن الاختيار والافتنان وأشعار القارئ بأن للكاتب روحاً تدب ديباً بين جملة ألفاظه ، وإن له قوة يظهر أثرها في تلاوة كلامه .

وأما معانيه فأقل ما فيها أنك تراه يحاول ألا يقتصر على اختيار اللفظ

---

١ تطيله بالضم ثم الكسر وباء ساكنة مدينة بالاندلس في شرق قرطبة (راجع معجم باقوت) وهو معروف بالأعمى التطيلي نفع الطيب ج ٢ ص ٢٣٥ وفي القلائد والذخيرة التطيلي

٢ لم نقف له على ترجمة وافية . وقد حملنا على ذكره شهرته وماله في عالم الادب . وقد مدحه الادباء كما دثهم في كتبهم عند الكلام على الكتاب والشعراء فقال عنه ابن بسام :  
له أدب بارع . ونظر في غامضه ولسع . وفهم لا يجارى . وذهن لا يبارى . ونظم كالسحر الحلال . ونثر كالماء الزلال

وقالوا عنه انه نظم أخبار الأمم المختلفة في لبة القريض . وعبارة الذخيرة تكاد تكون هي بعينها عبارة القلائد . ولست أدري أيهما أخذ عن الآخر لان الفتح بن خاقان وابن بسام عاشا في عصر واحد ( فقد مات ابن بسام في سنة ٥٤٢ ومات الفتح سنة ٥٣٢ أو ٥٢٩ ) والظاهر ان عبارة قلائد العقيان كانت أشهر لان الضبي صاحب كتاب « بغية الملتبس في رجال أهل الاندلس » أشار إليها بل ذكرها ولكنه نسبها الى المطمع فأخطأ في هذه النسبة . لانها ذكرت في قلائد العقيان . واختصر الضبي على عبارة الفتح بعد ان أوجزها وأورد له شيئا من شعره الاستدلال على فضله . ولقد نبهنا هذا الأسلوب الى صعوبة دراسة كثير من الكتاب والشعراء الذين لم يعن أصحاب التراجم والادباء بالكلام عنهم . ولم أجد عن الأعمى التطيلي هذا شيئا في ابن خلكان ولا في فوات الوفيات ولم يتكلم عنه المقرئ في نفع الطيب بما يدل على شيء من حياته . لذلك تقتصر على شيء من ذكر منظومه ومنثوره والكلام على ذلك



وبلاغة العبارة . بل يريد أن يكشف شيئاً من أحوال النفوس ، ويضم ذلك الى جمال القول وبهجة المعاني . لذلك تجده في رسائله ينتقل من معنى الى آخر ، ويتكلم عن نفسه وغيره ، ويذكر المعنى العام والخاص ، ويتواضع ويفخر ، ويتملق ويتكبر ، ويستصغر نفسه ويستكبرها . كل ذلك في رسائل يرسلها في العتب أو التقرب أو الشكوى . وقد كان هذا هو الميدان الوحيد الذي يجوب فيه الكتاب ويظهرون خفايا نفوسهم ، وينشرون على العالم مطويات أفكارهم . وكانت نوع الرسائل كل ما يعرفونه من أساليب الكتابة لبث شكواهم ، والتعبير عن آرائهم الشخصية . وكأنما هناك حجاز منيع بينهم وبين العالم الخارجي . فاذا تكلم أحدهم لا يتكلم الا عن نفسه ، واذا شكاً لا يشكو الا آلامه ، واذا مدح مدح لحصوله على خير ، واذا ذم ذم لوقوعه في شر ، واذا وصف وصف ما يحيط به لا غير . ويكفي دليلاً على ذلك ان أنواع النثر عندهم انحصرت أو كادت تنحصر في كتابة الرسائل الأخوية ، وان هذه كانت الصبغة الغالبة على النثر ، التي امتلأت بها بطون الكتب الأدبية . ولا يكاد يعثر الانسان على رسالة من نوع آخر . غير ان هذه الرسائل القصيرة وان خلت من معان اجتماعية عامة ، فانها مملوءة بنماذج الأساليب العربية البديعة ، والعبارات البليغة ، والأمثال الحكيمة ، والتراكيب المتينة ، والأفكار الناضجة ، وصور نفوس الكتاب ، ودقة ادراكهم وجل معلوماتهم . وهذه رسالة صغيرة في العتاب للتطيلي : «شاكرك أو شاكيك ، بل لائمتك ولائمت الأيام فيك ، يا سيدي كناية عن ذكره ، لا توخياً لبره ، وأخى رغبة في انصافه ، لا طمعاً في استعطافه ، الذي عاطيته كأس الوداد فأمرها ، ورفعت اليه بنت الوداد فأضر بها وأضرها ، ومن أطال الله بقاءه ممتعا بظل السلطان ، واقبال الزمان . فإن الرجل بسلطانه ، لا باخوانه ، وباقبال زمانه لا باحسانه . اني أعزك الله وان كان الدهر وضعني ورفعك ، وضاق

عنى ووسعت ، فبين جنبيّ نفس عصام ، وبين فكيّ صارمُ بسطام .....  
«الشجو شجوى والعويل عويل» لا أستعير عينا للبكاء ، ولا أبتغى بكبدي كبدا  
سليمة من الارزاء . وانك أعزك الله لما تكلمت بلسان سهل بن هارون، وجلست  
بمجلس الفضل من المأمون ، وخدمك الدهر ، واثالت في يديك الأنجم الزهر ،  
قلت احم وعلى ، وان لم يكن فشبع ويرى . وعلى رسلك ، ما كنت أنا لفظ في مثلك ،  
انى أبيت طيّان ، ولا أبيت .. ، واحتمل الحرمان . ولا أحتمل الهوان ،  
وليت هذا الأمر وقلبك بي معمر ، وأنت بزعمك لى فقير ، وأنا أظن انى  
سأولى وأعزّل ، وأحدث في كنفك وأعدل ، فما هو الاّ أن ثبتت قدمك ، وخفق  
علمك ، وابتل قرطاسك وقلبك ، اختصرت شطر الاسلام ، ودفعت فى صدر  
القيام ، عزلت فلانا قبل الولاية ، واقتصرت بأبى الأصبع دون الغاية . هينة أنا  
كنت معناها ، وكاس لى شعثت حمياها . وولايتك خطر وفى عملك نظر ،  
انما هو ظل غمامة ، وبيض حمامة . ثم تعود الى استحلات البيت ، وأكل الخبز  
بالزيت .

وقال فى رسالة أخرى :

«ولم أزل منذ تخيل جناني ، وتقوّل لسانى ، وأدبر ملكي او شيطاني ،  
أتمس من أهل هذا الشأن ، ما أسعى باسمه ، وأحفل وأقيس على حكمه ، وأقل  
وأحل ... وأعقد ، والناس كثير ، والناقد بصير ، والأمر أعجاز  
وصدور . فكيف ترانى اتخذتك خليلا ، وأخذتك على الأيام عهداً مستولا ،  
وبايعتك على الطاعة والسمع ، وشايعتك سرى الاستباطة والوسع ، فعولت  
عليك كعبة أولى وجهى شطرها ، وأسندت اليك هضبة أرعى سوامى وعرها ،  
لا كون قد قدرت هذه الطاعة قدرها ، وأبلغت نفسى فى طلبها والتعلق بسببها . الخ»

١ هكذا فى الاصل

اما نظمه فى بعض قصائده كلام من الشعر الممتع ، مع طول لا يمل ،  
وأراء تدل على فكر جوال وعقل ناضج . وكأنه حكيم يتكلم أو ينظم  
الحكم . وهو مع ذلك شاعر بليغ متقن ، عالم بأساليب النظم البليغ والاسلوب  
الخطابى ، الذى يجذب الاسماع والقلوب ، ويملاها حكمة وعظة ، واعجابا  
وجمالا . قال من قصيدة فى المدح

عتاب على الدنيا وقلّ عتابُ	رضينا بما ترضى ونحن غضابُ
وقالت وأصغينا الى زورِ قولها	وقد يستفدّ القول وهو كذابُ
وعمت على أبصارنا وقلوبنا	فطال عليها الحومُ وهى سرابُ
ودانت لها أهواؤنا وعقولنا .	وهل عندها إلاّ العناء ثوابُ
نلذّ ونلهو والأعزة حولنا	رفاة وبسنى والديار خرابُ
ويخدعنا عما يرادُ بنا منى	لبحر المنايا دونهن عبابُ
ونفتنم الأيام وهى مصائب	لهن عليها جيئة وذهابُ
بكنت هندا من ضحك المشيب بفرق	أما علمت أن الشباب خضابُ
وقالت غراب ما أرى وتجاهلت	وليس على وجه النهار نقابُ
هل الشيب الا الرشد حل غوايقى	فأصبحت لا يخفى على صوابُ
أأعفو لصرف الدهر عن هفواته	على حين لا يأتى على عقابُ
وأتركه يمضى على غلوائه	وقد عزّ اعتاب وطال عتابُ
أيفضب حسادى قيامى الى العلا	وقد قعدوا عما ظفرت وخابوا
هم حسدونى لالوفر وفرفته	ولكن شهدت المكر مات وخابوا

وما أجمل مدحه فى هذه القصيدة ، فقد يرى الانسان فيها الممدوح وعظمته  
وسمو قدره ، وقد يصرفه جمال القول وسبك العبارات وبلاغة الكلام عملا  
فى الشعر من المبالغة . بل قد يتجه فكره الى تذوق المعانى . وليس أبلى ولا



أشرف من انسان يتصف بهذه الصفات . ولا أشعر من شاعر يحمل القراء على  
صدق قوله ببلاغة كلامه وحسن أسلوبه . اذ يقول :

سجايا على مر الليالى كأنما      هى المزن فيها رحمة وعذاب  
موارد فيها سم كل معاند      ولكنها للمستفيد عذاب  
مخوفتى ريب الزمان وقد حدثت      برجلي الى ابن الحضرمي ركاب  
اذا الله سنى لى لقاء محمد      تفتح دونى للسماحة باب  
فتى لم تسافر عنه آمال آمل      وكان لها الا اليه اياب  
له همم فى الجود والبأس لم تزل      لها فوق أتياح النجوم قباب  
وأقسم لولا ماله من مآثر      لأصبح ربيع المجد وهو يباب

ولقد تدب فى نفسه صناعة الشعر ، وتلعب برأسه ، كما تلعب الكأس ،  
فيشمل ويقول فيشمل السامع معه ، وكأنه يترنح من صدق قوله ، والسامع يترنح  
معه من عذوبة هذا المقال :

وهل أنا الا عبد أنعمك التى      هى الشَّهْد اذ كلُّ الموارد صابُ  
وهل شهد المجد الذى أنت سره      فانك بحرٌ والكروام عياب  
وهل أنا يارضوان باسمك هاتف      وهل لى الى دار المقامة باب  
اذا قايسوك المجد كنت غضنفرًا      اذا زار لم يثبت عليه ذئاب  
وما أحر الا من صيالك معرك      ولا أخضر الا من نذاك ثياب

وما أقدره على طول الكلام ، وأصبره على الجرى وراء المعانى حتى يدركها .  
ولقد مدح الوزير أبا الحزم ، فعرف كيف يمدح الوزراء . وبدأ قصيدته بشيء من  
الغزل ، ولكنه غزل غير مبتذل ، وأسلوب عشقى غير ظاهر فيه السطو على  
المعانى ، وكأنما هو من مبتكراته ، على أنها معانى غيره ، وأسلوب سواه . كما قال

غداة وقفنا نقسم الشوق بيننا      على ما اشترطنا وانقضت سنة القسم  
وقد اطلعت تلك الهوارج أنجما      تركن جفوني في الكرى أسوة النجم  
فأبت بدمعى لؤلؤا فوق نحرها      وآبت بما في مقلتيها من السقم  
خليلٍ هل بمد المشيب تملّة      لذي الجهل أو في الحب شغل لذي العلم  
وهل راجع عيش لمنه آتفاً      كيوم لزيد في بيوت بني حزم  
وهل لي حظ من موأاة صاحب      له قدرة القاضي وموعدة الخصم  
بدت رقة الشكوى على عطفاته      وربتك في أعطافه قسوة الظلم

ثم أخذ في المدح بما يحمل القارئ على الاهتمام بالكلام وكأنه قيل فيه أو  
أو كأنه كلام لم يسمعه . وليس ذلك لحسن الأسلوب وجماله لا غير ، بل لأن  
الشاعر يعني بذلك ، حتى يحمل القارئ على الاهتمام بما يقول . كما قال :

أبا جعفر هذى المكارم والعلا      دعاء بحق أو دعاء على غنم  
أرى الناس قد باعوا المروءة فاشترّ      وقد ضيعوا ما كان من حسب نغم  
وأنت أحق الناس بالحزم فأنته      وحق العلا بالمال أشبه بالحزم  
وأنت بعيد الهم مقترب الجدى      كريم السجايا ماجد الخلال والعم  
وأحنى بالباب الرجال من الهوى      وأخفى وراء الحادثات من الدهر  
وأحى لحوزات المعالي من الردى      وأسخر بآمال النفوس من الحلم

وكل قصائده في المدح متينة جميلة ( راجع الكلام عنه في الجزء الثاني من  
الذخيرة ) وربما كان في رثائه أجل منه في مدحه . كقوله في قصيدة تشبه  
قصيدة مالك بن الربيع وكأنه ملهم بأبياتها

على مثلها فلتبك ان كنت باكيا      فقد عهد الاحباب الا تلاقيا  
أفي كل يوم أودع الأرض صاحباً      أريق به في الترب ماء شبابيا  
وأحسب أني لو رجوت مكانه      يعز عليه أن يكون مكانيا

ولو أننى أحببته الحب كله      لأتبعته نفسى وأهلى وماليا  
 خليلى من يطمع بشئ فأننى      نفضت به لا بل نفضت فؤاديا  
 وليس حياتى غير شجو مرادى      عهدت له الا ألد حياتيا  
 . وهذه القصيدة هى تقليد للشعر القديم المعروف ولكنها جميلة فى بابها تدل  
 على ذوقه وحسن سبكه فى التقليد

وله فى الغزل شعر يمتاز بطريقته وأسلوبه أكثر منه ببلاغته وجماله . فقد ساق  
 قصيدة يتغزل فيها بفتاة تسمى لذينة جعلها حديثاً بينه وبين امرأة تحببه وتسليه  
 وهذا الأسلوب ليس من الأساليب الشائعة عند العرب . وهو أشبه بالمناظرة  
 بين عاشقين . وكأنما أراد أن يكشف فى حديثه عن نفس العاشق بما أودعه فى كلامه  
 من الآراء ، وعما عسى أن يلاقى من الوسائل الناجحة بما فى آراء تلك الفتاة  
 فقال :

لما التقينا وقد قيل المساء دنا	وغابت الشمس أو لاذت ولم تغب
وأضلى بين منقض ومنقصف	وأدمى بين منهل ومنسكب
وأملتنى أم المجد قائلة	بمن أراك أسير الوجد والطرب
فقلت قلبى مسيى وأنك لو	كنت سري لم أكتنك كيف سبى
وأعرضت ثم قالت قد أسأت بنا	ظناً أيجمل هذا من ذوى الأدب
فقلت أنى امرؤ لما لقيتكم	والمرء وقف على الارزاء والنوب
سبت فؤادى ذات الخال قادرة	ولا نصيب لها منه سوى النصب
ألهو بها وهى تلهو فى بلمهنية	شلتن والله بين الجدد واللعب
أصابت القلب لما ان رمته ولو	ولورمته أخرى إذ ن لا شك لم تُصب
فقلت اشكوا إليها ما لقيت ولا	ترهب فلم تبلغ الآمال بالرهب
عسى هواك سيعديها فينصبها	وقديكوب الهوى أعدي من الجرب



فقلت أعظمها بل ما أسلمها      الا أشار الى الموت من كتب  
 قالت أنا أنولى ذاك في لطف      فقد أوّلف بين الماء واللهب  
 فقلت مثلك من يرجى لمعضلة      لا زلت في غبطة ممتدة الطنب  
 صليه أو فاقتليه فالحمام له      خير من الهجر في جهد وفي تعب  
 فلو ترانى قد استسامت مرتقبا      منها حنان الرضا أو جفوة الغضب  
 حتى اذا ما ألأت تلك بجانبها      والقلب مها أرم تسكينه يحب  
 طفقت ألم كفيها وقد جنحت      اليك تضحك بين العجب والعجب  
 لله مثلى ما أدنى سجيته      من المعالي وأناها عن الريب  
 كم مأثم مستلذ قد همت به      فلم يدعنى له دينى ولا حسبي

ولقد ينظم الكلام المعروف فيغير من صبغته في النفس ، ومن معناه في  
 الفؤاد ، فيكون جديداً لان روح الشاعر غالبية على معانيه . كما في كلامه عن  
 لذيذة حبيبته . وله أبيات حكيمة بثها مدحه كقوله :

كم مقلّة ذهبت في العى مذهبها      بنظرة هي شان أولها شان  
 رهن بأضغاث أحلام اذا هجعت      وربما حلت والمرء يقظان  
 فانظر بعقلك ان العين كاذبة      واسمع بقلبك ان السمع خوان  
 ولا تقل كل ذى عين له نظر      ان الرعاة ترى مالا ترى الضان  
 دع الغنى لرجال ينصتون له      ان الغنى لفضول الهم ميزان  
 واخلع لبوسك من شح ومن أمل      لا يقطع السبق الا وهو عريان  
 وصاحب لم أزل منه على خطر      كأننى علم غيب وهو حسان  
 أغراء حظ توخاه وأخطأنى      اما درى ان بعض الرزق حرمان  
 وغره ان رآه قد تقدمنى      كما تقدم باسم الله عنوان  
 ولقد ينظم الحكم والعبر في كلامه فتجده حكيما وشاعرا معا . كقوله :

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا      ان سوف يقتلهم لذاتها بدلا  
قل للمحدث عن لقمان اوليد      لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا  
واللذي همه البنيان يرفعه      ان الردي لم يفادر في الثرى احدا  
ما لابن آدم لا تفتي مطالبه      يرجو غدا وغسى أن لا يعيش غدا

---

١ ووصف سدا يمج ماء من فـه  
أسد ولو أنى أنا      قشه الحساب لقلت صخره  
وكأنه أسد السما      • يمج من فيه المجره  
ومن قوله في الحكمة  
وإذا عجبت من الزمان لحادث      فتابع يكي على متبوع  
وإذا اعتبرت العمر فهو ظلامه      والموت منها موضع التوقيع  
( راجع بغية المتيسر للضبي صحيفة ١٨٦ )  
وقالوا انه اجتمع مع كثير من الادباء فبرز عليهم في موشعته التي يقول فيها  
مناحك عن جنان      سافر عن يدر      ضاق عنه الزمان      وحواه صدرى





## ابن عبدون<sup>(١)</sup>

كان ابن عبدون كاتباً ناثراً وشاعراً بليغاً . أما نثره فهو نثر أدباء عصره : كلام أشبه بالنظم منه بالسجع ، أو سجع مُتَعَمِّلٌ غير ظاهر فيه التكلف ، اذا قيس بغيره أو عورض بسواه ، أو معنى قصير في سلسلة من ألفاظ طويلة ، أو هو من نوع البراعة في الاحاطة باللغة وتنسيق الألفاظ ، أو ضرب من الافتنان الدقيق في اخفاء ابتذال الموضوعات والمعاني المعروفة تحت ستار من الصنعة . ولقد ينجل الى الناقد ان الكتاب في ذلك العصر كان يقلد بعضهم بعضاً ، وان هذه هي الصفات التي تظهر فيها ميزة الكاتب ، وانه لا فضل لمن اكتسب هذه الملكة بكثرة ما يقرأ ويعلم من أساليب معاصريه ومعانيهم . ولقد يظهر لنا ان هؤلاء الكتاب والشعراء سائرون في طريق واحد متشابه الارحاء والنواحي ، وأنهم يضربون على نغمة واحدة ، من حيث الكلام في الموضوعات المعروفة لهم ، وانه ليس لأحدهم فضل في غير الانفراد بالأسلوب واختيار الألفاظ واتباع

---

١ عاش ذو الوزارتين أبو محمد عبد المجيد بن عبدون في أزهى عصر من عصور الادب زمن ملوك الطوائف . وعاشر أذكى ملوكهم وأعلمهم باللغة والادب والتاريخ وهم بنو الافطس الذين اشتهر علمهم وفضلهم وعرف حبهم للادباء وأكرامهم اياهم وكان كاتباً للمتوكل على الله بن المظفر وناهيك بمن يكون في حضرة هؤلاء ويكتب لهم وهم العلماء والشعراء . وقد قالوا عنه انه كان أعجوبة في النظم والنثر ، من كبار حفاظ اللغة والادب في وقته . ورووا عنه وعن قوة حفظه انه أديب الاندلس وامامها وسيدها في عالم الآداب وان أيسر محفوظاته كتاب الاغانى . ومهما بالغوا في نسبة هذا اليه فذلك يدل على مقدار معلوماته وقوة ذاكرته . وهو فهرى من أصل عربي وتوفي سنة ٥٢٠ هجرية مدة سلطة المرابطين وقد اتصل بعد سقوط ملوك الطوائف يوسف بن تاشفين وكتب له ولابنه .

الطرق التي يختارونها اقتفاء لآثار غيرهم . ولكن أليس من البراعة أن يشبه الكاتب جميع الكتاب ويعرف كيف يمتاز عنهم بمعانيه وأسلوبه ؟ إن العصر الذي يغص بالآداب لمن أشق العصور وأصعبها على الكتاب والشعراء الذي لا يمتازون بشيء في مواهبهم ، وحتى على الكبار منهم ، الذين يحملهم ذكاؤهم وقدرتهم على أن يمتازوا ويظهروا على معاصريهم . إن ميزة الصناعة الأدبية والافتنان لا يكونان في اختلاف الموضوعات والأسلوب لا غير ، بل ذلك شيء كامن في نفس الكاتب لا يظهر إلا على شبا قلمه ولا تمليه قريحته إلا لشخصه .

قد يظهر للقارئ أن الكتاب أو الشعراء يشبه أحدهم الآخر هذا يمدح ويندم ، ويمتدح ويمتدح ، وهذا يأخذ من لفظه ويسير على نهجه . ولكننا لنعدم أن نرى في خلال هذه الصحف المتشابهة عبارات ومعاني جديدة ، وأساليب تدل على شخصية الكتاب والشعراء في هذه الألفاظ . وقد نجد جملة واحدة أو كلمة واحدة يستريح إليها الفكر وتطمئن إليها النفس

ربما كان ابن عبدون من هؤلاء فإن له رسائل طويلة أكثرها مملوءة بالألفاظ المعروفة ، والعبارات المأخوذة من كلام غيره والاطناب الذي يذهب بصبر القراء . وعلى الرغم من اعتباره من أكبر كتّاب أهل زمانه ، ليس في كتاباته غير الطول الممل والسجع المتكلف<sup>١</sup> ولكن كان هذا الأسلوب من أفضل الأساليب . ولا ين عبدون في أسلوبه أحيانا شبه بأسلوب ابن زيدون ، من ذكر الحوادث وأسماء الرجال<sup>٢</sup> أما شعره فأفضل من نثره . ومن قصائده القصيدة التي رثى فيها بني الأقطس وذكر فيها أشهر حوادث الملوك وأشهر الدول البائدة إلى أيامه . وهي قصيدة ممتازة في أسلوبها ومعانيها . قد احتوت على كثير من المعاني الدقيقة والملاحظات العامة . بدأها بالتفجع والشكوى من الأيام فقال :

---

١ ورسائله كثيرة في الذخيرة والمعجب ٢ راجع قلائد العقيان ص ١٤٨

الدهر يفجع بعد العين بالأثر  
 انهاك انهاك لا آلوك موعظة  
 فالدهر حرب وأن أبدى مسالمة  
 ولا هوادة بين الرأس تأخذه  
 فلا تغرنك من دنياك نومتها  
 ما لليالى أقال الله عثرتها  
 فى كل حين لها فى كل جارحة  
 تسر بالشئ لكن كي تغربه  
 فما البكاء على الأشباح والصور  
 عن نومة بين ناب الليث والظفر  
 والبيض والسود مثل البيض والسمر  
 يد الضراب وبين الصارم الذكر  
 فما سجية عينها سوى السهر  
 من الليالى وخانتها يد الغير  
 مناجراح وان زاغت عن النظر  
 كالأيم نارالى الجانى من الزهر

ثم أخذ فى سرد أصحاب الدول البائدة والملوك الماضية فقال :

كم دولة وليت بالنصر خدمتها  
 هوت بدار وفلّت غرب قائله  
 واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت  
 وألحقت أختها طسما وعاد على  
 وما أقالت ذوى الهيئات من يمن  
 ومزقت سبأ فى كل قاصية  
 لم تبق منها وسل ذكراك من خبر  
 وكان عضبا على الاملاك ذا أثر  
 ولم تدع لبنى يونان من أثر  
 عاد وجرّهم منها ناقص المرر  
 ولا أجارت ذوى الغايات من مضر  
 فما التقى رافع منهم بمبتكر

والقسم الثالث منها وهو رثاء بنى المظفر أبلغها ، لما احتوى عليه من  
 الموعظة ، والاعتبار والتذكير بالأيام الماضية ، أيام العز والمجد الرفيع . وفيها كثير  
 من المعانى المبكرة التى خالف بها سنة الرثاء المعهودة . وفى هذا يقول :

بنى المظفر والأيام لا نزلت  
 سحقا ليومكم يوما ولا حملت  
 من للأسرة أو من للاعنة أو  
 من للظباوعوالى الحظ قد عقدت  
 مراحل والورى منها على سفر  
 بمثله ليلة فى غابر العمر  
 من للأسنة يهديها الى الثغر  
 أطراف ألسنها بالى والحصر



وطوقت بالمتايا السود بيضهم      فاعجب بذلك وما منها سوى الذكر  
من للبراعة أو من للبراعة أو      من للسماحة أو للنفع والضرر  
أو دفع كارثة أو ردع رادفة      أو وقع حادثة تعي على القدر  
وله شعر كأنه هو من مبتدعيه رقيق المعاني والhashية . كقوله في مدح  
المتوكل.

وفاك من فلق الصباح تبسم      وانجباب عن غسق الظلام نجم  
والليل ينمى بالأذان وقد شدا      بالفجر طير البانة المترنم  
ودموع طل الليل تلحق أعينا      يرنو بها من ماء دجلة أرقم  
يا صاحبي بين الفرات ودجلة      ودع علاقة مسعد ومتيم  
وهو في مدحه من عشاق المتنبي وحفظة أسلوبه . ومع هذا التقليد ميزته  
ظاهرة وروحه جذابة في كلامه، جليلة في ان هذا له . كقوله يمدح أيضا .

مضوا يظلمون الليل لا يلبسونه      وان كان مسكي الجلايب ضافيا  
يؤمنون بيضا في الأكنة لم تزل      قلوبهم حبا عليها جاجيا  
وأغربة الظماء تنفض بينهم      قوادما مبلولة والخوافيا  
إذا مرقوا من بطن ليل زقت بهم      الى ظهر يوم عزيمة هي ماهيا  
وان زعزعتهم روعة زعزعو الدجى      اليها كُما تأ والرياح مذا كيا  
ولو انها ضلت لكان أمامها      سنا عمر في فحة الليل هاديا  
وصلت بها الهيجا عليه وسلمت      .....  
همام أقام الحرب وهي قميدة      وروى القنا فيها وكانت صواديا  
ومن أساليبه في تقليد المتنبي قصيدته التي يقول فيها :

هيئات لا ابتغى منهم هوى بهوى      حسبي أكون محبا غير محبوب  
فما أراح لذكرى غير مؤلة      ولا ألد بحب دون تعذيب

والأصالح أيامي على دخل      ليس النفاق إلى خلقى بمنسوب  
يأدهر أن توسع الأحرار مظلمة      فاستثنى .....  
ولا تخل أنى ألقاك منفرداً      أن القناعة جيش غير مغلوب  
ماكل من سيم خسفا عاف مورده      أن الأباء لظهر غير مركوب  
وكم تأزرت الغيطان بي كرماً      واستنشقتني أنفاس المناخيب  
وله كثير من الشعر الجيد غير أنه مقلد لشعراء المشرق . ولذلك لا تجد له  
ديباجة واحدة ، ولا أسلوباً معروفاً ، ولا معاني مبتكرة.





## ابن هاني<sup>(١)</sup>

كان محمد ابن هاني من أصحاب الظرف والخلاعة ، ذا أدب جم ، لا يبالي بما يفعل ولا بما يقول ، حتى قالوا عنه انه كان في كلامه كثير من الافراط والغلو في المدح المفضي الى الكفر ، وكان ينتجع أماكن الرزق لدى الخلفاء والامراء كغيره من الشعراء ويميش على متون القوافي . وكانت حياته ككل حياة الأُدباء التنقل والرحلة وانشاد الشعر وحفظه ، والاطلاع على الأدب واللغة

١ فالتأنا نذكر ابن هاني في مقدمة الشعراء لتقدمه في الزمن عن ذكرنا ، ولكننا أنسينا ذلك . على ان الادب في الأندلس لا يظهر فيه اختلاف المذاهب الادبية ظهورها في المشرق وهو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي ، من أكبر شعراء الأندلس وأشهرهم . ذاع ذكره في المشرق والمغرب وتقدم على غيره من الشعراء . وعاش في أرغد أيام دولة بني أمية في الأندلس . فقد مات في سنة ٣٦٢ بعد أن عاش ستا وثلاثين سنة . فيكون مولده على هذا القول في نحو ٣٢٦ وهذه الأيام هي أزهى أيام دولة الأمويين وأبهى أيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم ( مات الناصر سنة ٣٥٠ ومات الحكم سنة ٣٦٦ ) في هذا العصر عاش ابن هاني . وظهر على الشعراء ولكنه لم يكن من بين شعراء الناصر ولا من حاشية ابنه . واصل أبيه هاني من أفريقية . وكان هو أيضاً شاعراً مشهوراً وأديباً معروفاً فانتقل الى الأندلس فولد له محمد هذا بمدينة أشيلية . واذ كان أبوه أديباً وشاعراً ، أي صنعته الاب يعيش منه ويرحل في طلب السؤال به ، كان ابنه أيضاً من عشاق الشعر . وكانت أشيلية اذ ذاك أخصب بلاد الأندلس علماً وأديباً . فنشأ بها وبرع في الادب واندمج في صف الشعراء لما كان له من الميل الى ذلك . وقد ورث الذوق الادبي عن أبيه وتربى على حب الشعر ، وعرف منزلة الشعراء وادرك ما كان لهم من رفعة الشأن والافاضة عيهم بالمال والثراء . وكان ذكياً نبهاً ميالاً للخفة والدعارة . وكانت بذرة اعترف واللهو تبت في تلك البلاد فاندفع في هذه البيئة ندفاعاً واتصل بمساحب أشيلية ونال حظوته وانهمك في الملامى والملاذ ولم يكن له رادع نفسى ولا ديني . ثم جاهر بشيء من الآراء المقبولة هناك فنضب عليه أهل أشيلية وسات المقالة في حق الملك بسببه واتهم بمذهبه . فأشار الملك عليه بالفية مدة ليس فيها خبره فخرج من أشيلية وعمره ستة وعشرون عاماً ورحل الى عدوة المغرب فلقى جوهر القائد ( الذي فتح مصر للمعز )

وشىء من تاريخ الأدباء وحياتهم ، ومعرفة أقوال الشعراء ، ووعى أشهر كلامهم وأساليبهم وطرق التصور لديهم ، وموازنة الكلام بعضه ببعض ، والامعان في معرفة الجيد والردىء منه. لأن ذلك كان لهولاً مثاله المرجع الوحيد الذى يستمد منه أفكاره ومعلوماته وتصوراتة ، التى هى كل شىء لديه .

هذه كانت حياته العقلية وحياة أمثاله من الأدباء الخالص الذين لم يشتغلوا بالعلوم ، ولم يتجهوا الى الاستفادة منها . ولم تكن لابن هانى، نزعة أدبية فى غير الشعر . فقد اتجه اليه بكل قواه العقلية وحصر جميع ادراكاته فيه . لذلك ظهرت مواهبه فى الشعر ، وكان له شأن رفيع بين كبار الشعراء .

أما شعره فهو فى جملة من الكلام الجيد . ونريد بالجودة هنا اختيار المعانى الداعية الى التفكير وحمل الذهن على البحث فيها ، ليدركها القارئ ادراكاً صحيحاً يتمظ به ، أو يستفيد منه شيئاً جديداً فى حياته العقلية ، أو يذكركه برأى نافع ، أو مسألة صحيحة من مسائل الحياة والاجتماع ، كما هى الحال عند كبار الشعراء المفكرين . فشعر ابن هانى به كثير من ذلك تطمئن اليه النفس وتميل الى آرائه وتصديقها . وبه أفكار عامة فى الحياة والمجتمع الانسانى . وأكثر كلامه مملوء بهذه الآراء والخيالات الحكيمة . ولقد يجد الانسان روح المتنبى تدب ديباً فى كلامه أحياناً . وكأنه لا يحسب من الشعراء الخياليين الذين جاؤا بعده بأنواع الخيال وتفرغوا لذلك ولم يلجوا . باب الحقائق الانسانية فى شىء

---

أحد ملوك أفريقية ثم اتصل يحيى بن على بن بحر أحد ملوك طنجة وأخيه جعفر صاحب فبالغا فى اكرامه . ثم علم به المعز العميدى أحد ملوك أفريقية فأجرى عليه كثيراً من العطايا وأكرمه اكراماً عظيماً وكان محباً للمعلم والأدب وسافر المعز هذا الى مصر فشيعة ابن هانى ورجع الى المغرب لاخذ عياله . ولما وصل الى برقة أضافه شخص هناك وبقي عهده اياماً فى هناك وسرور ومجون بلغ أشده وقالوا انه خرج من تلك الديار وهو سكران فنا فى الطريق فأصبح ميتاً ولم يعرف سبب موته وقيل عربدو عليه وقتلوه . ولما بلغ المعز خبر موته أسف أسفاً شديداً وقال كنا نريد أن نفاخر به شعراء الشرق فلم يقدر لنا ذلك



ولا طرّقوا أبواب الحكمة ، بل اقتصروا على الأوصاف والتشبيهات . على ان ابن هاني رغم طريقته المعروفة التي نسبت اليه، كان يظهر عليه انه ناقل ومقلد في تلك المعاني التي حدث في زمن المتنبي ، وفي الأساليب العربية التي كانت قبل ذلك . فان منهجه في كلامه وأسلوبه لا يدل على غير ذلك . غير أنه بارع في جمع المعاني الغريبة ونظمها ، واقف على كثير منها ، مستجمع لطائفة عظيمة من الآراء الحكيمة والأمثال والمواعظ ، يذكرها لمناسبة ولغير مناسبة . وله في كلامه آراء تشبه الناقد البصير للاجتماع والناس ، ولعل هذا هو الذي حمل على القول بانه كانت له آراء ممقوتة وسورها آراء فلسفية .

ولقد جرى في أسلوبه على الاسلوب القديم : بالبدء بالغزل والاسترسال فيه ، وذكر المعاني القديمة المعروفة عند الشعراء ، ولعل ذلك جاءه من تمكنه من الشعر القديم وحفظه كثيراً منه . ويأتي في قصائد المدح بكثير من الآراء والافكار المختلفة وهي طريقة المتنبي بيمينها . وبعض هذه القصائد مملوءة بأوصاف الحروب وتمجيد الامراء . وأسلوبه أسلوب رشيق سهل . حتى ان أبا العلاء المعري قال فيه : « ما أشبهه الا برحى تطحن قرونا لاجل القمعة التي في ألفاظه » وقال الضبي صاحب بنية الشمس . « وهو كثير الشعر ، محسن مجيد ، الا ان قمعة الألفاظ أغلب على شعره » . وربما كان أسلوبه دليلاً على قول من يدعى ان شعراء الأندلس رغم ما كان لهم من الامتياز في الفكر والأساليب كانوا يقفون أثر البدو القدماء .

وأول شيء يشعر به الانسان عند قراءة شعر ابن هاني انه شاعر لا كغيره من الشعراء ، شاعر ممتاز عن سواه ، وكفى بذلك دليلاً على ملكة الشعر لديه . ان الصبغة الخاصة التي تدل على أثر الشاعر أو الكاتب أو على شيء من شخصيته في كلامه هي علامة من علامات الافتنان التي من أجلها يحسب من بين الفنين وليس الافتنان غير إبراز الجمال وكشف دقائق ما فيه



وما هو جمال الشعر ؟ أليس هو ذلك الذيب الذى يدب فى النفوس  
 فيملأها بهجة وارتياحا ، ويحملها على الاعجاب بالكلام وما فيه ؟ أليس جمال  
 الشعر فى تلك الرنات التى تطرب النفس وتحركها كما تحركها رنات المزاهر  
 والأغاني ؟ أليس جمال الشعر فى الألفاظ والمعاني وتنسيقها وتناسبها وتقابلها  
 وترتيبها ، ونظمها وجمعها بأسلوب يتحایل به الشاعر على أن ينال من نفس غيره  
 وشعوره ، وأن يتقرب الى فؤاده وامتلاك عقله ، وأن يحرك القلوب والعواطف ،  
 ويحكم على العقول بالأصغاء اليه ، والتصديق لما يقول ؟ . هذه حقيقة جمال الشعر  
 كما ان ذلك هو سر كل فنون الجمال . وأكثر جمال الفنون هو فى معرفة تصوير  
 الأشياء أو المعاني مع دقة الفنى فى ذلك . ولقد يكون الافتنان تقليداً متقناً لشيء  
 معروف . هذا التقليد المتقن هو ما يراه الانسان جميلاً . فليس من لوازم الافتنان  
 فى الشعر ابتكار المعاني ، بل الإحاطة بها مع دقة إبرازها .

وهذا ما يشعر به القارئ فى أكثر شعر ابن هانى ، يشعر بسعة خياله ،  
 ودقة ادراكه ، وحسن اختياره ، وتنسيق صناعته ، وافتنانه الخاص ، الذى يدل  
 على ان الكلام كلامه ، والاسلوب أسلوبه . يتغزل ابن هانى كما يتغزل غيره .  
 ولكنه غزل غير غزل غيره ، تشعر عند قراءتك له انه شاعر ممتاز ، له صفة  
 خاصة وذوق خاص . يغرب فى غزله ويتعجب من جمال محبوبته ، ويخاطبها  
 ويصفها بما يدعو الى الاعجاب بها ويحرك العواطف اليها . وكأنما ذلك كله أثر  
 غرامه الصحيح ، وحبه الصادق ، وربما لم يكن شيء من ذلك . رأيت كيف  
 يتغزل فى قصيدة مدح :

فَكَاتُ طَرْفَكَ أَمْ سَيُوفُ أَيْبِكَ	وَكُؤُوسُ خَيْرِ أُمِّ مَرَّاشِفُ فَيْكِ
أَجِلَادُ مَرْهَفَةٍ وَفَتْكَ مَحَاجِرُ	مَأْنَتْ رَاحَةٍ وَلَا أَهْلُوكِ
يَابَنْتَ ذِي الْبَرْدِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ	أَكْذَا يَجُوزُ الْحَكْمُ فِي نَادِيكِ

قد كان يدعو في خيالك طارقاً      حتى دعاني بالقنا داعيك  
 عينك أم مَفَنَّاك موعداً وفي      وادي الكرى ألقاك أم واديك  
 منعوك من سنة الكرى وسروا فلو      عثروا بطيف طارق ظنوك  
 ودعوك نشوى ماسقوك مداً      لما تمايل عطفك اتهموك  
 حسبوا التكحل في جفونك حلية      تالله ما بأكفهم كحلوك  
 ولوى مقبلك اللثام وما دروا      ان قد لثمت به وقبل فوك

قد يكون تشبيه العيون بالسيوف معروفاً ، وقد يكون تشبيه الريق بالخر  
 والاشارة الى ان التكحل غير الكحل معروفاً أيضاً ، ولكن ما ليس معروفاً هو  
 ذلك الأسلوب ، هي روح الشاعر التي لبست هذه المعاني ، وكأنما قيست عليها  
 أو كانت من مبتكراتها. ولقد يأتي في أثناء كلامه بعمان وتشبيهات بدیعة مع أسلوبه  
 المعروف في البدء بالفرزل . كقوله :

امسحوا عن ناظري كحل الشهاد      وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد  
 أو خذوا مني ما أبقيتُموا      لا أحب الجسم مسلوب الغواد  
 هل تُجبرون محباً من هووى      أو تفككون أسيراً من صفاد  
 أسلوا عنكم من هجركم      قلما يساو عن الماء الصواد  
 انما كانت خطوب قُيِّضت      فعدتنا عنكم إحدى العواد  
 فعلى الأيام من بعدكم      ما على الظلماء من لبس الحداد  
 لا مزار منكم يدنو سوى      أن أرى أعلام هضب أو نجاد  
 قد عقلنا العيس في أوطانها      وهي انضاء ذميل ووخاد  
 وحديث عنكم كثره      عن نسيم الريح أو برق الغواد  
 لم يزدنا القرب الا هجرة      فرضينا بالتناي والبعاد

واذا شاء زمان رابنا برقيب أو حسود أو معاد  
ثم دخل على المدح بهذا الأسلوب والاطناب الذي لا يمل، مع اختياره جميل  
الصفات وتعدادها، حتى انه ليخيل الى الانسان انه أفضل مدح، أو انه ليس وراء  
ذلك من اطراء . فقال :

من امام قائم بالقسط أو	منذر منتخب للوحى هاد
أهل حوض الله يجرى سلسلا	بالطهور العذب والصفو البراد
أنسواهم ابتغى يوم الندى	أم سواهم ارتجى يوم المعاد
هم أباحوا كل ممنوع الحمى	وأذلوا كل جبار العناد
واذا ما ابتدر الناس العلى	فلمهم عاديها من قبل عاد
ولهم كل نجاد مرتدى	ولهم كل سليل مستجاد

ولقد يرق فى كلامه فيأتى بالمرقص والمطرب ، حتى لاتعرف أهو شاعر أم  
مادح أم عاشق أم مبتكر للمعانى أم موحى اليه بها كقوله :

قد مررنا على مغانيك تلك	فرأينا فيها مشابه منك
عارضتنا لها الخرائد أسرا	بأجراعتها فلم تسل عنك
لا يرع للمها بذلك سرب	فلقد أشبهتك ان لم تكنك
فحين مرجع كحنيني	وتشك مردد كتشكى
فائد تسكب الدموع كسكى	ثم لاتسفك الدماء كسفكى
لاأرى كابن جعفر بن على	ملكا لابسا جلالة ملك
تتفادى القلوب منه وجيبا	فى مقام على المتوج ضنك
وطويل النجاد فرج منه	جانب السجف عن حياة وهلك

ولقد يصف فيبدع فى الوصف ، وتظهر ميوله المجونية فى شعره ، فيكون



أصدق ما يكون، وأرق أنسان، عذب الالفاظ رشيقا، خفيف الروح مبدعا جذابا :

قَمْنٌ فِي مَائِهِمْ عَلَى الْعِشَاقِ	وَلِبْسَنَ الْحَدَادِ فِي الْأَحْدَاقِ
وَبَكَيْنِ الدَّمَاءِ بِالْعَنَمِ الرُّط	بِ الْمُقَنَّأِ وَبِالْحُدُودِ الرُّقْلَقِ
وَمِنْحَنِ الْفِرَاقِ رَقَّةً شَكُوا	هَنْ حَتَّى عَشَقْتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ
وَمَعَ الْجَبِيرَةِ الَّذِينَ غَدُوا دَمَ	حَاطَبَتِهِمْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ حَتَّى
وَدَنُوا لِلْوَدَاعِ حَتَّى تَرَى الْأَجِي	أَذْنُوا بِالْفِرَاقِ قَبْلَ التَّلَاقِ
يَوْمَ رَاهَنْتَ فِي الْبَكَاءِ عَيُونًا	أَد فَوْقَ الْأَجْيَادِ كَالْأَطْوَاقِ
أَمْنَعُ الْقَلْبَ أَنْ يَذُوبَ وَمَنْ يَـ	فَتَقَدَّمْتُ فِي عَنَانِ السَّبَاقِ
رَبِّ يَوْمَ لَنَا رَقِيقٌ حَوَاشِي الدَّ	نَع جَمْرَ الْغَضَى عَنْ الْإِحْرَاقِ
قَدْ لَبَسْنَاهُ وَهُوَ مِنْ نَفْحَاتِ الـ	سَهْوِ حُسْنًا جَوَالِ عَقْدِ النِّطَاقِ
وَالْأَبَارِيقِ كَالظُّبَاءِ الْعَوَاطِي	مَسَكْ دَرَعِ الْجَيُوبِ دَرَعِ التَّرَاقِ
مَصْفِيَاتِ إِلَى الْفَنَاءِ مَطْلَا	.....
وَهِيَ شِمُّ الْأَنْوْفِ يَشْمَخُنْ كِبْرًا	تَ عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الْأَطْرَاقِ
قَدَمَتَا السَّقَاةَ كِي يُوقِرُوهَا	ثُمَّ يَرْعِفُنَ بِالْدَمِ الْمِهْرَاقِ
فَهِيَ أَمَّا يَشْكُونُ ثَقْلًا مِنَ الْوَدِّ	صَمًّا عَنْ سَمَاعِ شَادٍ وَسَاقِ
	رَ وَأَمَّا يَبْكِينُ بِالْأَمَاقِ

ويمزج أسلوبه بشيء من أساليب غيره ، كتقليده المتنبي ، حيث يبت  
الحكم ، أو شيئاً من التهمك ، بينما هو يتكلم في المدح أو في الغزل . ولقد يسبق  
إلى فكره شيء من المبالغة فيجرب به لسانه فكأنه يقول ذلك عن غير قصد . كقوله  
في المدح

وما الجود شيئاً كان قبلك سابقاً      بل الجود شيء في زمانك حادث  
وفي هذه القصيدة يقول

عبثت زماناً بالليالي وصرفها      فهاهى بي لوتملون عواث  
لئن كان عتق النفس للنفس قاتلاً      فأنى على حتى بكفى باحث  
وان كان عمر المرء مثل سماحه      فان أمير الزاب للارض وارث  
اذا نحن جئناه اقتسمنا نواله      كما اقتسمت في الأقربين الموارث  
وان حراماً أن تؤمل غيره      كما حرمت في العالمين الخباث  
تبسمت الأيام عنك ضواحكاً      كما ابتسمت حو الرياض الدمائث  
وسد ثغور الملك بعد انشلامها      وقد أظلمت تلك الخطوب الكوارث  
فما زاد في بحبوحة الملك رائد      ولا عاث في عريسة الليث عاث

وكثير من قصائده هي من نوع مزج الغزل بالحجاسة والمدح. وينتقل من معنى الى آخر، ويميل دائماً الى الوصف الغزلي. كقوله

قمر لهم قد قلده صارما      لو أنصفوه قلده كوكبا  
صبغوه يوما بالشقيق وبالرحيم      سق وبالبنفسج والاقاحي مشربا  
وكأنما طبعوا له من لحظة      سيفاً رقيق الشفرتين مشطبا  
قد ماج حتى كاد يسقط نصفه      وأذيل حتى كاد أن يتسربا  
خالسته نظرا وكان موردا      فاحمر حتى كاد أن يتلها

فإذا مدح وصف وذكر صوراً كثيرة من الحوادث التي مرت في حياة المدوح فبنت مجده ورفعت قدره . وقصائده في ذلك كثيرة . وهو في رثائه جيد أيضاً ، يأتي بالعظة والعبر . وذلك هو الأسلوب الفلسفي المعروف في المشرق . ومن كلامه في ذلك قصيدته التي يقول فيها .

وهب الدهر نفيساً فاسترد      ربما جاد بنخيل ففسد  
كلما أعطى فوفى حاجة      بيد شيئاً تلقاه بيد

كاذب جاء جهاما زبرجا      بعد ما أومض برق ورعد  
أنها شيشنة من أخزم      قلما ذم بخيل فحمد  
خاب من يرجو زمانا دائما      تعرف البأساء منه والنكد  
فاذا ما كدر العيش نفي      واذا ما طيب الزاد نفد  
فلقد أذكر من كان سها      ولقد نبه من كان رقد  
ابدا يعجم منى نبعة      وقناة ليس فيها من أود

واستقصاء الجيد من شعره يدعو الى الخروج من مثل هذه الملخصات، فعلى

من يريد الاطلاع على شعره أن يرجع الى ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٢٧٤ هـ





## ابن الحداد<sup>(١)</sup>

كان ابن الحداد من أهل الجند وأصحاب الاطلاع وأهل الذوق في الادب واللغة ، لان نثره نثرفنى مملوء بالمعاني ، وأسلوبه سهل متين ، هو أسلوب أديب مطلع على أحوال الاجتماع ونفوس الناس ، هادىء فى كلامه ، جزل فى ألفاظه واضح غير متكلف فى معانيه ، يلح المعنى فى ذهنه كما يلح اللفظ اللائق به وكأنما يتقابل المعنى واللفظ فى خاطره فيلبس أحدهما الآخر ويتمزج هذا بهذا ، أو كأنما قيس كل منهما على سمت صاحبه . فإذا أراد أن يكتب أزدحت أمامه المعانى ، وتراكت عليه الأمثال والحكم والتراكيب العربية التى تمر بذهنه وذاكرتة ، فيأخذ منها ما سبق الى لسانه ، وما علق بذاكرته . لذلك تجد فى رسائله المعنى الطريف واللفظ الطريف ، وكلام غيره وصناعة سواء ، من مناهج الادباء وأساليب الشعراء . وهو كأنه نقاد يختار منها الجياد . لا يخرج عن المعنى

---

١ هو الاديب أبو عبد الله محمد بن الحداد . عاش فى دولة ابن عباد وتوفى سنة ٤٨٠ وكان ملازماً للمعتصم بن صمادح أحد ملوك الطوائف الذى كان معاصراً للمعتد بن عباد أيام دخول يوسف بن تاشفين فى الأندلس . وقد عاش ابن الحداد فى كنف ابن صمادح وابنه معن وخصهما بمدحه . وعرف كيف ينزل من نفس المعتصم بن صمادح منزلة الشرف والوقار وكيف يمدحه غير متبذل ولا متغال . وكان لا خلاقه أثر فى ذلك لأنه كان كبير النفس مبجلاً محترماً من جميع الناس .

وذكره الادباء والنقاد بعض الآراء الفلسفية فى شعره وميزوه عن بقية الشعراء والكتاب من أصحاب الأساليب الخيالية . وقد حسبوه من أصحاب الآراء الفلسفية لابتعاده فى كثير من شعره عن المجون الذى كان سمة لأكثر الشعراء هنالك . وكانوا يحسبون الكلام الجدى الخالى من المزح والهزل فلسفة كما نسبوا اليه الفلسفة فى قوله

لزممت قناعى وقعدت عنهم      فلست أرى الأمير ولا الوزير  
وكنت سيرا شعارى سفاها      فمدت لفلسفياى سيرا

الذى يريد ، ولا عن رأى الذى اليه قصد . ويقفو أثر المعانى أكثر من اقتفاء الألفاظ . وقلمه جواب ، ونفسه طويل ، وكلامه فيه كثير من الأطناب ولكنه غير ظاهر ظهوره فى كلام غيره . وجملته القول ان أسلوبه النثرى من الأساليب الأدبية التى تساعد على تقويم اللسنة مما اعترأها من العجمة . وهذه رسالة له

«لما كان الكتاب أعزك الله جلاء الاقضاء ، وصقال الاصداء ، وعقال الادواء ،  
(وسمعتني منه بوسام ، ولفحتني منه بسموم ، وأسرت حسوا فى ارتقاء ، وأدبجت  
ذما فى ثناء ، والبحر يأنف من الضيم ، ويشمئز من الدم ، ولا يقتصر على الاجتزاء ،  
بغير الجزاء ، ولو ترك القطا ليلا لنام ، وفى العتاب حياة بين أقوام ، فاصطبر  
لشرب صبره ، وانتدب لتسوغ مره ، فمن الحُكم العدل ، والقضاء الفصل ،  
أن ألدعك بما لدعتني ، وأجرعك بما جرعتني ، غير آفك فى حال ، ولا  
مُباهت بمحال ، والتسويه ليس من خلق الكريم ، والحر على ما أساء يُصر ،  
وكل كُبحر فى الخلاء يُسر ، والفضل لمن حواه ، لا لمن زخرف دعواه ، وتحقيق  
البرهان ، غير تنسيق البيان ، والسؤدد فى محاسن الخلال والفعال ، لا فى امكان  
الزمان ، واقبال السلطان ، وقيمة كل امرئ ما يحسن . أمثال اضربها عليك ،  
واضحة المناهج ، ومقدمات أنشأتها معك ، صادقة النتائج ، وجمل تشتمل على  
تفصيل حالينا ، وبند تشير الى مافيه جرينا ، وقد همني عتابك واجلابك بريح  
تعصف ، ورعد يقصف ، واستقبلنى خطابك واطنابك ، بويل يخسف ، وسيل  
ينسف ، بلغ الزبى وزاد ، وغمر الربا والوهاد ، لوأم الجلالى لاقتلع أزهاره  
وطمس أنواره الخ<sup>١</sup> ....»

أما طبقته بين الشعراء ، فهو من الشعراء المفكرين أكثر منه فى صف الخياليين  
الذين يصفون الأشياء وصفاً أو يذكرونها كما يرونها . وحتى فى كلامه الوجدانى

---

١ راجع بقية الرسالة فى الجزء الأول من الذخيرة



له أسلوب خاص ، يدل على أن فكره هو الذى يرشده ، ويحرك لسانه ، ويعمل عليه بيانه . ومع انه كان من أهل الفكر ورجال العلم المحترمين ، كان له شعر فى الغزل ووصف عواطفه ، ظهرت فيه مواهبه فى هذا النوع .

واشتهر عنه انه أحب فى صباه فتاة نصرانية ذهبت بلبه ، وكان يسميها نورية قد اتخذ عشقها وسيلة للتكلم فى أوصاف المسيحية والقسس والكنائس والصلوات ، من الأشياء النادرة فى الشعر العربى ، نخرج عن عادة الشعراء فى الاقتصار على أوصاف النفوس وآلامها عند الكلام على العشق . وهذا يدل على شىء من الابتكار ، وسعة الخيال ، وتأثر الشعر وعقول الشعراء بما يرون فى الحياة . وكلام ابن الحداد فى النصرانية وأهلها وان كان قليلا فهو جديد فى الشعر العربى ، ألمح اليه بعض الأماح المتنبي وأبو العلاء وغيرهما ، مع ان كثيرا من الشعراء كان يعيش مع هؤلاء الناس ويرى أعمالهم الدينية ، ولكن لقصر فى خيالهم وجهود فى عقائدهم ، لم يحوموا حول هذه الموضوعات فى الكلام على من كانوا يعاشرون من الامم التى تدين بغير دين الاسلام ، وما كانوا عليه فى أعمالهم الدينية المملوءة بالالهامات الشعرية والخيالات

وليس ابن الحداد أول من أحب نصرانية من الشعراء حتى كان ذلك سببا من أسباب طرق هذا الموضوع لديه . ولكنه كان يرى مالا يراه غيره . قال فى حبيبته :

فان لى بالروم رومية	تكفى ما بين الكنائس
أهيم فيها والهوى ضلة	بين صواميع وبيعات
وفى ظباء البدو من بزدرى	بالظبيات الحضريات
أفصح وجدى يوم فصيح لهم	بين الاريطى والدوحات
وقد أتوا منه الى موعد	واجتمعوا فيه لميقات

مواقف بين يدي أسقف      ممسك مصباح ومنسات  
وكل قصم مظهر للتقى      مبد لانصات واختبات  
وعينه تسرح في عينه      كالذيب يبغي فرس نجمات  
أى امرئ سالم من هوى      وقد رأى تلك الظبيات  
وقد تلوا صحف أنجيلهم      بحسن الحان وأصوات  
يزيد في نفسه يعافيره      عنى وفي ضغط صباباتي  
والشمس شمس الدجن من بينهم      تحت غمامات اللثامات  
وناظري مختلس لمحها      ولحها يضرم لوعاتي  
ففي الحشا نار نورية      علقها منذ سنيات  
لا تنطفئ وقتا وقد رمتها      بل تتلظى كل أوقاتي  
حييا عنى رشا بالحشا      وان أبى رجع تحياتي

قلنا ان هذا شيء جديد في الشعر العربي أو من نوادر أشعار العرب . جاء هؤلاء الشعراء من اختلاطهم بغيرهم . وقد رأينا رسالة نثريه لابن شهيد تشبه هذا وهذا الكلام جديد أيضا في أسلوبه ، لانه تكلم في حبيبته ثم في القسس ، ووصف الصلاة والغناء ، وكل هذا جديد ، لان شعراء العشاق قلما يخرجون عن الكلام من وصف النساء الى شيء آخر . على ان هذه العبارات طريفة . وقال في هذه الفتاة وهو من نوع هذا الشعر :

فان الحسن ولا      لك احيائي واهلاكي  
وأولمتي بصلبان      ورهبان ونساك  
ولم آت الكنائس عن      هوى فيهن لولاك  
وها أنا منك في بلوي      ولا فرح لبواك  
ولا أستطيع سلوانا      فقد أوثقت اشراكي

وكم أبكي عليك دما ولا ترثين الباكي  
 فهل تدرين ما تقضى على عينيَّ عيناك  
 وما يذكى من نار بقلبي نورك الذاكي  
 حجبك سنالك عن بصري وفوق الشمس سيماك  
 وفي الغصن الرطيب وفي النقا المريج عطفاك  
 وعند الروض حدا لك وفي رياه رياك  
 نورة ان قليت فاه نبي أهواك أهواك  
 وعيناك الشهيدان باني بعض قتلاك

وقد أقتن في معانيه وفي كلامه في هذه النصرانية، واجتهد في مزج أوصافها  
 ومسائل عقائدها في شعره، فأخذ شعره لونا جديداً باهراً غير مألوف في العربية .  
 ففيها يقول :

وبين المسيحيات لي سامرية  
 مثلثة قد وحد الله حسنهما  
 وتحت الخمار الجون حسن كأنما  
 وفي معقد الزنار عقد صبايتي  
 وفي هذا المعنى يقول أيضاً :

وفي شريعة التثليث فرد مُحاسن  
 وأذهل نفسي في هوى عيسوية  
 فمن لجفوتي بالتماح نورة  
 سبتني على عهد من السلم بيننا  
 تنزل شرع الحب من طرفه وحيا  
 بها ضلت النفس الجنيحية الهديا  
 فتاة هي المأوى النفيس أو المحيا  
 ولو انها حرب لكانت هي السبيا



واصطبح مع المعتصم يوما ومعه ندماءؤه وأظهر صببية متصرفة في أنواع  
اللعب والطرب، وحضر أيضاً لاعب مصري هناك قارتجل ابن الحداد :

كذا فلتلح قمرًا ظاهرا	ونجنى الهوى ناظرا ناظرا
وسيبك سيب ندى مغدق	أقام لنا هاملا هامرا
وان ليومك ذا رونقا	منيرا لنور الضحى باهرا
صباح اصطباح بأسفاره	لحظنا محيا الملا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤوس	وما زال كوكبها زاهرا
وأسمعنا لاحنا فائنا	وأحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفر فوق رؤوس القيا	ن فننظر ما يذهب الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله	فتبصر طالما غائرا
فظاهرها ينثنى باطنا	وباطنها ينثنى ظاهرا
وثناء ثا لآلما به	دقيق ثنى الحجى حائرا
وفي سورة الراح من سحره	خواطر دلهت الخاطرا
إذا ورد اللحظ أثناءها	فما الوهم عن وردها صادرا
ومن بدع نماك أبداعه	فما أنفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتذب المغربات	ويجعل غائبها حاضرا

ولقد كان يمزج هذه الخيالات الجميلة بالمدح . كقوله في مدح بنى هود وقد  
أكرمه المقدر وأعلا من شأنه فمدحه بقوله :

أسالت غداة البين لؤلؤ أجفاني	وأجرت عقيق الدمع في صحن أجفاني <sup>١</sup>
وألقت حلاها من أسى فكأنها	أطارت شواذى الورق من قن البان
وأذهلها داعى الهوى عن تنقب	فحيا محياها بتفاح لبنان <sup>٢</sup>

وقد أطبقت فوق الأقاليم بنفسجا .....

وليل بهيم سرته ونجومه      ازاهر روض أو سواهر أجفان  
كأن الثريا فيه كأس مدامة      وقد مالت الجوزاء ميلا نشوان  
وما الدهر الا ليلة مبهمة      وشمس ضحاها أحمد بن سليمان  
وقصائده كثيرة في الجزء الأول من الذخيرة، وفيها جملة من نثره، وذكره  
صاحب فوات الوفيات في الجزء الثاني. وابن خاقان في مطمح الأنفس. وفي فهرس  
الجزء الثاني من نفح الطيب طبع أوروبا المواضع التي ذكره فيها المقرئ





## ابن خفاجة الأندلسي

هو أبو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة الأندلسي الشاعر الأديب المشهور . ولد ببلدة شقر ، ويطلق عليها العرب جزيرة شقر . وكانت ولادته سنة ٤٥٠ وتوفي بها سنة ٥٣٣ . عاش في عصر المرابطين بعد زوال دولة بني أمية والدولة العمارية ، وبعد انتهاء دولة بني عباد ، أي في عصر كان نضج اللغة والأدب بلغ أوكاد يبلغ منتهاه ، وكان الادباء في لهو ومجون ، وكانت الملامح والاشتغال بالمذات صرفت اليها العقول ، وجذبت اليها الافكار ، فهدبت منها قليلا أو كثيرا . واذا استولى اللهو على النفوس عشقت الجمال ، ومتى عشقت الجمال مالت الى فهمه ، وانغمست في ادراك أسرار الطبيعة وما فيها من روعة وابداع . فاذا كانت النفوس قد تهذبت بالعلوم والفنون المختلفة ، أدركت جمال الكون ادراكا عميقا - كما يقولون - وبجشت عن خفاياه بحث الفيلسوف عن الحقائق ، وكان الشاعر فيلسوفا فنيا وشاعرا فيلسوفا ، يظهر الفلسفة في ثوب شعري ، و يظهر الشعر في ثوب فلسفي . أما اذا كان فنيا بطبعه ، ولم يكن له نصيب من العلوم ، فانه يكتفى بالنظر الى الأشياء وفهم جمالها ، على حسب ما بها من التناسق الظاهر ، والمناظر الباهرة ، وجمال الألوان ، وكل ما توحيه الطبيعة الى النفس من الأعجاب . ولقد يؤثر هذا الشاعر في النفس بجمال قوله ، كما يؤثر الفيلسوف بحكمه وصدق ادراكه .

ومثل ابن خفاجة مثل ذلك الشاعر الذي وقف كل مواهبه لادراك الجمال ، وفهم ظواهره الرائعة المبتوثة في انحاء الكون : فهو من الشعراء الذين

ربنهم الطبيعة بجمالها ، وهذب ادراكه جمال الوجود ، فاتجه بجميع قواه العقلية والخيالية الى معالجة التعبير عن هذا الجمال ، وانغمس انغمسا في ذلك ، حتى أصبح لا يكاد يدرك غير هذا النوع ، ولا يفهم غير المعاني الجميلة . فقد كان يخرج الى البرارى ليسمع خرير المياه ، ويتمتع بهذه الاصوات والمشاهدات. وكان له ولع بهذا ، وبكل ما يقال فيه ، حتى لقد كان يجارى الشعراء ويعارضهم في مثل هذه المعاني التي شغلت عقول كثير من الادباء والشعراء . وكان الكلام في مناظر الطبيعة اذ ذلك من بدع البلاغة والأدب . فقد قالوا « ركب بعض الادباء مع أصحاب له في نهر اشبيلية في عشية سال أصيلا على لجين الماء عقيانا ، وطاردت زواريقها في سماء النهر عقيانا ، وأبدى نسيمها من الامواج والدارات سررا وأعطانا ، في زورق يجول جولان الطرف ، ويسود أسواد الطرف ، فقال بديها :

تأمل حالنا والجو طلق      محياه وقد طفل المساء  
وقد حالت بنا عذراء حبل      تجاذب مرطها ريح رخاء  
بنهر كالسجنجل كوثرى      تعبس وجهها فيه السماء

واتفق ان وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة فاستطرفها واستطابها . فقال يعارضها :

الا يا حبيذا ضحكك المحيا      بمحانتها وقد عبس المساء  
وأدهم من جياذ الماء نهر      ينازع جله ريح رخاء  
اذا بدت الكواكب فيه غرقى      رأيت الماء تحسده السماء»

فكان شغف ابن خفاجة بمثل هذا الكلام عظيما ، وكانت له ميول للمجون . فاجتمعت هذه الميول النفسية ، الى حبه لجمال الطبيعة وكونت ملكته الشعرية وخیالاته وتصوراته ، حتى لقد كان يملأ نفسه المجون فيملى عليه من المعاني ما يرسم شيئا من أخلاقه وميوله في الحياة . كما قال :

وما الانس الا في مجاج زجاجة ولا العيش الا في صرير سرير  
واني وان جئت المشيب لمولع بطرة خل فوق وجه غدير  
كذلك كانت ميول ابن خفاجة ، وهكذا كانت أخلاقه ، فكانت كاخلاق  
كل الفنين وميولهم : خفة وطيشا . ولكنها خفة روح تدعو الى حبه وحب  
كلامه . وهذا كله في شعره ونثره . وكأنه لم يكن يرى من الحياة الا ما يتفق  
مع أهوائه من بهجة وجمال ، حتى انه وصف الأندلس وقال :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار  
ما جنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت اختار  
هذا السرور النفسى كان يغمره ولا يفارقه ، فانه كان يحب بلاده ، لانها  
جميلة تشبه ما يحب في حياته من الجمال ، اذ يقول :

ان للجنة بالأندلس مجتلى عين ورياً نفس  
فَسْنَا صبحتها من شنب ودجا ليلتها من لعل  
فاذا ما هبت الريح صبا صحت واشوقى الى اندلس  
هذه أخلاق ابن خفاجة وميوله النفسية في جملة وأثرها ظاهر في حياته  
العقلية، وفي رسائله النثرية وقصائده الشعرية .

لذلك كان صاحب مذهب كتابي ، وأسلوب أدبي ، يوازن بأبي تمام في  
شعره ومذهبه ، وبابن العميد أو الهذاني في النثر والكتابة . فانه يشبه  
أبا تمام من حيث الميل الى تنميق عباراته الشعرية والتعمل قليلا أو كثيراً في  
ذلك ، والعناية بذكر أنواع البيان والبديع . ولكنه مع هذا غير ظاهر التكلف  
كأن ذلك جاءه عفواً وكأنه سليقة له . وهو على ما يظهر من شعره من  
المتشيعين لطريقة أبي تمام ، المعجبين بها . كما ان غيره من الشعراء كان يقفوا أثر  
المتنبي في أسلوبه ويتشبه به في آرائه الفلسفية . ولكننا لم نر أحداً فاق المتنبي في



في أسلوبه الفلسفي ، بل كانوا جميعاً مقلدين أو مغترفين من بحره . حتى أنهم لم يبلغوا شأوه ، ولكن ابن خفاجة أخذ عن أبي تمام وجاراه وفاقه في أسلوبه ، لانه غير متكلف كأبي تمام . بل جاءه ذلك من باب الميل النفسي والسجية . حتى لقد يذكّر المعنى ونفس الخيال الذي ذكره أبو تمام ، ولكنه خال من كل كلفة أو عمل ظاهر . ذلك لان ابن خفاجة كان يشعر من الجمال بما لم يكن يشعر به أبو تمام . ويكفي أن يتكلم الانسان عن شعور ليمتاز في كلامه وليس القلوب بمباراته

ويظهر من عبارات ابن خفاجة انه كان متمكناً من صناعته ، عارفاً بها ، سائراً على منوال واحد فيها ، في نظمه ونثره . وليس نثره غير شعر منشور ، ولا شعره غير نثر منظوم . فان رسائله القليلة التي عثرنا عليها ، هي من قبيل النثر السهل المتكلف ، سهل في ألفاظه وفهم معانيه ، متكلف في اتباع طرق علوم البيان . وهو مع ذلك رشيق الأسلوب . ولقد غير من نثره عبث الطبيعة وجاهاها بعقده ، وامتلاكها قوة الخيال منه .

كتب رسالة يصف فيها منزلها وكأنما قلعه ريشة مصور ماهر ، تكاد ترى ذلك رأى العين وكأنك تجول في أنحائه ، فتري كل ركن من أركانه ، وكل ناحية من أنحائه ، وكل زهرة ووردة ، وكل شجرة وغصن وكأنما يلمسك نسيمها العليل ، وتجرى أمامك الجداول والانهار . ذلك الى أسلوبه الخاص المسجوع وكأنما هو مرسل . وتجد الجملة الطويلة المسجوعة ، على حين انك تجد كلمة واحدة شطر سبعة أو سبعة كاملة قال « ... ذهبت في لمة من الاخوان نستبق الى الراحة ركضا ، ونطوى التفرج أرضا ، فلا ندفع الا الى غدير ندير قد استدارت منه في كل قرارة سماء . سحائبها غماء ، وانساب ، في كل تلة حباب ، جلده حباب ، فترددنا بتلك الاباطح تهادى تهادى

أغصانها ، وتتضاحك تضاحك أقحوانها ، وللتسليم أثناء ذلك المنظر الوسيم  
تراسل مشى ، على بساط وشى . فاذا مرّ بفدير نسجه درّعا ، واحكه صنعا .  
وان عثر بجداول شطب منه نصلا ، وأخلصه صقلا . فلا ترى الا بطاحا ، مملوءة  
سلاحا ، كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بما لبسته من درع مصقول ،  
وسيف مسلول ، ..... فاحتلنا قبة خضراء ممدودة أشطان الاغصان  
سندسية رواق الاوراق . ومازلنا نلتحف منها ببرد ظل ظليل ، ويشتمل عليه برداء  
نسيم عليل ، ونجبل النظر في نهر صقيل ، صافى لجين الماء ، كانه بحجرة سماء .  
موتلق جوهر الحباب ، كان من ثغور الاحباب . وقد حضرنا مُسمع يجري مع  
النفوس لطافة ، فهو يعلم غرضها وهواها ، ويغنى لها مقترحها ومناها ، فصيح لسان  
النقر ، يشفى من الور ، كانه كاتب حاسب تمشق يمناه ، وتعتقد يسراه ، يحرك  
حين يشدو ساكنات ، وتنبعث الطبائع للسكون . »

أما اذا خرج عن هذا النوع الوصفى الخيالى الفنى فقد يضيق الطريق في  
وجهه ، وقد يثقل كلامه ويتكلف في عبارته . كما في رسالة يعاتب فيها .<sup>١</sup>

---

١ قالوا كانت بين أبى اسحاق وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق ان ولى ذلك الصديق  
ممننا فخطبه أبواسحق برقة منها . « أطال الله بقاء سيدى النبية أوصافه . الزهبة عن الاستثناء  
المرفوعة أمارته الكريمة بالابتداء . ما انحذفت ياء رضى للجزم . واعتلت واو يفزو لموضع الضم  
كتبت عن ود قديم هو الحال لم يلحقها انتقال . وعهد كريم هو الفعل لم يدخله اعتلال والله  
بجمل هاتيك من الأحوال الثابتة اللازمة . ويعصم هذا بعد من الحروف الجازمة . وأنا أستنهض  
طولك الى تجديد عهدك بمطالعة الف الوصل وتعديّة فعل الفصل . والى عدولك عن باب الف  
القطع الى باب الوصل والجمع . حتى تسقط لدرج الكلام بيننا هاه السكت ؛ ويدخل الانتقال حال  
الصمت . فلا تتخيل أعزك الله ان رسم أخائك عندي ..... قد درس عفاء ولا ان صدرى  
دارمية أمسى من ودك خلاء . وانما أنا فعل اذا ثنى ، ظهر من ضمير وده ما بطن . وبدا  
منه ما كمن . وهنيئا أعزك الله ان فعل وزارتك حاضر لا يلحق زفمه تغيير ، وان فعل

وكان ابن خفاجة كثير النظر والتأمل في المشاهدات ، ولا سيما المناظر الطبيعية ، متأثراً بالمنظورات ، يحرك عقله نظره . للالوان وتناسقها سلطان عظيم عليه ، وكل معلوماته جاءت من طريق النظر الى الاشياء ، فكان يرى ويلاحظ ويعرف كيف يرى وكيف يلاحظ . ولم يكن له الا أن يلبس هذه المنظورات عبارات والفاظا بليغة فصيحة . واذا كان بطبيعته فنيا كان اختياره للألفاظ والجل حسنا جيداً ، كما يختار المصور الماهر الالوان الجميلة اللازمة له . لذلك ، كان أسلوبه جميلاً ، وعباراته سهلة ، وكلامه سائغاً للنفس ، بعيداً عن كل تعقيد أو تركيب ركيك ، أو غموض في اللفظ أو المعنى . ويكاد يكون ديوان شعره من أوله الى آخره على نسق واحد في المثانة وحسن العبارة ، وكله من نوع واحد من حيث الصور العامة . ولكن تكرر المعاني لا يكاد يجد له القارئ أثراً لبراعة الشاعر واختياره المعاني التي كلما مرت بالنفس أو بالسمع تجدد أثرها بتجديد ألفاظها ، وتنغير آثارها بتغير تراكيبها .

ولقد يصف فيخيل اليك أنك تنظر في لوحة مصور ، أو كأن كل معنى في كلامه « كأن حتى » يتحرك أمامك . قال يصف طيفاً ألم به في الليل الطويل ،

---

سيفك ماض ما به للعوامل تأثير ، وأنت بمجدك جماع أبواب الظرف . تأخذ نفسك العملية بمطالمة باب الصرف ، ودرس حرق العطف . وتدخل لام التبرئة على ما حدث من عتبك . وتوجب بعد النقي ما سلف من عتبك ، وتدع الف الألفة أن تكون بعد من حروف اللين . وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين ، وتسموم ساكن الود أن يتحرك . ومعتل الاخاء أن يصح . وكتابي هذا حرف صلة فلا تحذفه حتى تعود الحال الاولى صفة ، وتضير هذه النكرة معرفة ، فأنت أعزك الله مصدر فعل السرور والنبيل ، ومنك اشتقاق اسم السودد والنفيل . وانك وان تأخر المصر بك كالفاعل وقع مؤخراً . وعدوك وان تكبر كالكميت لم يقع الا مصغراً ، وللايام علل تبسط وتقبض . وعوامل ترفع وتنخفض ، فلا تدخل عروضك قبض ، ولا عاقب رضمك خفض . ولا زلت مرتبطاً بالفضل شرطك وجزاؤك . جارياً على الرفع سرك الكريم وسناؤك . حتى تخفض الفعل ، وتبني على الكسر قبل ، ان شاء الله » راجع نفع الطيب ج ١ ص ٣٥٢



وأخذ خياله يتصور ما يمكن أن يكون في هذا الموقف من وصف ملاقاته لحبيبه ،  
 والتمتع به في حضرته . والليل يحيط بهما وهو على وشك الانصراف ، وأخذ  
 يشبه محبوبه بأنواع الرياحين ، وهو تشبيه سهل الإدراك صعب التركيب . وليس  
 هذا الكلام في طاقة كل شاعر ، ولا امتلاك البيان يمثل هذا في طوع كل قتي  
 تكلم في الليل ثم في الطيف ووصفه بأرق ما يصف به حبيب حبيبه ، وأحسن  
 ما ينال عاشق من عشيقه ، وقد دام ذلك الى طلوع الفجر ، وعيون الليل تتجسس  
 أخبارهم ، وضوء الصبح يرقبهم :

ورداء ليل بات فيه معانق	طيف ألم لطبية الوعاء
فجمعت بين رُضابه وشرابه	وشربت من ريق ومن صباه
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة	شفقا هناك لوجنة حمراء
والليل مُشَبَّطُ الذوائب كِبَرَةً	خَرِفَتْ يَدٌ عَلَى عَصَا الْجُوزَاءِ
ثم انثنى والسكر يسحب فرعه	ويجر من طرب فضول رداء
تندى بفيه اقحوانة أجرج	قد غارلتها الشمس غب سماء
وتميس في أنوابه ريحانة	كرعت على ظمأً يجداول ماء
نفاحة الانفاس الا انها	بحذر النوى خفاقة الأفياء
فلويت ممطفا اعتناقاً حسبها	فيه بقطر الدمع من أنواء
والفجر ينظر من وراء غمامة	عن مقلة كحلت بها زرقاء
فرغبت عن نور الصباح لنورة	أغرى بها ينفسج الظماء

ولقد يصف الليل والسير فيه وظلمته الخالكة المنبعثة من كل ركن من  
 أركان الفضاء . وما قد توحيه الى النفس من الخوف والرهبة . وما يلاقيه السارى  
 من حيوان كاسر . وكأنما يظن القارئ نفسه في جوف الغلاة ومخاطر الليل .  
 كل ذلك بتشبيهات جميلة مختارة . كما قال :

ومفازة لا نجم في ظلماتها  
تلهب الشعري بها . وكأنها  
ترمي به الشيطان فيها والربى  
قد لفنى فيها الظلام وطاف بى  
طراق سادات الديار مساور  
يسرى وقد نضج الندى وجه الصبا  
فعمشوت في ظلماء لم تقدح بها  
ورفلى في خلع على من الدجى  
والليل يقصر خطوه ولربما  
قد شاب من طرف المجرة مفرق  
وكما قال:

وليل كما مُد الغراب جناحه  
به من وميض البرق والليل فحمة  
سريت به أحبيه لاحية السرى  
يقلب منى العزم انسان مقلة  
بخرق لقلب البرق خفقة روعة  
سحيق ولا غير الرياح ركائب  
كأنى وأحشاء البلاد تبجنى  
أجوب جيوب البيد والصبح صارم  
وفي مصطلى الآفاق جمر كواكب

ووصف نارا هبت عليها ريح فأضرمتها وكأنما يتغازلان . أو كأن النار

والريح في موقف طرب يتأيلان من نشوته . أو كأن الريح عاشق متيم يلثم خد  
اللهب الخجل . أو كأن في موقد النار ماء عليه من نجوم حبيب . فقال

لأعب تلك الريح ذاك الלב	فعاد عين الجد ذاك اللعب
وبات في مسرى الصبا يتبعه	فهولها مضطرم مضطرب
ساهرته أحسبه منتشيا	يهز عطفيه هناك الطرب
لو جاءه منتقد لمادري	ألب متقد أم ذهب
تلثم منه الريح خذا خجلا	حيث الشرار أعين ترتقب
في موقد قد رقرق الصبح به	ماء عليه من نجوم حبيب
منقسم بين رماد أزرق	وبين جمر خلفه يلهب
كأنما خرت سماء فوقه	وانكدت ليلا عليه شهب

ووصف ساقيا جميلا ، فوصف الخمر أيضاً ومجلسه ، وكأنما السرور يسيل  
بين ألفاظه ، والنعيم والسعادة يتمثلان في كلامه . فقال:

وأغيد في صدر الكلام لحسنه	حلى وفي صدر القصيد نسيب
من الهيف أما ردفه فنعيم	خصيب وأما خصره فجديب
يرف بروض الحسن من نور وجهه	وقامته نواره وقضيب
جلاها وقد غنى الحمام عشية	عجوزا عليها للجباب مشيب
وجاء بها حمراء أما زجاجها	فنور وأما موجهها فكثيب
تجافت بها عنا الحوادث برهة	وقد ساعدتنا قهوة وحبيب
وغازلنا جفن هناك كنرجس	ومبتسم للاقحوان شنيب
فالله ذيل للتصابي سحبتة	وعيش باطراف الشباب رطيب

وكل شيء يراه كان يوقظ خياله ، وينبه من أدراكه ، ويدفعه الى ابتكار  
المعاني الجميلة . فقد رأى رجلا أسود أحذب يسقى خمراً فقال في ذلك :



دب ابن ليل سقانا	والشمس تطلع غره
فظل يسود لونا	والكأس تسطح حره
كأنه كيس فحم	قد أوقدت فيه جره
والمدام مدير	يشب جرة خمره
تضاحكت عن حباب	يقبل الماء ثغره
فظلت آخذ ياقو	ته واصرف دره
حتى تثبت غصنا	واصفرت الشمس نقره
وارتد للشمس طرف	به من السقم فتره
يجول للغم كحل	فيه وللقطر عبره

ولقد يفكر في شعره فيأتي بأفكار جميلة ، وملاحظات جميلة ، ويخرج من معنى الى آخر . وقد تكون المعاني معروفة وجديدة مما ، لأنه يبدع ويبتكر في التعبير . كقوله :

وليل اذا ماقلت قد باد فانقضى	تكشف عن وعد من الظن كاذب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب	لاعتنق الآمال بيض ترائب
فرقت جيب الليل عن شخص أطلس	تطلع وضاح المضاحك قاطب
رأيت به قطعا من الفجر أغبشا	تأمل عن نجم توقد ثاقب
وأرعن طماح الذؤابة باذخ	يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة	ويرزم ليلا شبه المناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه	طوال الليالي مفكر في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمام	لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصخت اليه وهو أخرس صامت	فحدثني ليل السرى بالمعائب
وقال الا كم كنت ملجأ قاتل	وبوطن أوّاه تبتل تائب

وكم مربى من مدج وماوب  
ولاظم من نكب الرياح معاطف  
فما كان الا ان طوتهم يد الردى  
وكما فى قوله فى المشب .

أرقت على الصبا الطلوع نجم  
كفانى رزه نفس ان تبدى  
ولولا أن يشق على الغواني  
فلم أعدم هناك به شفيما  
غريبة شيب فود ان تراخت  
شنت بمجتلاها النور حتى  
وعفت كراهة للشئ شيئا  
واية شية الا نذير

أسميه مسحة مشيا  
وأعظم منه رزاء أن يغيا  
للاقيت الفتاة به خضيا  
الى أمل ولم أبرح حيبا  
حياتي آل اسوده غريبا  
شنت بمجتلى النور التضييا  
يكون له شيبها أو نسيبا  
وهل طرب وقد مثلت خطيا

ويمدح فلا ينسى جمال الكون ، وفى كل مدحه يميل الى أن يكون  
جميلا فى كلامه وأوصافه ، ولعله لا يقصد الى ذلك ، وإنما هذه هى طبيعته ونوع  
ادراكه . قال

أقد ضحك الصباح بمجتلاه  
وظاهرنى بمفتربنى حسام  
أشيم به سنا برق يمان  
الى جذلان وضاح الحيا  
الى يقظان وقاد العوالى  
يساور منه طورا ليث غاب  
إذا استطرت منه غمام رحى .

وراء الليل عن ثغر شنيب  
أنست به ونعم أخو الغريب  
يخفرنى الى المرعى المصيب  
سلم القلب والصدر الرحيب  
مريش السعى بالرأى المصيب  
ويمسح تارة عطفي أديب  
أو استنصرت فى يوم عصيب

ولقد يجمع كثيراً من الصور والألوان في أبيات قليلة وهو يبدع التصوير  
ويسيل كلامه رقة . كقوله :

وصقيل افرند الشباب بطرفه      سقم وللعضب الحسام ذباب  
يمشى الهوينا نخوة ولربما      أطرته طورا نشوة وشباب  
شقى المحاسن للوضاء ربطة      أبدا عليه وللحياء نقاب  
وبمعطفه للشبيبة منهل      قدشف عنه من القميص سراب  
عبر الخليج سباحة فكأنما      أهوى فشق به السماء شهاب  
تطفو لغوته هناك حبابه      ويموج من ردف ألف عباب

وكل شعرا بن خفاجة من الوجدانيات المملوءة بالصور والخيالات والوصاف  
الدقيقة ، وأكثره خال من الأفكار العامة النفسية والفلسفية والاجتماعية ، فقراءته  
أشبه بالنظر الى الصور الجميلة للتمتع برؤيتها والتسلى ببهجتها .



## ابن سهل

هو ابراهيم بن سهل الاسرائيلي<sup>١</sup> الأشبيلي الشاعر المشهور من أهل القرن السابع الهجري. مات سنة ٦٤٩ هـ بعد أن عاش أربعين عاماً. قالوا انه مات غريقاً مع أحد الولاة. وقد تعلم الأدب واشتغل به على أكابر العلماء، ونبغ في الشعر حتى قالوا عنه انه شاعر أشبيلية وشاحها. وظهر نبوغه في الشعر وهو شاب، وشهد له بذلك كبار الشعراء<sup>٢</sup>. وعلى الرغم من أن العصر الذي عاش فيه ابن سهل كان من أواخر عصور العرب في الأندلس، فإن الشعر كان لا يزال على حاله من الرقي وحب الشعراء وتمجيدهم. بل كانت هذه الايام الأخيرة من أيام عز اللغة ونموها، فقد كثر الافتنان في أنواع الشعر من موشحات وغيرها. بل كانت لا تزال البلاد عامرة بالعلماء من كل نوع. ذلك لأن سقوط دولة العرب لم يسبقه انحطاط في مدينتهم، أو تقهر في حضارتهم، بل سقطت الدولة وهي في عزها وقوة نشاط عقول أبنائها. لان ذلك لم يكن من ضعف فيها أو شيخوخة أدركتها، ولكن

---

١ عن أصحاب التراجم بمقيدته ورووا أنه أسلم في آخر أيامه، وبحثوا في صحة اسلامه ورماء بعضهم بدمم الاخلاص، وقالوا انه كان يتظاهر بالاسلام، حتى قالوا ان تمكن اليهودية من نفسه كان له أثر في شعره وقالوا في ذلك « سئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل فقال لأنه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية » وذلك لاعجابهم بنظامه

وقالوا فيه لما بلغهم غرقه. عاد الدر الى وطنه. ورووا عنه في صحة اسلامه قوله.

تسلية عن موسى بحب محمد هديت ولولا الله ما كنت أمتدى

وما عن قلى قد كان ذاك وانما شريعة موسى عطلت بمحمد

٢ راجع حديثه مع الهيثمي في فوائد الوفيات ج ١ ص ٣٠

عوامل الحقد دبّت في نفوس أهلها فكاد بعضهم لبعض ، حتى خرجت الدولة من يدهم وهم في عز جاههم . وربما كان سقوط الدولة لم يسبقه أى عامل من عوامل التأخر العقلى . لذلك كان عصر بنى هود الذين كان من شعرائهم ابن سهل وعصر بنى الأحمر ، وحتى عصر برابرة أفريقية غاصة بالعلماء والادباء والشعراء ، وكان كلما تقدم الزمن بالدولة ظهرت فيه ثمار العلوم والعقول ، لأنها كانت دائماً نتيجة الجهود السابقة . وارق شعر الاندلس ما جاء بعد القرن الرابع أى بعد زوال دولة بنى أمية ، التى كان عصرها أزهى عصور الحضارة هناك . لذلك يمكن القول بان اللغة العربية فى جملة سيرها لم يدركها انحطاط محسوس فى أثناء القرون الثمانية التى تخطتها فى الأندلس ، سوى ما حصل من المبالغة فى طريقة السجع النثرية . ويمكن أن نقول ان ابن سهل وهو من شعراء القرن السابع ، يشبه غيره من شعراء القرن الثانى والثالث ، وان سير اللغة والأدب فى الأيام الأخيرة مثله فى الأيام الاولى ، بدليل كثرة الشعراء والكتاب المجيدين الذين ظهروا فى تلك الأيام ، ولاننا لا نجد شيئاً من تدهور اللغة فى آخر الدولة .

ولو اننا أردنا أن نتكلم على ابن سهل من حيث تربيته العقلية ، لوجدناه كغيره من الشعراء الذين تهذبت نفوسهم وعقولهم بجهود العقول التى أثمرت قبلهم ، والاطلاع على شعر الشعراء وكتابة الأدباء . وربما نزع آباؤه الى الأندلس منذ زمن بعيد ، ولكنه على كل حال غير عربى الأصل ، نبغ فى بلاغة العرب وشعرهم وتعلم العربية وبرع فيها . وليس شعر ابن سهل الا نتيجة تربية عقلية عربية واسعة واشتغال كبير بلغة العرب ، مما يدل على اندماج غير العرب فيهم والعناية بحفظ لغتهم كما هو معروف فى التاريخ من اشتغال المقهور بلغة القاهر أو تقليد المحكوم الحاكم فى لغته وعلومه ومدنيته

أما شعره فيكاد يكون كله وجدانياً صرفاً ولا تكاد تجد له فى غير الغزل

الا القليل . فهو من الشعراء الذين كانوا يستسلمون الى الاهواء فتقودهم، والى القلوب والخيالات فترشدهم الى الكلام وطرقه. لذلك كان شعره جميلا، ومعايه رائحة شائقة سائلة للنفس ، مع رشاقة في اللفظ ومتانة في الاسلوب، ودقة في التعبير . ذلك لأنه أمعن في هذا الكلام الغزلي حتى أتقنه وبرع في عباراته وكشف مخبآته . وكأنه لم يترك شيئا يجول برأس العاشق أو تتحدث بها نفسه الا ذكره أو وجده في نفسه فتكلم عليه في شعره . وقد خط له بهذا طريقا سلكه ولم يخرج عنه الى طريق آخر . وكأن آراءه في العشق والغزل هي كل ما يعرف وكل ما لديه من طرق التفكير وأساليبها، لانه لم يخرج مطلقا عن هذه الدائرة حتى أتى على آخرها مرات وابتدأها من أولها مرات . ومثله في ذلك مثل من عرف حادثة واحدة من الحوادث فكتبها أولا من أولها الى آخرها، ثم رتبها ترتيبا آخر وكتبها بحيث جعل الاول آخرها والآخر أولا ، ثم كتبها مرة ثالثة بحيث ابتدأها من الوسط وهكذا . فعدم خروجه عن دائرة الغزل ربما يدل على قصور خياله، لان الشاعر الكبير الخيال يرى الف شيء، ويفكر فيما حوله من الموجودات ويعمل على تصويرها وابرازها بشكل جميل . والانسان يرى غير حبيبه ويشعر بغير الحب ، اذ ليس ذلك كل ما في الحياة اللهم الا أن يكون شاعرا متيا مجنونا بحبيبه، غارقا في بحار عشقه لا يرى ولا يعقل غير ذلك . وليست هذه حال ابن سهل لان جنون الحب غير ظاهر في شعره، فانه على الرغم من اقتصاره على تغزله بحبيبه موسى تجده في كلامه ساكنا عاقلا ، ومتعملا للكلام أحيانا . والظاهر ان موسى حبيبه رمز على عشقه ان كان عاشقا عشقا صحيحا، أو ضرب من ضروب الفكاهة والظرف، لانه كأن يهوديا فأراد أن يذكر اسم موسى في شعره ويرمز به عن عشقه، أو لعله اتخذ موسى هذا داعيا من دواعي الشعر فأخذ يتغنى باسمه

أما هذا الاكثار من الغزل والضرب على نغمة واحدة وعدم الخروج عن



هذه الدائرة، فلا يدل إلا على قصور باع الشاعر وضيق الخيال لديه كما قلنا، وأنه ليس شاعراً واسع التصور والخيال

لهذا يكفي لمعرفة شعر ابن سهل أن تقرأ له قصيدة واحدة، فإن كل قصائده تكاد تكون كلها متساوية في المعنى والجودة والأسلوب. وربما ظهرت قيمته في شعره على أثر قراءة قصيدة أو قصيدتين أو ثلاث، وأعجب الإنسان بأسلوبه وبيانه، فإذا أكثر من قراءة شعره انطفاً لهيب هذا الإعجاب شيئاً فشيئاً، ثم أحس القارئ أنه شاعر ككل الشعراء. وسبب ذلك تكرار المعنى الواحد بأسلوب واحد

ولكنه مع هذا كله شاعر مجيد في نوعه، يتغزل فيذكر في غزله كثيراً من معاني العشق المختلفة، فيصف حبيبته بالجمال والكمال، ويصف ألمه ويشكو ويلتذ منه، ويبين كامن عواطفه وما هو في نفسه، ويمعن في ذلك حتى يأتي بشيء من المعاني المبتكرة والخيالات التي له. كقوله:

واني لثوب السقم أجدر لابس	وموسى لثوب الحسن أملح مرتدى
تأمل لظى شوقي وموسى يشبها	تجد خير نأراً عندها خير موقد
دعوه يندب نفسي ويهجر ويجتهد	تروا كيف يعتز الجمال ويعتدى
إذا مارنا شزرا فمن لحظ أحور	وان يلو اعراضاً فصفحة أعيد
وعذب بالي نعم الله بالله	وسهدني لاذاق بلوى التسهد
تطلع واللاحى يلوم فراغى	وكدت وقد أعذرت يسقط في يدى
وناديت لا اذ قال تهوى وانما	رمانى فكانت لا افتتاح التشهد
أيا طيب سكر الحب لولا جنونه	محا لذة النشوان سكر المعربد
شكوت مجازاً للطيب وانما	طيبى سقام من لواحق مبعدى

فقال على التائيس : طيبك حاضر فقلت نعم لوأنه بعض عودى  
وقال شكاً سوء المزاج وانما به سوء بخت من هوى غير مسعد  
بكيت فقال الحسن هزءاً أتشتري بماء جفون ماء ثغر منضد  
وقد يبت شجوه وهواه بعبارات وجدانية صرفة ، ويصف حبيبه بصفات  
جميلة ، ويشبهه بالزهر ، ويقارن بين لحظة في السقم وجسمه في السقم ، ويتدلل في  
السؤال ويتمنى الموت ، لعل حبيبه يزور قبره . وكأنما يريد أن يتسلى بهذا الكلام  
أو يفخر بهذه الصناعة ، أو يثبت لنفسه شيئاً من البراعة في قول الشعر ، لانه يشبه  
في شعره رجلاً متصنعاً لا عاشقاً مخلصاً . حيث يقول :

حكي لحظة في السقم جسمي واغتدى لنا ثالثاً في ذاك ميثاق عهده  
وأركبني طرف الهوى غنج طرفه وأشرقني بالعذب اشراف خده  
وأغرى فؤادي بالاسى روض آسه وأوردني ماء الردى غص ورده  
يعارض قلبي بالخفوق وشاحه ويحكي امتداداً زفرتي ليل صده  
وما المسك خال من هوى خاله وان غدا الند منه مستهما بنده  
وقد يصور يأسه بأشد ما يكون ، ولكن بارق اسلوب وأسهل عبارة، وكأنه  
كلام فطرى لا خيال شعري . كما في قوله :

تدنيك زور الامانى منى وتناى طلابا  
كأننى حين أبغى رضاك أبغى الشبابا  
وأشتهى منك ذنباً أبغى عليه العتابا  
حتى اذا كان ذنب فتحت للعذر بابا  
ظمئت منك لوعد فكان وردى السرابا  
لاخاب سؤلك أما سؤلى لديك نخابا

ولقد يرق في أسلوبه حتى يخيل اليك أن الكلام نثر لا شعر ، وأنه ليس فيه

أدنى كلفة ، وكأنما يغترف الكلام اغترافا . وهو مع ذلك يجيء بالتشبيه الجميل  
والمعنى الرقيق . كقوله :

سَل في الظلام أخاك البدر عن سهرى	تدري النجوم كما تدري الورى خبرى
أبيت أهتف بالشكوى وأشرب من	دمعى وانشق ريا ذكرك العطر
حتى أخيل أنى شارب ثمل	بين الرياض وبين الكاس والوتر
من لى به اختلفت فيه الملاحه اذ	أومت الى غيره إيماء مختصر
معطل فالخلى منه محلاة	ينى الدراري عن التقليد بالدر
بخده لفؤادى نسبة عجب	كلاهما أبدا يدعى من النظر
وخاله نقطة من غنج مقلته	أنى بها الحسن من آياته الكبير
جاءت من العين نحو الخلد زائرة	وراقها الورد فليستغنت عن الصدر
بعض المحاسن يهوى بعضها طربا	تأملوا كيف هام الغنج بالخور

وربما وصف حبيبه بأوصاف الرياض والبساتين ، فتخاله زهرة يانعة غضة ،  
أو غصنا يتحرك ، أو زهرة تتألق . كقوله :

من لى بأن يدنو بعيد مزاره	ظبي طلوع الفجر من أزراره
كالغصن فى حركاته وقوامه	كالظبي فى لحظاته ونفاره
فى الروض منه محاسن ومشابه	فى آسه وبهاره وعراره
فعراره من لحظه وبهاره	من خده والآس نبت عذاره
وعلقته وسمان يلعب بالهوى	كتلاعب الساقى بكأس عقاره

ثم يتكلم عن ذله واعراض حبيبه عنه ، وهو يتمنى قربه منه ويصف ما يصيبه  
من الآلام وما له من الشغف به ، ويعجب من أمره فى ذلك اذ يقول :

يا حسنه لو كان يرحم صبه	وجماله لو كان من زواره
الف التعجنى والبعاد شريعة	فالنجم أقرب من دنو مزاره



أومى الىّ بلحظه فتناثرت      خيالاته فى الخلد من أشفاره  
لما أراق دم المشوق تعمداً      اسود نقط الخلال من أوزاره  
واذا أقول عسى وليت وربما      فقال لا للصب من أخباره  
فانلخد يفرق فى معين دموعه      والقلب يضلّ فى جحيم اواره  
عجباً لضد كيف يآلف ضده      هذا بادمعه وذاك بناره

وقد يذكر اجتماع النقيضين بينه وبين حبيبه ، ويجول خياله فى ذلك جولانا  
يدعو الى الاعجاب بكقوله :

ضللت بالبدر على نوره      والناس يستهدون بالبدر  
أبطل موسى السحر فيما مضى      وجاء موسى اليوم بالسحر  
مستحسن الاوصاف ممنوعها      فلا ترُمه بسوى الفكر  
كالماء فى السحب وكالدرفى الاص      سداف والشادن فى القفر  
لو أنه عنّ لحرورية      القته بين السحر والنحر  
ولو دعا ميتاً بالفاظه      اذاً للباه من القبر  
درّ ثناياه والفاظه      فلقبوه الكوكب الدرّ  
وعوذوه العين بل عوذوا      من عينه الناس هوى يسرى  
كأنما الخلال على خده      سواد قلبي فى لظى الجر  
ومن أحاديثه الغرامية قوله :

أشمس فى غلالة أرجوان      وبدر طالع أم غصن بان  
وتغرما أرى أم نظم در      ولحظ ما حوى أم صارمان  
وخد فيه تفاح وورد      عليه من العقارب حارسان  
ويعذلنى العواذل فيه جهلا      عزيز ما يقول العاذلان  
فقالوا عبد موسى قلت كلا      فقالوا كيف ذا قلت اشتراى

فقالوا هل عليك بذا ظهير	فقلت نعم علىّ وشاهدان
فقالوا هل رضيت تكون عبدا	لقد عرضت نفسك للهوان
فقلت نعم أنا عبد ذليل	لن أهوى نفلوني وشاني
بنفسي من يفديني بنفس	جملت فداء لما ان فدائي
سألتك حاجة أن تقضها لي	فقال نعم قضيت وحاجتان
فقلت أشم من خديك وردا	فقال وما تضم الوجنتان
فقلت أخاف صدغك أن يراني	وما أنا من لحاظك في أمان
فقال أعاشق ويخاف رميا	جبت وما عهدتك بالجبان
كذاك الصب يعذر كل صب	تحكم ما تشاء وفي ضمائي
فكان تحكما لا وزر فيه	أيكثبه علىّ الكاتبان
أديرا الراح ويحكما سلافا	فان دارت علىّ فعاطيان

وله كلام جميل في الوصف يدل على إبه كان يحب الجمال ويفهمه ، وانه كان للرياض وما بها أثر في نفسه ، وان الألوان كانت تحرك اعجابه ، وان مياه الأنهار وضوء الشمس والطيور والجو وما فيه هذبت من خياله . كقوله :

الارض قد لبست رداء أخضرا	والطل ينثر في ربها جوهرا
هاجت نخلت الزهر كافورا بها	وحسبت فيها التبر مسكا أذفرا
وكأن سوسنها يصفح وردها	ثغرا يقبل منه وردا أحمر
والنهر ما بين الرياض تمخاله	سيفا تعلق في نجاد أخضرا
وجرت بصفحتها الربا فحسبتها	كفا ينمق في الصحيفة أسطرا
وكأنه اذ لاح ناصع فضة	جعلته كف الشمس تبرا أصفرا
والطير قد قامت به خطباؤه	لم تتخذ الا الاراكة منبرا

وقال أيضا يصف :

أنظر الى لون الأصيل كأنه      لا شك لون مودع لفراق  
والشمس تنظر نحوه مصفرة      قد خمشت خدا من الاشفاق  
لاقت بحمرتها الخليج فالفا      خجل الصبا ومدامع العشاق  
سقطت أوان غروبها محمرة      كالكأس خرت من أنامل ساق

وقال في الوصف أيضا :

شفق وشته خضرة في حمرة      فكأنه خد الحبيب معرضا  
والشمس تنظر نحوه مصفرة      قد شمست ذيل الوداع لتنهضا  
كالصباحين رأى عذار حبيبه      لما بدا فسلا وولى معرضا

وله في وصف الخمر كلام رقيق يشبه كلامه في الوصف . كقوله :

سبل الكأس تزهو بين صبغ واشراق      أذوب فيها الورد أم وجنة الساق  
كؤوس تحيها النفوس كأنها      حديث تلاق في مسامع عشاق  
إذا قتلوها بالمزاج ليشربوا      عاشوا مناهم بين موت واخلاق  
تشور كأن الماء يلسع صرفها      فصوت المغنى مثل هينة الراق  
وله موشحات سند كرها في بابها

هذه صورته ابن سهل ، وهي صورة شاعر وصاف يجيد الوصف ، وغازل يجيد

الغزل ، ووجداني لا يخرج عن دائرة وجدانه ، ومصور بارع لما يرى ويسمع  
قليل الآراء ، قاصر الخيال ، لكنه مبدع في الأسلوب ، متقن في الكلام ، لا يشعر  
الانسان بادنى ملل في قراءة كلامه وهو في كل ذلك خفيف الروح مطرب معجب ،  
وكفى بذلك دليلا على جمال قوله ونصيبه في الافتنان .





## الفتح بن خاقان<sup>(١)</sup>

إذا تكلمنا عن الفتح بن خاقان فإنما نتكلم عن كتبه التي ذكر فيها كثيراً من علماء الأندلس وأدبائهم ، وجمع فيها جملة صالحة من منظومهم ومنثورهم ، وشيئاً يسيراً من أخبارهم . وهي «قلائد المقيان» و«مطمح الأنفس» . وقد دل ابن خاقان في كتبه على سعة اطلاعه ، وكثرة أدبه ، ومعرفته التامة برجال الأدب في الأندلس ، مما لم يكن متيسراً لغيره . حتى ان أكبر كتب الأدب في الأندلس كثيراً ما تنقل عنه . فقد نقل عنه المقرئ في نفح الطيب وذكره في أكثر من ستين موضعاً . ومع انه كان معاصراً لابن بسام صاحب الذخيرة فقد نقل عنه هذا في كتابه . فكتبه من أمهات كتب الأدب في الأندلس . أما طريقته في الجمع والتأليف ، فهي خالية من كل صبغة تاريخية علمية ، من

---

١ هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي الأشبيلي صاحب قلائد المقيان . نشأ في الأندلس ودخل الى بلاد المغرب واتصل بملوكها وكتب لبني تاشفين وألف كتابه «قلائد المقيان» لابن اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وصدره باسمه . ثم حدث أن وشى به من وشى ونالت منه الاعداء ، فأشار أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين بقتله فذبح بمدينة مراکش بالفندق سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . وقد كان مشهوراً بالخلاعة والمجون ، حتى أخذوا عليه ذلك وعرف بما لا يليق به . ولعل هذا من الأسباب التي جعلت ملوك البرابرة يحقدون عليه حتى قتلوه . وكان جواباً للآفاق ينتقل من مكان الى آخر ، ولم يعرف عنه شيء كثير في كتب التراجم . ولم نجد له ذكراً الا في ابن خلكان ذكره في نحو نصف صفحة . ولم يذكره المقرئ في نفح الطيب بغير الاقتباس من كلامه في المطمح وغيره . على أن الفتح بن خاقان لا ينبغي ذكره بما له من الفضل ، وما أفاض به على الأدباء بكتبه قلائد المقيان ومطمح الأنفس . ولا شك في أن هذه الكتب من أنفع ما كتب عن الأندلس

حيث التحقيق والتدقيق في الرواية والجمع. بل هي طريقة الرواية والحفظ لا غير .  
لان ما رواه كان معروفا ومشتتا فجميعه هو في كتابيه ، كما أشار الى ذلك في خطبة  
كتابه مطمح الأنفس<sup>١</sup>

نقل أخبار العلماء والادباء كما كان معروفا عنهم . وقد ينقل الخبر  
بدون أى تصرف فيه ، سوى وضعه في قالب معروف له . وإنما يعنى بتحسين  
العبارة وتسجيلها ، وجمع الألفاظ ورصفها ، مما لا يقدر عليه كل انسان . فيترجم  
الكاتب أو الأديب ، وهو في أكثر ما يقول مادح لا غير ، وكأنما هو ناقل  
للفضائل لا يرى غيرها . ولقد يذكر لك الرجل فلا تعرف في أى سنة كان  
يعيش ، ولا في أى عصر كان معروفا . وربما ذكر معه أسماء لبعض الادباء أو  
العلماء ، وربما لم يشر الى تاريخ ما للعالم أو الأديب على ماله من الشهرة. ولعله كان  
يعتمد على شهرته ويكتفى بها عن ذكر تاريخه كما في كلامه على ابن حزم الظاهري<sup>٢</sup>  
وفي هذه الترجمة من التقصير شيء كثير . فانه لم يذكر ابن حزم الا بذكر  
كتبه بدون أى اشارة الى محتوياتها . ولم يذكر شيئا عن تاريخ حياته ، حتى  
يمكن أن يعرف معرفة تامة ، أو معرفة صحيحة . وليس لهذه الترجمة شيء من  
القيمة العلمية ، لانها لا تفيد شيئا عن ابن حزم . وهذا يدل على ان ابن خاقان  
لم يكن يعنى بما يكتب عناية رجل محقق ، ولا عناية رجل يشعر بالواجب عليه ،  
ذلك الواجب على كل مؤلف أو باحث من حيث الاطلاع والتنقيب عما يريد

---

١ قال : انه كان بالاندلس أعلام فتوا بسحر الكلام ، ولقوامه كل تحية وسلام ، فشعشعوا البدائع  
وروقوها ، وقلدوها بمحاسنهم وطوقوها ، ثم هودوا في مهاوى المنايا ، وانطوا بأيدي الرزايا ،  
وبقيت ما آثرهم غير مثبتة في ديوان ، ولا جملة في تصنيف أحد من الأعيان ، تجتلى فيه  
الميون وتجتنى منه زهر الفنون ، الى أن أراد الله اظهار اعجازها... خللت من الوزير ابى  
الماص . . . . . وندبني الى أن أجمعها في كتاب... فاجيت رغبة الخ  
٢ أنظر المطمح صفحه ٥٥



أن يكتب. والظاهر انه كان يرمى الى الجمع فقط ، بل لم يكن يميل مطلقا الى النقد ولا الى أن يكون له رأى خاص

ومها قيل من ان الناقل يحب أن يكون أمينا ، وليس عليه تبعه شيء في النقل ، فان النقل يحتاج الى تمحيص وفكر ثابت ، لتمييز الصحيح من غيره . والفكر النقدي يظهر أثره في كل شيء . ولكن لم يظهر لصاحب قلائد العقيان أى أثر سوى الأسلوب . ليس لنا أن نلومه على أسلوب السجع الذى أكثره متكلف ، لان هذه كانت حالة الكتابة هناك ، وهكذا كانوا يكتبون . ولكن الذى تأخذه على صاحب قلائد العقيان هو هذا الأسلوب الاجوف ، وهذه العبارات المنتفخة الفارغة من كل معنى ، وان احتوى على معنى من المعانى اختفى ذلك تحت ستار الألفاظ الطنانة ، وذهبت جدّة اللفظ بتدقيق المعنى ، واشتغل القارئ بصورة الألفاظ عن العناية بما فيها من المعانى . فلقد يشير فى كلامه الى بعض الناس ، بما يدل على شيء من أخلاقهم ، ويفيد القارئ والباحث ، ولكن عنايته بالألفاظ وتناسق السجع ، قد يكون حاجزا منيعا بين القارئ ومعانى المؤلف ، كما فى ترجمة سعيد بن منذر البلوطى ، وهى من التراجم الوافية فى المطمح ومن نماذج كتاباته<sup>١</sup>

---

١ قال فيه أية حركة فى سكون ، وبركه لم تكن معدة ولا تكون . وآية سفاهة فى تحلم ، وجهامة ورع فى طمى تبسم واذا جد تجرد واذا هزل نزل ، وفى كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب ، ولا اكتسبائما ولا احتقب . ولى قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن وناهيك من عدل أظهر . ومن فضل أشهر ، ومن جور قبض ، ومن حق رفع ، ومن باطل خفض . وكان مهيباً طيباً صارماً غير جبان ولا عاجز . واستمر فى القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فأقره وفى خلافته تولى بعد أن استعفى مراراً فما أعفى فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ، ولا عدت عليه فى حكومته ذلة . وكان غزير العلم كثير الأدب متكلماً بالحق متيناً بالصدق . له كتب مؤلفة فى السنة والقرآن والورع والرد على أهل الأهواء والبدع . وكان بليغاً وشاعراً محسناً ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين عند ولاية المنذر بن محمد وتوفى يوم الخميس ليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة . (مطمح صفحة ٣٧)

على ان ابن خاقان أجاد في أساليب السجع اجماعة قد تنقل الكلام المنثور الى مرتبة الشعر المتعمل ، فيستولى بأسلوبه هذا على القراء لبراعته فيه ، ولأثره الشخصي في هذه الصناعة ، وقدرته على الاسترسال في ذلك ، مع ما فيها من كثرة المترادفات .

على أن هذه الصناعة اللفظية كان لها أثر عظيم في نفسه من حيث ادراك الجمال في القول ، والبحث عن مواقفه . فكان يرتفع أحيانا بعباراته الى أن تدب في النفس وتملاها إعجابا ، وتذكر القارئ بأثر جمال الألوان والرياح والزهور ، كما في خطبة قلائد العقيان

ولقد يتكلف في غير حاجة سوى تمكن ملكة التكلف من نفسه فيهبوش على القارئ ، كما في ترجمة ابن عيشون . فان ترجمته لهذا الرجل لا يعرف منها شيء غير رحلته الى المشرق ، ولكن أين ومتى ؟ وكأنما كان يكتب لمن يعرف الحوادث مثله ، فقد قال فيه : « رجل حل المشيدات والبلاقع ، وحكي السريرين الطائر والواقع ، واستدر خيلى البؤس والنعيم ، وقعد مقعد البائس والزعيم ، فأوثة في سباط ، وأخرى بين درانك وأنماط ، ويوماً في ناموس ، وآخر في مجلس مأنوس . رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ، ولم يعلق بأمل فحلته ، فارتد على عقبه ، ورد من حباله الفوت الى منتظره ومرقبه ، ومع هذا فله تحقق في الأدب ، وتدفق طبع اذا مدح أو نسب<sup>١</sup> »

هذا هو أسلوب الفتحة في التأليف والكتابة ، وهو على ما فيه من الآثار

---

١ وقال أخبرني أنه دخل مصر وهو سار في ظلم البوس عار من كل لبوس ، قد خلا من النقد كيسه ، وتغلى عنه الا تقديره وتنكيسه ، فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الا نكده ، ولا يتوسد الا عضده ، وبات بليلة ابن عبدل تهب عليه صرصرة لا ينفع منها عنبر . ولا صندل لما كان من السحر ، دخل عليه ابن الطوفان فأشفق لحاله ، وفرط بحاله وأعلمه أن الأفضل استدعاءه ، ولوارتاد جوده بقطعة يفتنيها له لا خصب مرعاه . فنصف له في حينه الخ (قلائد العقيان ص ٢٨٨)

النافعة لأدب الأندلس ، ومن صور اللغة العربية الدالة على أطورها في النثر ،  
وعلى تمكن أساليب السجع من الكتاب في تلك الأيام ، وعلى ما فيه من الجمال  
وبلاغة العبارة وعلى شيء من النظام العقلي لديهم ، لا يدل على شيء من  
قوة الفكر لدى الكتاب الأدباء ، بل على أن اللغة في عزمجدها كانت غنية  
بالفاظها لا بمعانيها ، وأن العناية بالأساليب سرت من المشرق الى المغرب ،  
فلكت من الكتاب كل شيء . وقد دخل هذا الأسلوب في الكتب العلمية  
والتاريخية ، كما هو معروف ، ودل كتاب العرب على قدرتهم في استعمال الأساليب  
المختلفة والألفاظ المختارة مما ليس عند أمة أخرى

على أن فضل الفتح بن خاقان لا ينبغي ولا ينكر بما جمعه في كتبه مما ليس

عند غيره





## لسان الدين بن الخطيب

هو من أكبر وجوه العلم والأدب في آخر عصور العرب في الأندلس ، بل من أشهر من عرف هناك . وهو أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب الغرناطي الأندلسي . تنقلت أسرته في كثير من بلاد الأندلس واستقر أبوه في غرناطة . وهناك ولد لسان الدين وعرف واشتهر في بلاد المغرب بابن الخطيب السلماني . نشأ من بيت علم وفضل ، وتربى على حب العلم ، وورث من أبيه كثيراً من ذلك . وكان معجباً به وبعلمه وأدبه وأخلاقه !

ولد لسان الدين بمدينة غرناطة سنة ٧١٣ هـ واتصل أبوه بملوك بني الأحمر وكان له شأن عظيم حين كانت غرناطة حافلة بالعلم وأهله من كل فن . فشب لسان الدين بين هؤلاء العلماء ، وانقطع إلى أفاضلهم وأخذ عنهم العلوم والآداب ، وكان من بين مشايخه الفلاسفة والأدباء والأطباء . تعلم الطب على أشهر علماء الأندلس وفلاسفتها في هذا العصر ، وبرع فيه وألف فيه كتاباً سماه « الأصول لحفظ الصحة في الفضول » عده هو نفسه من أحدث طراز في ذلك الفن فقال « العجب

---

١ فقد قال عنه كان رحمه الله تعالى زمر عزم ، ورجل أخاء وأزم تروقي أنوار خلاله الباهرة ، وتضيء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة والظاهرة ، ذكاء يتوقد ، وطلاقة يحسد ؛ وردها الفرقد ، وكانت له في الأدب فريضة ، وفي النادرة العذبة منادم عريضة ، تكلمت يوماً بين يديه في مسائل من الطب وأنشدته أبياتاً من شعري ، فتهلل وابتهج ، وما برح أن ارتجل :  
الطب والشعر والكتابة سماتنا في بني النجاسة  
هن ثلاث مبلغات مراتبا بعضها الحجابة

حتى مع تأليف هذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى الطب وعلى ذلك لا أقدر على مداواة داء الأرق الذى بى « ومهما يكن من المبالغة فى كلامه فانه يؤخذ منه انه كان من علماء هذا الفن . وقد ألف كتباً أخرى فى ذلك . فكانت معلوماته متوافرة فى الفلسفة والطب ، وامتزج بالأدباء والفقهاء وأخذ عنهم علوم الدين من تفسير وحديث وفقه ، وتعلم العلوم العربية جميعها فكان عالماً وأديباً

هذه التربية العلمية الأدبية المعزوجة بميله للعلوم والفنون وهبته نشاطاً عقلياً فكان من المؤلفين المشهورين ، كثير الدرس والقراءة . ورسائله الأدبية ومقطوعاته الشعرية كثيرة جداً . حتى قالوا انه كان يؤلف كل هذه الكتب لأنه كان يارق كثيراً

وقد اغترف من كل بحر قطرة ، وكتب فى كثير من الفنون المختلفة بين علمية وأدبية ، واطلع على أكثر ما كتب فى العلوم والفنون ، ولا سيما كتب التاريخ ويحسبه بعض العلماء من المؤرخين الكبار . فكان عقله خزانة علوم وآداب . وكان عالماً وفقهاً وشاعراً وكاتباً ، ولكنه لم يختص بفن ولم يتفوق فى شيء تفوقه فى الأدب ، حتى كان من أئمه . ورسائله كثيرة فى الجزء الثالث والرابع من نفع الطبيب<sup>١</sup>

لذلك كانت الصبغة الأدبية عليه أظهر ، والكتابة والشعر الصق به من غيرها ، فأجدر به أن يسمى أديباً لا عالماً . ولذلك أيضاً كتب فى كل نوع من أنواع الكتابة رسائل أدبية وسياسية وغيرها ، وهو فى كل ذلك واسع الخيال سديد الرأى ، حاد اللسان ، قادر على الاسترسال فيما يقول ، كثير الاطلاع على اللغة . فساعده هذا كله على الاطالة فيما يكتب ويفكر ، وكان يحب الاطناب بطبيعته

---

١ اكتفينا بالإشارة الى رسائل لسان الدين والى شعره لأن ذلك كثير يدعو الى الحيرة فى الاختيار فعلى القارئ أن يرجع الى الجزء الثالث والرابع من نفع الطبيب



فاندفع وراء ذلك ، وهو مثلوج الصدر ، يعرض عليه خياله وفكره المعاني والألفاظ ، فلا يكاد يقف قلمه الا بعد أن يملأ من الفكر الصغير صفحات كبيرة . وكان قدر الكتابة عنده في الاكثار لا في الاجادة ، أو ان الاجادة كانت لا تفارق الاطالة لديه . وهذا كان أسلوب الكتاب في تلك الأيام . وكان يختار بجانب الاطالة السجع ، فكانت كتاباته لا تخلو من ملايين : ملل الاطالة وملل السجع . وربما كان أعظم عيب في أسلوب ابن الخطيب تلك الاطالة المملة ، والسجع المشكك . غير ان ملل الاطالة أسوأ من تكلف السجع . لذلك كثيرا ما يخفى عيب السجع لاختيار الكاتب الألفاظ . وهذه الطريقة دليل على انحطاط أسلوب النثر ، لان طريقة السجع ليست طبيعية ، ولسان الدين كان من أكبر رجال هذه الصناعة ، وربما انفرد بالمبالغة فيها . ويكفي هذا الأسلوب مقنناً أنه لا يقدر على قراءته كل انسان ، وانه لا يعيش الا في بطون الكتب ، ولا يصح أن يكون نموذجاً من نماذج اللغة الا للاستدلال على سيرها في أزمنة التاريخ .

ولكن ذلك لا يدفعنا الى جحود ما في هذه الرسائل من المعاني والأفكار الصحيحة ، أو من الشعور بان الكاتب يميل الى موضوعات كثيرة اجتماعية لم يطرقها كثير من الكتاب ، ككلامه في وصف المجالس والمحافل والمدن بالأوصاف الحقيقية ، والأسلوب القصصي الذي يسموه بالمقامات

أما شعره فكثير أيضاً ، وأكثره يدل على انه شعر رجل عالم من عشاق الشعر لا من رجاله الفنيين . وله قصائد طويلة تدل على سعة خياله ، أفضلها في ذلك موشحته الشهيرة التي أبدع فيها . وهي من أرق الشعر وأجمله . وقد طرق في شعره كثيراً من الموضوعات المختلفة والأساليب المتعددة ، فتجد الشعر الغزلي الرقيق ، والأسلوب الدقيق ، وتجد شعر الفقهاء ، وكلام الاتقياء ، وأسلوب

---

١ راجع هذه الموشحة والكلام عليها في باب الموشحات

العلماء ، وجفاف اللفظ والمعنى . على ان له كثيرا من القصائد الجميلة والمقطوعات الرقيقة .

أما حياته السياسية فقد اتصل بأحد ملوك بني الأحمر السلطان أبي الحجاج يوسف فأخذه في حاشيته ، وفي مقدمة كتّابه . ثم جعله كاتبه الخاص وسلم اليه الوزارة وأمر الدولة وجعله سفيراً بينه وبين الملوك الآخرين . فكان اشتغاله بالسياسة من الأشياء التي فتحت عليه باب الكتابة في كثير من الموضوعات الاجتماعية والسياسية، على حسب ما كان يعلمه وما كان معروفاً في ذلك الوقت. ولما مات أبو الحجاج خلفه ابنه محمد بن أبي الحجاج، فأقره على مكانه وأرسله الى ملوك افريقية ليستنجد بهم على أعدائه . وكانت الدولة في ذلك الوقت في اضطراب والناس بين مظلوم وظالم، وخارج على السلطان ومتعلق له، وكل ذي نعمة محسود . ففسد لسان الدين . كثير من معاصريه وسعوا في الإيقاع به . وكان قد خرج على محمد بن أبي الحجاج أخوه وتغلب عليه، فهرب ومعه ابن الخطيب ثم حوصر، وقبض على لسان الدين ، واستباح السلطان كل أموالهما. ثم شفع لهما سلطان المغرب. وأتى بهما الى فاس وأكرمهما . فجاء لسان الدين في تلك البلاد، وانتقل الى أماكن كثيرة واستقر هناك . ولما رجع الملك الى محمد بن أبي الحجاج عاد الى الأندلس وكان استكتب أبو محمد هذا في غيبة لسان الدين ابن زمرك ، أحد مشهورى الكتاب والعلماء ، ومن أكبر وأشهر تلاميذ لسان الدين . فتولى ابن زمرك ديوان الكتابة والتفحوله جماعة من الفقهاء والعلماء الذين كانوا يحقدون على لسان الدين ، لانه ظهر عليهم وملك الدولة منهم . فأرادوا أن يتخلصوا منه ويأخذوا الأمر بيدهم . فأخذوا في بث الدسائس وايفار السلطان عليه ، ولكن عند ما رجع لسان الدين الى الأندلس ارتفع شأنه ، وعرفه الناس في غيبته أكثر من معرفتهم له في حضرته . فحقد عليه تلميذه ابن زمرك ثانية، وأخذ عليه الفقهاء أشياء ينكرونها

وكانت العقول في ذلك الوقت ميالة الى الانحطاط ، لان البرابرة بثوا أفكارهم السخيفة التي كانوا ينشرونها بجهلهم ، ونشروا كراهة العلوم الطبيعية والفلسفية . فأشاع ابن زمرك عن لسان الدين انه كافر مارق ، وانه جاء في كتبه بكثير من المسائل التي لا يبيحها الدين . فراجت هذه الوشائات عند السلطان وأثارت غضبه ولما علم لسان الدين بذلك ، وعرف انه لا بد أن يُنال منه ، عزم على الهرب الى افريقية بدعوى انه ذاهب في أمور تتعلق بالملكة . ولكن عند ما ذهب الى افريقية اتفق ملك المغرب على تسلمه لابن الأحمر ، فسجن في فاس وأقنى الفقهاء بقتله ، وودسوا عليه أحد القواد نخنقه في سجنه ودفن في فاس ثم أخرجت جثته وأحرقت بالنار سنة ٧٧٦ هـ وهكذا انتهت حياة لسان الدين بن الخطيب بعد أن ملأ الجو علماً وفضلاً وذاعت شهرته في المشرق والمغرب حتى كان أشبه بالجاحظ في تأليفه من حيث اطلاعه الواسع وفضله الجم





## الموشحات<sup>(١)</sup>

بقى الشعر تابعاً لطريقة العرب في أغراضه وأوزانه ، الى أن حدث في العقول مادعاها الى الابتكار في العلوم والفنون . وكان الشعر من أقرب الأشياء الى الألسنة ، وأكثرها انتشاراً في المجالس ، وأدعى الى الانتقال من غيره ، لكثرة قائله وسامعيه والمتأثرين به ، واشتماله على كل مرافق الحياة . فتطلعت نفوس الفنين من شعراء وأدباء الى الانتقال به من صبغته البدوية الى شكل حضري أشبه بالبدابة في الجمال ، وان يزجوا به في مجتمعاتهم حتى يجاروا به القدماء في إلهاماتهم الجميلة وفطرتهم النقية ، وسذاجتهم الفنية . فلم يفلحوا كثيراً في الخروج به عن أغراضه التي تكلم فيها القدماء ، مما هو ألصق بالصيغة الوجدانية منه بالصيغة الاجتماعية . ولكنهم زادوا في وجدانياته مما استدعته الحضارة ، من التوسع في الخريات والعواطف من عشق وغيره ، ووصف المناظر الجميلة والحدائق النضرة ، وكل ما استلزمته حالتهم من آثار المدنية والعمران . ذلك من جهة أغراضه .

---

١ راجع في الكلام على الموشحات مقدمة ابن خلدون والجزء الرابع من نفح الطيب طبع بولاق ص ٦٠٦ وما بعدها ودار الطراز لابن سناء الملك

Journal Asiatique. 1848. volume 2 page 248-251 et 3e. Serie volume 8 page. 155

والباب الثاني والسبعين من كتاب « المستطرف » تأليف شهاب الدين أحمد الأبهى . والجزء الاول من « خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر » تأليف المولى محمد المحبى من ص ١٠٨ الى ١١٠ وجاء في كشف الظنون طبع بولاق ج ١ ص ٣٦٧ « الدر المكنون في سبع فنون » لمحمد بن أحمد بن الياس الحنفى . رتب على سبعة أبواب في فن الاشعار البديعة وفن الموشحات والمواليا وفن الكاز وفن القوافي وفن الازجال . والخاتمة فيما قيل في الحاق . أوله الحمد لله البديع فرغ في رجب سنة ٩١٢ ولم نثر على هذا الكتاب

أما من جهة أوزانه وصناعته ، فقد كانت الحال فيه أسهل . فابتكروا من الأوزان في الشعر والصناعة ما لم يبتكروه في المعاني والأغراض . وتوسعوا في ذلك حتى لقد يخيّل الى المطلع على الشعر العربي القديم والحديث أن هذا انقلاب عظيم ، وطور من الأطوار الحديثة التي تخطاها الشعر . ولكن ذلك أظهر ما يكون في الأوزان والقوافي ، والقوانين التي وضعوها في رقة الأسلوب ، وبعض الخيالات التي لم تكن معروفة . حتى أخذ الشعر العربي صبغة حديثة بما أدخل فيه من هذه الأنواع المختلفة الأوزان والتقاطيع ، الجارية على غير ما كان معروفاً فيه ، وخرجوا عن التقيد بنظام القوافي المعروف . قال ابن خلدون في « فصل أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد » : ولم فن آخر كثير التداول في نظمهم ، يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء ، يخالف آخرها الثلاثة في رويته ، ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة ، تشبيهاً بالمربع والخمس الذي أحدثه المتأخرون من المولدين الخ .

وقسم بعض المتأخرين الأنواع التي حدثت في الشعر ، الى الشعر القريض والموشح والدُّوييت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما وغيرها وقالوا في ذلك :

« أول من نظم » الموشح « المغاربة ، وهذبه القاضي الاجل هبة الله بن سناء الملك » . وتداوله الناس الى الآن . وسعى موشحاً لان خرجاته وأغصانه كالوشاح له . وسبب تقدمه على ما بعده لاعرابه كالشعر . لكن يخالفه بكثرة أوزانه ، وثارة يوافق أوزان الشعر وثارة يخالفه . « والدوييت » أول من اخترعه الفرس ونظموه بلغتهم ومعناه بيتان ، ويقال له الرباعي لأربعة مصاريحه . وقد اشتهر بأعجام داله وهو تصحيف . وهو ثلاثة أقسام يكون بأربع قواف كالموالية ، وأعرج بثلاث قواف ، ومردوفاً بأربع أيضاً ، وكله على وزن واحد . وتقدم على ما بعده لاعرابه أيضاً . وأول من اخترع « الزجل » رجل اسمه راشد وقيل



أبو بكر قُزَمان<sup>١</sup> وهو في اللغة الصوت ، وسمى زجلا لأنه يلتذ به ويفهم مقاطيع أوزانه ولزوم قوافيه حتى ينفي به ويصوت . وهو خمسة أقسام ما تضمن الغزل والزهر والخمر وحكاية الحال ، يختص بالزجل ، وما تضمن الهزل والخلاعة ويقال له « بليق » وما تضمن الهجو والنكت ويقال له « حَاق » وما بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فاسمه « مَزِيلَج » وما تضمن الحكم والمواعظ فاسمه « المُكْفَر » بكسر الفاء المشددة . والأول أصعب هذه الخمسة . وقال مخترعه قُزَمان : « لقد جردته من الاعراب كما يجرد السيف من القراب » . وسبب تقدمه على ما بعده كثرة أوزانه وصعوبة نظمه وقربه من الموشح في أغصانه وخرجاته . وأول من اخترع « المواليا » أهل واسط وهو من بحر البسيط ، اقتطعوا منه بيتين وقفوا شطر كل بيت بقافية ، ونظموا فيه الغزل والمدح وسائر الصنائع على قاعدة القريض . وكان سهل التناول تعلمه عبيدهم والغلمان وصاروا يغنون به في رؤوس النخل وعل سقى المياه ، ويقولون في آخر كل صوت يامواليا ، إشارة إلى ساداتهم ، فسمى بهذا الاسم . ولم يزل على هذا الأسلوب حتى استعمله البغداديون فلففوه حتى عرف بهم دون مخترعه ، ثم شاع . وسبب تقدمه على كل ما بعده لأنه من بحر القريض بحيث ينظم معربا على قاعدته . وأما « الكان وكان » فله نظم واحد وقافية واحدة ، ولكن الشطر الأول من البيت أطول من الثاني ، ولا تكون قافيته إلا مردوفة . وأول من اخترعه البغداديون ، وسبب تسميته بهذا الاسم أنهم لم ينظموا فيه سوى الحكايات والخرافات . فكان قائله يحكي ما كان ، إلى أن ظهر لهم مثل الامام ابن الجوزي ، والواعظ شمس الدين الكوفي وغيرهما من فضلاء بغداد فنظموا فيه المواعظ والحكم . وسبب تقدمه على ما بعده لأنه ينظم بعض ألفاظه

١ الصواب انه ابن قُزَمان وهو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قُزَمان تولى سنة ٥٥٥ هـ له ديوان مخطوط في عاصمة روسيا يشتمل على أزجاله منه نسخة فتغرافية بدار الكتب المصرية وراجع في الكلام عليه

معربة . وأما « القوما » فله وزن ، الأول مركب من أربعة أفعال ، ثلاثة متوازية في الوزن والقافية ، والرابع أطول منها وزناً ، وهو مهمل بغير قافية ، والثاني من ثلاثة أفعال مختلفة الوزن متفقة القافية ، يكون القفل الأول منها أقصر من الثاني ، والثاني أقصر من الثالث . وأول من اخترعه البغداديون أيضاً في الدولة العباسية برسم السحور في رمضان . وسمى بهذا الاسم من قول المغنيين بعضهم لبعض « قوما لنسحر قوما » فغلب عليه هذا الاسم . ثم شاع ونظموا فيه الزهري والخرى والعتاب وسائر الأنواع . وأول من اخترعه أبو نقطة للخليفة الناصر ، وكان يعجبه ويطرب له . وجعل لأبي نقطة عليه وظيفة في كل سنة . ولما توفي أبو نقطة كان له ولد صغير ماهر في نظم القوما ، فأراد أن يعرف الخليفة بموت والده ليجزيه على مفروضه ، فتعذر عليه ذلك إلى رمضان . ثم جمع أتباع والده ووقف أول ليلة منه تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق ، فأصغى الخليفة وطرب له . فلما أراد أن ينصرف قال له :

يا سيد السادات لك بالكرم عادات

أنا ابن أبي نقطة تعيش أبي قد مات

فأعجب الخليفة من هذا الاختصار ، فأحضره وخلع عليه وجعل له ضعف ما كان لأبيه والقوما والكان وكان لا يعرفها سوى أهل العراق وربما تكلف غيرهم نظمها . وكل بيت من القوما قائم بنفسه وأما تأخيرها فلم يدم إعرابه<sup>١</sup> . واشتهر من هذه الأنواع في الأندلس ما هو معروف « بالموشحات »<sup>٢</sup> وأصل

١ راجع خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ج ١ ص ١٠٨

٢ قالوا في مخترع هذه الموشحات انه مقدم بن ماني الفريري ؟ من شعراء الأمير عبد الله ابن محمد المرواني وأخذ عنه عبد الله احمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد . هكذا في مقدمة ابن خلدون . وجاء في الذخيرة في الكلام على الأديب ابى بكر عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة ٤٢٢ هـ ... سلك الى الشعر مسلكا سهلا . فقالت له غرابته مرحباً وأهلاً ، وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقها ، ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا منادها . وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس الا منه ، ولا



الكلمة من الوشاح، وهو عقد من لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما مطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، والشبه بين الموشحات والوشاح ظاهر في اختلاف الوزن والقافية في الأبيات وجمعها في كلام واحد كما سنرى .

وقد دعاهم الى ذلك حب الابتكار والميل الى الجمال والرفاهية حتى في أوزان الشعر وطرقه . فمزجوا بين الأوزان المختلفة والقوافي المتعددة في قصيدة واحدة . وربما ألفوا بين وزن مخترع ووزن معروف . وربما اخترعوا أوزانا مختلفة ونظموا عليها قصيدة واحدة . وقد يلحنون كلامهم هذا ويفنون به ، لما فيه من خفة الوزن ورقة اللفظ . وقد ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته فقال :<sup>١</sup>

«وأما أهل الاندلس فلما كثرت الشعر في قعرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التتميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح، ينظمونه أسماطاً أسماطاً، وأغصاناً أغصاناً . يكثر من منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما يمد الى آخر القطعة. وأكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدجون كما يفعل في القصائد. ويتجاوزون في ذلك الى الغاية، واستظرفه الناس وجمة الخاصة

---

أخذت الالعنه وأول من صنع أوزان هذه الموشحات باقتنائها بلغنى محمد بن حمود العمري الضرير وكان يضعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهمة غير المستعملة يأخذ اللفظ الماسي والعجمي فيسيه المركز . ويضع عليها الموشحة دون تغيير فيها ولا أغصان وقيل ان ابن عبد ربه صاحب العقد أول من سبق الى هذا النوع من الموشحات

ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة ، فاستمر على ذلك شعراء عصره كسكرم ابن سعيد وابن أبي الحسن . ثم نشأ عبادة فأحدث التصغير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في الأغصان فيضعها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز

١ اخترنا نقل عبارة ابن خلدون في الموشحات لأنها من أجبع ما قيل فيها وقد أخذنا هذا عن نفع الطيب عند كلامه على الموشحات



والكافة لسهولة تناوله ، وقرب طريقه . وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم  
ابن معافر الفريرى القبرى 'من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، وأخذ عنه ذلك  
ابن عبد ربه صاحب العقد ، ولم يذكر لهما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما  
فكان أول من برع فى هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صامح  
صاحب المرية . وقد ذكر الأعم البطلوسى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول كل  
الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بدرتم	شمس ضعى	نصن نقا	مسك شم
ما أنم	ما أوضحا	ما أورقا	ما أنم
لا جرم	من لحا	قد عشقا	قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا فى زمان ملوك  
الطوائف . وجاء مصليا خلفه منهم ابن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون  
صاحب طليطلة . قالوا وقد أحسن فى ابتدائه فى الموشحة التى طارت له حيث يقول  
العود قد ترنم بأبدع تلحين وشقت المذائب رياض البساتين  
وفى انتهائه حيث يقول :

تخطر ولا تسلم عساك المأمون مروع الكتائب يحيى بن ذى النون  
ثم جاءت الحلبة التى كانت فى مدة الملتزمين فظهرت لهم البدائع ، وفرسان  
حلبتهم الأعمى التطيلي ثم يحيى بن بلى والتطيلي من الموشحات المذهبة قوله  
كيف السبيل الى صبرى وفى المعالم أشجان  
والركب وسط الفلا بالخرّد النواعم قد بانوا

١ قد اختلفوا الى هذا الاسم ففى مقدمة ابن خلدون الفريرى وفى الذخيرة محمد بن محمود أو محمود العمري  
وفى فوات الوفيات ترجمة عبادة ابن ماء السماء (ج ١ س ٢٥٤) محمد بن محمود أو ابن محمود القبرى الضرير  
وهو ناقل عن الذخيرة وفى تفح الطيب فى الكلام على الموشحات نقلا عن ابن خلدون مقدم  
ابن معافى القبرى وفى مقدمة ابن خلدون طبع بباريس صفحة ٣٩٠ جزء ثالث مقدم بن  
معافرا ومعافى والقبرى بدل الفريرى أو التبريزى وهو خلط بدل على تحريف هذا الاسم

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن  
جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية ، وكان كل واحد منهم قد صنع  
موشحة وتأنق فيها، فتقدم الأعمى التطيلي للانشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة  
بقوله :

ضاحك عن جمان      سافر عن بدر  
ضاق عنه الزمان      وحواه صدرى

خرق ابن بقی موشحته وتبعه الباكون . وذكر الأعمى البطليوسى أنه سمع  
ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا على قول الابن بقی حين وقع له  
أما ترى أحمــــد      فى مجده العالى لا يلحق  
أطلعــــه الغرب      فارنا مثله يامشرق

وكان فى عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر الأبيض ، وكان فى  
عصرهما أيضا الحكيم أبو بكر بن باجه صاحب التلاحين المعروفة. ومن الحكايات  
المشهورة أنه حضر مجلس مخدمه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فألقى عليه  
بعض موشحته : جرر الذيل أيما جر . فطرب المدوح لذلك وختمها بقوله

عقد الله راية النصر      لأمير الملا أبى بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه ، وشق ثيابه ، وقال  
ما أحسن ما بدأت وما ختمت . وحلف الأيمان المغلظة أن لا يمشى ابن باجه  
لداره الأعلى الذهب. فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً فى نعله  
ومشى عليه . ثم قال ابن خلدون بعد كلام . واشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة  
الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شرف . الى أن قال وابن هردوس الذى له :

ياليلة الوصل والسعود      بالله عودى

وابن مؤهل الذى له

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب وإنما العيد في التلاق مع الحبيب  
وأبو اسحق الدويني . قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول  
انه دخل على ابن زهر وقد أسن وعليه زى البادية ، اذ كان يسكن بمحصن سبته فلم  
يعرفه ، فجلس حيث انتهى به المجلس ، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة  
وقع فيها .

كحل الدجى يجرى من مقلة الفجر على الصباح  
ومعصم النهر في حلل خضر من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال أنت تقول هذا ؟ قال اختبر . قال ومن تكون ؟ فأخبره .  
فقال ارتفع فوالله ما عرفتك . قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي أدركت هو أبو بكر  
ابن زهر ، وقد شرقت موشحاته وغربت . قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك  
يقول لابن زهر لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ؟ فقال كنت أقول :

ماللمو له من سكره لا يفيق ياله سكران  
هل تستعاد أيا منا بالخليج وليالينا  
اذ يستفاد من النسيم الارجح مسك دارينا  
واذ يسكاد حسن المكان البهيج أن يحيينا  
نهر أظله دوح عليه أميق مؤنق فينان  
والماء يجرى وعائم وغريق من جنى الريحان

واشتهر بعده ابن حيون . الى أن قال : وبعد هؤلاء ابن حزمون بمرسيه . ذكر  
ابن الرائس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة لنفسه ، فقال  
له ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا من التكلف . فقال على مثل  
ماذا ؟ فقال على مثل قولي :



ياها جرى هل الى الوصال منك سبيل

أوهل يرى عن هواك سال قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطه، قال ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله

ان سيل الصباح في الشرق عاد بحرّاً في أجمع الافق

فتداعت نوادب الورق أتراها خافت من الفرق

فبكت سحرة على الورق

واشتهر بأشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل. قال ابن سعيد عن والده

سمعت سهل بن مالك يقول له يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

أوا حسرتي لزمان مضى عشية بان الهوى وانقضى

وأفردت بالرغم لا بالرضا وبت على جمرات الغضى

أعاق بالفكر تلك الطلول وأثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته

غير مامرة ، فما سمعته يقول لله درك الافي قوله .

قسما بالهوى لذي حجر ما ليل المشوق من فجر

خذ الصبح ليس يطرد ما لليلي فيما أظن غد

صح يا ليل انك الابد

أو نقصت قوادم النسر فنجوم السماء لا تسرى

ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حال صب ذي ضنى واكتئاب أمرضه يا وليلتاه الطيب

عامله محبوبه باجتئاب ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب

جنى جفوني النوم لكننى لم أبكه الا لفقد الخيال  
وذو الوصال اليوم قد غرنى منه كما شاء وشاء الوصال  
فلست بالسلام من صدنى بصورة الحق ولا بالمحال  
واشتهر ببر العدو ابن خلف الجزأرى صاحب الموشحة المشهورة  
يد الاصبح قدحت زناد الأنوار من مجامر الزهر

وابن خزر البجائى وله من موشحه

نفر الزمان موافق حباك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته من بعدها قوله :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس

فهو فى حر وخفق مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس»

هذه نماذج الموشحات مما ذكره ابن خلدون ، ونعود فنقول : ان سبب

اختراع الموشحات فى الأندلس ما تولد فى النفوس من رقة وميل الى الخلاعة

والدعابة فى الكلام ، وفى نوع التعابير وشعور الناس من أدباء وشعراء بضرورة

الخروج من الاوزان القديمة المعروفة ، لضيق تلك الأوزان عن احتمال عبث

الشعراء بالشعر على حسب أهوائهم

والعقول اذا مالت الى التغيير مالت الى الابتكار وحب الجديد. لذلك سئم

الناس طريقة الشعر القديمة المعروفة، وحاولوا ابتكار شىء جديد ، فاخترعوا تلك

الاوزان لتساعدهم على ما يريدون من الكلام فى مجبوحة اللهو والطرب والرقص

وانشاد الشعر بطريقة خفيفة على النفس . فوجدوا ذلك أدعى الى تحريك النفوس

فابتدؤا أولا بالاوزان العربية الخفيفة المعروفة، كالرمل والهزج والمقطوعات وغير

ذلك، وغيروا فيها القافية. وولدوا من ذلك الموشحات وأباحوا لأنفسهم التغيير

فى الوزن والقافية . فاخترعوا من الأوزان مالا قاعدة له . ثم توسعوا فى هذه الاوزان

وتفننوا فيها ، وأودعوا هذا النوع الجديد من الشعر ميولهم وأهواءهم . واشتغل  
بذلك الطرفاء والادباء فشمل هذا الشعر كل أنواع اللهو والتسلى . ثم تمشى في نفوس  
جميع الناس حتى أصبح نوعاً من أنواع الشعر العام . فنظم على أسلوبه الحكماء  
والفقهاء عبارات الوعظ والحكم ، ومنهم التقى المشهور والصوفى المعروف محيى  
الدين بن العربى

ثم تخطى هذا النوع من بلاد الأندلس الى بلاد البربر وغيرها من بلاد المشرق  
وكثير من البلاد الاسلامية ، فنبت شعراء كثيرون في هذا النوع . وانبث هذا  
الكلام من نفوس العامة ، أو من الآراء والافكار التى كانت تدور في رؤوس كثير  
من الناس ، فنظمها كبار الشعراء . وما زالت العامة تجذب الخاصة اليها ، وتدفعها الى  
التعبير عن أفكارها المنتشرة الدائرة في نفوسها وعلى ألسنتها ، سواء أكانت من  
طريق الكلام أم من طريق الأغاني ، حتى قربت الموشحات من لغة العامة  
وصارت من كلامهم وأناشيدهم . وكلما قربت من العامة بعدت عن اللغة العربية  
الفصحى وعن الشعر العربى . لذلك كان ظهور نفوس العامة وحالتهم العقلية  
في الموشحات أكثر وضوحاً منه في الشعر العربى الفصيح

فلا غرو أن نجد في الموشحات خلطاً بين الشعر العربى الصحيح والكلام العامى  
الملحون ، لان أصلها مأخوذ من الشعر العربى ، لذلك لا تخلو من  
أثره في الصناعة والأخيلة والأسلوب وقواعد العروض . كما تتخلل ذلك  
عبارات عامية ، وأحياناً يتمشى الشاعر على غير قواعد اللغة . فنجد أبياتاً غير عربية  
وعبارات غير معربة . فليست الموشحات عربية صرفة ولا عامية بحتة ، بل يمكن  
أن يقال انها شعر عربى ، ولكن في غير الأسلوب الشعرى العربى الصميم  
وصناعته المعروفة .

وقد كان للموشحات أن تحدث في الشعر نوعاً جديداً لولم يقصر الشعراء



ابتكاراتهم على الديباجة والوزن والقافية . ولكنهم لم يخرجوا عن الموضوعات والمعاني المعروفة قبلهم عند شعراء العرب . فلم يتكلموا في الموضوعات العامة الاجتماعية ولم يخرجوا فيها عن التعبير عما يجول بالنفوس من مسائل العشق والغرام وما يشبهها كما قلنا . لأنهم أرادوا أن يتغنوا بذلك . ثم أوغلوا في التعبيرات الشخصية وبعض هذه التعبيرات لا يمكن أن تؤدي المعنى المقصود الا بلهجة خاصة ، فاضطروا الى استعمال بعض العبارات العامية . ثم توسعوا في ذلك حتى تعددت هذه اللهجات وكثير منها لهجات عامية لا يتذوقها كل من يعرف العربية الفصحى . ومن هذا تطرقوا الى الزجل ذلك الشعر العامي المعروف .

فالموشحات علامة من علامات الانتقال في الشعر العربي، لأنها حادث جديد في الأدب ، ولكنها علامة من علامات انحلال وحدة اللغة العربية وضياعها أيضاً، اذ لو كان لها أن تنتشر انتشاراً عاماً في جميع البلدان لادت الى انتشار اللغة العامية في كل قطر ، فتصبح كل أمة ذات شعر خاص ولهجة خاصة ، يصعب فهمها على غيرها من الأمم . الأخرى . على ان لذلك ميزة وهي ان العامية تفهم من لغتها الخاصة أكثر مما تفهم من اللغة الفصحى . ولكن هذا يدعو كما قلنا الى انحلال الوحدة اللغوية

وقد ذكر ابن سناء الملك في كتاب له سماه « دار الطراز في صناعة الموشحات وأنواعها » . كلاماً عن الموشحات وأنواعها وهو أجمع كتاب في ذلك فرأينا أن ننقل منه جزءاً عظيماً قال .

---

١ وجاء في كشف الظنون . در الطراز « لا دار الطراز » لابی القاسم هبة الله بن حمفر المصري المتوفى سنة ٦٨٠ ( راجع كشف الظنون ج ١ ص ٣٦٠ طبع بولاق )

« ... الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص . وهو يأتلف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات، ويقال له التام. وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع . فالتام ما ابتدئ فيه بالأفعال ، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات. فمثال التام موشح الأعمى وهو

صاحك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

فهذا الموشح ابتدئ بقفلة. ومثال الأقرع

سطوة الحبيب أحلى من جنا النحل

وعلى الكئيب أن يخضع للذل

أنا فى حروب مع الحدق النجل

ليس لى يدان يا حور فتان من رأى جفونه فقد أفسدت دينه

فهذا الموشح ابتدئ ببيت . والأفعال هي أجزاء مؤلفة ، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها . والأبيات هي أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة، يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح في أوزانها وعدد أجزائها ، لا في قوافيها . بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر. والقفل كما تقدم يتردد في الموشح ست مرات في التام وخمس مرات في الأقرع. وأقل ما يتركب القفل من جزئين فصاعداً إلى ثمانية أجزاء وعشرة أجزاء . ولم أجد للمغاربة منه ما أثق بنسبه، فلهذا لم أذكر مثالا منه. والبيت لابد أن يتردد في التام وفي الأقرع خمس مرات . وأقل ما يكون البيت ثلاثة أجزاء . وقد يكون في النادر من جزئين. وقد يكون من ثلاثة أجزاء ونصف. وهذا لا يكون إلا فيما أجزأه مركبة. وأكثر ما يكون خمسة أجزاء . والجزء من القفل لا يكون إلا مفرداً ، والجزء من البيت قد يكون مفرداً وقد يكون مركباً

والمركب لا يتركب الا من فقرتين أو ثلاث فقر، وقد يتركب في الأقل من أربع فقر . وسنكتب هاهنا مثالا لكل مذكرناه ليتلخص ويتشخص وينتقل ما تدركه بالقول سماعاً الى أن تراه بالخط عياناً. فأمثلة الاقفال:

القفل المركب من جزئين

شمس قارنت بدرا راح وسديم

المركب من ثلاثة اجزاء

حلت يد الأمطار أزرة النوار فيأخذاني

المركب من أربعة اجزاء

أدر لنا أكواب ينسى بها الوجد واستحضر الجلاس كما اقتضى الود

المركب من خمسة أجزاء

يا من أجود ويبخل على شحى وافتقارى أهواك وعندى زيادة منها شاره

المركب من ستة أجزاء

ميتات الدمن أحيين كربى وهل يتمكن عزالقلبي مت ياعزاه شاه

المركب من سبعة أجزاء

الموشح المعروف بالمروس، وهو ملحون، واللحن لا يجوز استعماله فى شيء من

ألفاظ الموشح الا فى الخرجة خاصة. ولهذا لم نورد مثالا

المركب من ثمانية أجزاء

على عيون العين نعى الدرارى من شغف بالحب

واستعذب العذاب والتذ حاليه من أسف وكرب



وقد يندرج في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعول عليها أن تكون أقفالها  
مختلفة أعداد الاجزاء كالموشح الذي أوله : بابي علق بالنفس علق  
وهذا الموشح لعبادة ، فان قفله الأول جزءان ، وبقية أقفاله ثلاثة. وسيأتي في  
هذا الموشح منسوقا في جملة ما نذكر من الموشحات التي ذكرت الأمثلة منها.  
فأني أذكر في آخر هذه الاوراق كل موشح ذكرت المثال منه ، ليكون أنس  
المتعلم بها أكثر ، وعلمه بها في نفسه أرسخ .

### أمثلة الأبيات

أمثلة ما أجزاؤه مفردة : ماهو منها على ثلاثة أجزاء  
أرى لك مهند أحاط به الأئمة فجرد ماجرد  
فيا ساحر الجفن حسامك قطاع  
ماهو منها على أربعة أجزاء

قد باح دمي بما أكتمه وحن قلبي لمن يظلمه  
رشا تمرن في لافه كم بالني أبدا أئمه  
يفتر عن لؤلؤ متسق من للأقاح بنسيمه العبق  
أمثلة الأبيات التي أجزاؤها مركبة  
ما تركب من فقرتين وثلاثة أجزاء .

أقم عذرى فقد آن أن أعكف  
على خمر يطوف بها أوطف  
كما تدرى هضم الحشى مخطف  
أذا مامد في مخضرة الأبراد رأيت الآس بأوراقه قد ماس

ماتركب من فقرتين وثلاثة أجزاء ونصف  
من أودع الاجفان صوارم الهند  
وأثبت الريحان في صفحة الخد  
قضى على الهيان بالدمع والسهد  
أنى وللكمان للهايم المغرم بدمع نم اذ يسجم بما يكتنم  
من السر في عاطل جال عزيز ساط على بالدعج  
ماتركب من فقرتين وأربعة أجزاء

ماحوى محاسن الدهر الا غزال  
معروف الجدين من فهر عم وخال  
نسبته للنابل الغمر وللنزال  
فأنا أهواه للفخر وللجمال  
وجهه طليق للضيوف مشرق ويد تسطو على الاسد فتغدق  
ماتركب من فقرتين وخمسة أجزاء

هن الظباء الشمس قنيصهن الضيفم  
ما ان لها من كنس الا القلوب الهيم  
القرب منها عرس والبعد عنها مأثم  
تلك الشفاة اللعس يحيا بهن المغرم  
لها لحاظ نعس ترنوا الى من تسقم  
بأعين الغزلان وتبتسم عن جوهر الاسماط  
قضى لها الغيران ان تكتم في مضمر الانبساط

وقد يندر في بعض الموشحات ما يكون بيته جزأين مركبين من فقرتين وهو  
شاذ جداً وهو

باكر الى الخمر واستنشق الزهرا  
فالعمر في خسر مالم يكن سكرا  
فقلما أسلو عن مرشف الاكواس  
وساحر الطرف مساعد الجلاس  
فسقيــــــــــــــــني بنت الرياحين

ماتركب من ثلاث فقر وثلاثة أجزاء

من به الى يرنو بمقلتي ساحر الى العباد  
ينأى به الحسن فينثني نافر صعب القياد  
وتارة يدنو كما أحتسى الطائر ماء الثماد  
فجيده أغيد وانلد بالخال منق تكتمه الحجب فلي الى الكلة تشوق  
ماتركب من أربع فقر وثلاث أجزاء

بأبي ظبي حمى تكنفه أسد أغيل  
مذهبي رشف لي قرقه سلسبيل  
يسبى قلبي بما يعطفه اذ يميل  
ذو اعتدال يعزى الى ذى نعمة ثابت  
في ظلال تحت حلى قطر الندى بات

والخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح. والشرط فيها أن تكون  
حجاجية من قبل السخف ، فزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة حادة منضجة ،  
من ألفاظ العامة ولغات الخاصة ، فان كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال  
ما تقدم من الأبيات والأقوال ، خرج الموشح من أن يكون موشحاً ، اللهم الا أن  
كان موشح مدح وذكر المدح في الخرجة فانه يحسن أن تكون الخرجة معربة  
كقول ابن بقل



انما يحى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الانام  
وقد تكون الخرجة معربة وان لم يكن فيها اسم المدوح، ولكن بشرط أن  
تكون ألفاظها غزلة جداً، هزارة سحارة خلاصة بينها وبين الصبابة قرابة. وهذا  
معجز معوز، وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة، كقول ابن بقل:  
ليل طويل ولا ممين ياقلب بعض الناس أما تلين  
فمن قدر أن يقول هكذا فليعرب والا فليغرب. والم شروع بل المفروض في  
الخرجة أن يجمع الخروج اليها وثبا واستطرادا، وقولا مستعارا على بعض السنة  
الناطق والصامت، أو على الأغراض المختلفة. وأكثر ما يجعل على السنة الصبيان  
والنسوان والسكرى والسكران. ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من قال أو  
قلت أو قالت أو غنى أو غنيت أو غنت فما جعل على لسان الحمام قول عبادة  
ان الحمام في أيكما تشدو

قل هل عليم أو هل عهد أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان  
ومما جعل على لسان الغرام قول ابن بقل

أنا وأنتا أسوة هذا الهجر  
بالصبر بتنا عند انصداع الفجر  
ومد رحلتنا غنى الجوى في صدرى

سافر حبيبي سحر وماودعتوا ياوحش قلبي في الليل إذا افكرتوا  
ومما استعير على لسان الهيجاء قول عبادة

فالهيجاء تغنى والسيف قد طرب

ما أملح العساكر وترتيب الصفوف والابطال تصيح الواثق يا جدد

\*\*\*

والموشحات تنقسم قسمين: الاول ما جاء على أوزان أشعار العرب والثاني

ملا وزن له فيها ولا المام . له بها والذي على أوزان الاشعار ينقسم قسمين  
أحدهما مالا تتخلل أقفاله وأبياته كلمة تخرج تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك  
الكلمة عن الوزن الشعري . وما كان من الموشحات على هذا النسخ فهو  
المرذول المخذول، وهو بالخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله الا الضعفاء من  
الشعراء . ومن أراد أن يتشبه بما لا يعرف، ويتشبع بما لا يملك، اللهم الا ان  
كانت قوافي قفله مختلفة فانه يخرج باختلاف القوافي الاقفال، فيقال من الخمسات  
كقول بعضهم

ياشقيق الروح من جسدي أهوى بي منك أم لم  
فهذا من المديد وكقول الآخر

أيها الساقى اليك المشتكى قد دعوتك وان لم تسمع  
فهذا من الرمل وفي شجيان الوشاحين والطعابين في صدور الاوزان من  
يأخذ بيت شعر مشهوراً ويجعله خرقة، ويبنى موشحه عليه، كما فعل ابن بقي في  
بيت ابن المعتز وهو

علموني كيف أسلو والا فاحجبوا عن مقلتي الملاحا  
فان ابن بقي جعله خرقة لموشحه، وسيأتي ذكره . وفي الوشاحين من أهل  
السطارة والدعارة من يأخذ بيتاً من أبيات المحدثين ويجعله بألفاظه في بيت من  
أبيات موشحه، كما فعل ابن بقي في بيت كشاجم قال:  
يقولون تب والكأس في كف أغيد وصوت المثنى والمثالث على  
فقلت لهم ان كنت أضمرت توبة وأبصرت هذا كله لبدالى  
فقال ابن بقي

قالوا ولم يقولوا صوابا  
أفريت في المجون الشبابا  
فقلت لو نويت متابا

والكأس في يمين غزالي والصوت في الثالث عال لبدالى  
والقسم الآخر ما تخللت أبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة كانت أو  
ضمة أو فتحة عن أن يكون شعراً صرفاً وقريضاً محضاً، فمثال الكلمة قول ابن بقل  
صبرت والصبر شيمة العاني ولم أقل للطيل هجراني معذبى كفاني  
فهذا من المنسرح وأخرجه منه «معذبى كفاني» ومثال الحركة هو أن يجعل  
على قافية في وزن ويتكلف شاعرها أن يعيد تلك الحركة بعينها وبقافيتها. كقوله  
يا ويح صب الى البرق له نظر وفي البكاء مع الورق له وطر  
فهذا من البسيط والتزام إعادة القافية في وسط وزن على الحركة المحفوضة  
هو الذى أشرنا اليه .

والقسم الثانى من الموشحات هو مالا مدخل لشيء منه فى شيء من أوزان  
العرب وهذا القسم منها هو الكثير والجم الغفير، والقدر الذى لا ينحصر والشارد  
الذى لا ينضب

والموشحات تنقسم من جهة أخرى الى قسمين قسم اقفاله وزن أبياته حتى  
كأن آخر الايات من آخر الاقفال كقول الاعمى

أحلى من الامن يرتاح من قربى ويفرق فى وجهه سنة يشجى بها العذول ويشرق  
لله ما أقرب على محبه وأبعدا  
خلو اللى أشب آسا الضنافيه وأسمدا  
أحب به أحب ويا تجنيه طال المدا

أما ترى حزنى نارا على قلبى تحرق حسبى بها جنة ياماه ياما يا ظل يارونق  
وقسم أقفاله مخالفة لاوزان الايات مخالفة تبين لكل سامع ويظهر طعمها  
لكل ذائق كقول بعضهم

الحب يجنىك لذة العذل واللوم فيه أحلى من القبل  
لكل شيء من الهوى سبب جد الهوى بي وأصله اللعب



وان لو كان . جـد يغنى كان الاحسان من الحسن  
والموشحات تنقسم من جهة أخرى الى قسمين : قسم لا يساته وزن يذكره  
السمع ويعرفه الذوق ، كما تعرف أوزان الأشعار ولا يحتاج فيها الى وزنها  
بميزان العروض وهو أكثرها. وقسم مطرب الوزن مهلهل النسخ مفككت النظم  
لا يحس الذوق صحته من سقمه ولا دخوله من خروجه كالموشح الذى أوله

أنت اقتراحى      لا قرب الله الواحى  
من شاء أن يقول      فأنى لست أسمع      خضعت فى هواك      وما كنت لا خضع  
حسبى على رضاك      شفيع لى مشفع  
نشوان      صاحى      بين ارتياح وارتياح

والموشحات تنقسم من جهة أخرى الى قسمين قسم يستقل التلحين به ولا  
يفتقر الى ما يعينه عليه وهو أكثرها، وقسم لا يحتمل التلحين ولا يمشى الا بأن  
ميتوكاً على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازاً للمغنى كقول ابن بلى :  
من طالب      نار قتلى      ظبيات الحدوج      فتانات الحجيح  
فان التلحين لا يستقيم الا بأن يقول لا لا بين الخبرين الجيمين من  
هذا القفل

ومما سنه القوم فى أكثر موشحات المدح أن يحتم الموشح بالغزل ويخرج  
من المدح اليه ، كما خرج اليه منه ، وهذا هو الأكثر من عملهم والظاهر من  
مذهبهم ومنه قول الأعشى

حلوا المجانى      ماضره لو أجنانى      كما عنانى      وجدى به وعثنانى  
فانه ابتداء بالغزل ثم خرج الى المدح ثم ختم بالغزل ؛ والموشحات يعمل فيها  
ما يعمل فى أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد. وما كان  
منها فى الزهد يقال له المكفر والرسم فى المكفر خاصة أن لا يعمل الا على وزن

موشح معروف قوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليدل على انه مكفر  
ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره

### الموشح التام<sup>١</sup>

#### الموشحات المغربية على طريق الأمثلة

ضاحك عن جمان	سافر عن بدر	ضاق عنه الزمان	وحواه صدرى
آه مما أجهد	شفتى ما أجهد		
قام بى وقعد	باطش متشد		
كلما قلت قد	قال لى أين قد		
وانثنى خط بان	ذا مهر نضر	عابثية يدان	للصبا والقطر
ليس لى منك بد	خذفؤادى عن يد		
لم تدع لى جلد	غير انى أجهد		
مكروع من شهد	واشتياق يشهد		
ما لبنت الدنان	ولذاك الثغر	أين محيا الزمان	من محيا الخمر
بى هوى مضمر	ليت جهدى وقفه		
كلما يظهر	ففؤادى افقه		
ذلك المنظر	لا يداوى عشقه		
بابى كيف كان	فلكى درى	راق حتى استبان	عذره وعذرى
هل اليك سبيل	أو الى أن أياسا		
ذبت الا قليل	عبرة أو نفسا		
ما عسى أن أقول	ساء ظنى بعسى		

١ هذه الموشحة للاعشى التطيلي راجع ص ١٦٨ و ص ٢٢٧

وافتضى كل شأن وأنا .... خالما من عنان جزعى وصبرى

ما على من يلوم  
هل سوى حبريم  
أنا فيه أهيم  
لو تناهى عني  
دينه التجنى  
وهو بى يغنى

### الموشح الأقرع

سطة الحبيب  
وعلى الكئيب  
أنا فى حروب  
يس لى يدان  
يأحور فتان  
ينبغى التجنى  
لو قبلت منى  
غاية التمنى  
أنت مهرجاني  
وخذك بستاني  
خطط الوزير  
فانتهى السرور  
ردت الأمور  
ثابت الجنان  
صفوح عن الجان  
خل كل مئى  
من رأى بعين  
كأبى الحسين  
كل ذى امتنان  
لا بل كل هتان  
رام أن يكونه  
جوداً فأتى دونه  
أحلى من جنا النحل  
أن يخضع للذل  
مع الحدق النجل  
من رأى جفونه  
فقد أفسدت دينه  
لملك فى الأئس  
لتهت على الشمس  
هلم الى الانس  
غط ياسينه  
ان الناس يجنونه  
بخطط ايشار  
الى غير مقدار  
الى أسد ضار  
قد حمى عرينه  
بالزرق المسنونة  
الى الحق منقاداً  
فى ذا الخلق من سادا  
ويقديه من جادا  
جوداً فأتى دونه



أظهر المقام في الغربة حرماننا  
فأنا ألام أسرار واعلانا  
قلت والكلام يصرح أحياناً  
فزت بالأمانى ماجاد باحسان صاحب المدينة أعلى الله تمكينه  
المركب قفله من جزئين

شمس قارفت بدرأ راح ونديم  
أدر كؤوس الخمر عنبرية النثر ان الروض ذو بشر  
وقد درّغ النهر هبوب النسيم  
وسلت على الافق يد الغرب والشرق سيوفا من البرق  
وقد أضحك الزهرا بكاء النجوم  
الا أن لي مولى تحكم فاستولى أما انه لولا  
دمع يفضح السرا لكنت كتوم  
أنى لي كتمان ود معى طوفان شبت فيه تيران  
فمن أبصرا الجرا في لج يعوم  
اذا لامنى فيه من رأى تجنيه شدوت أغنيه  
لعل له عندرا وأنت تلوم

المركب قفله من ثلاثة أجزاء

حلت يد الامطار ازرة النوار فيأخذانى  
اشرب طاب الصبوح في ذا اليوم  
في روضة تفوح لدى الغيم  
قد أشرقت تلوح لدى القوم

ووجه ذا النهار      مغطا بنهار      من الدجن  
 هذا الهوى يجور      فما صنعى  
 قد ضاق يا منصور      به ذرعى  
 اذ ليس لى نصير      سوى دمعى  
 فيا ضعف انتصارى      اذا دمعى انصارى      على حزنى  
 ظلمت اذ بعدت      عن الصب  
 فعد كما قد كنت      الى قربى  
 غدرت ونفرت      فيا حبي  
 أفديك من عذار      يدين بالنفار      ولا يدنى  
 محبوبى هب رضا كا      وخذ عمرى  
 وعسلنى لما كا      من الثمر  
 بما حوت عينا كا      من السحر  
 برد غليل نارى      وشم ظبا الاشفار      لا تقتلنى  
 لما أطل حزنى      ولم ير حم  
 وزاد فى التجنى      وما سلم  
 شدوته أغنى      غنا مغرم  
 حبيبى أنت جارى      دارك بجانب دارى      وتهجرنى

### الموشح المختلف الاقفال

بأبى علق      بالنفس علق  
 هويت هلالا      فى الحسن فريدا      أعار الغزالا      الحاظا وجيدا  
 وتاه جمالا      لم يبع مزيدا      بدر يتلالا      فى حسن اعتدال

زانه رشق	والقد رشيق		
بدر يتغلب	بالسحر المبين	عذار معقرب	على ياسمين
سوسان مكتب	بورد مصون	لما لاح يسحب	ذبول الجمال
عنلى خلق	بالعشق خليق		
جفائى يعيش	لوقفى عليه	لو بالنفس ريش	لطرت اليه
للحسن جيوش	على مقلتيه	واللحظ المريش	بالسحر الحلال
فله مشق	والقلب مشوق		
تعمد هجرى	مذ دنت بوده	وبددت صبرى	على طول صده
ما الحسن يجرى	بصفحة خده	ثناياه تزرى	بنظم اللآلى
فمه حق	بالثم حقيق		
لما أن تسربل	ثوب الحسن زيا	أردت أقبل	لما الشهباء
فقال تمثّل	بالشعر أبا	ومال تدل	بأجلى مقال
أنا قول قوقو	ليس بالله تدوقو		

الموشع الذى بيته ثلاثة أجزاء مفردة

أأفردت بالحسن أم خلقت ابداع  
أرى لك مهند أحاط به الأئمة فجرد ماجرد  
فيا ساحر الجن حسامك قطاع  
ايا فتنة القلب خف الله فى صب قتل من الحب  
تمنيه بالمرن وبرقك خداع  
ما تركب بيته من فقرتين وثلاثة أجزاء  
كذا يقتاد سنا الكوكب الوقاد الى الجلاس مشعشة الاكواس  
أقم عذرى فقد آن أن أعكف



على خمر	يطوف بها أوطف
كما تدرى	هضم الحشا مخطف
إذا ما ماد	رأيت الآس بأوارقة قد ماس
في مخضرة الأبراد	وان زاد في النور
من الأنس	وبدر الديجور
على الشمس	وما نفس مهجور
له نفسى	بلحظ جاس خلال ديار الناس
غزال صاد	بنور الهدى مرآه
ضراغمة الآساد	تدير سوى عليها
جلا الاجلاك	عبيد عبيد الله
فما الافلاك	فجهلا قاس سنا الشمس بالنبراس
كذا الاملاك	وانك من آله
فن أراد	بكم نيل ماله
قياسك بالامجاد	من ينشد في حاله
لك الفضل	منى عباد بكم نحن في أعياد
رأى الكل	وفي اعراس لاعدمتم للناس
فما يخلو	ما تركب بيته من ثلاثة أجزاء ونصف
من أودع الاجفان	صوارم الهند
وانبت الريحان	في صفحة الخد
قضى على الهيمان	بالدمع والسهد
أنى وللكتمان	مدمع نم اذ يسجم بما يكتم
من السر في عاطل حال	غزير ساط على بالدعج
يا بأبي أحور	كالبدر في التم

يَفْتَرِ عَيْنَ جَوْهَرٍ      مُسْتَعْدِبَ اللّٰهِ  
وَحَدَّه الْأَزْهَرُ      يَدْمَى مِنَ الْوَهْمِ  
فَكَيْفَ أَنْ أَعْذَرَ      وَقَدْ سَرَى أَرْقَمَ      عَلَى عِنْدَ فَلَا يَلْتَمُ      وَقَدْ حَكَمَ  
مَنْ السَّحَرُ      لِقَتْلِ أَبْطَالٍ      مَعَ الْأَنْبَاطِ      جَيْشٍ مِنَ الزَّجَجِ  
أَجْزَى لِلنُّورِ      كَصَاحِبِ الطُّورِ  
كَبْدَرٍ دِيْجُورٍ      فِي قَدْ خِيْزُورٍ  
كَفْصَنِ بَلُورٍ      فِي دَعْصِ كَافُورٍ  
بِنَفْسٍ مَهْجُورٍ      أَفْدَى وَإِنْ يَتِمُّ      فَنِي مُحْتَمِّمٍ ثَنَائِيَا فَمِ      قَدْ نَظَمَ  
مَنْ الدَّرِ      رَاحِي وَسَلْسَالِي      عَلَى أَسْمَاطِ      عَطْرِيهِ الْفَلَجِ  
الْحَسَنِ مَوْقُوفٍ      عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ  
وَالْأَمْرَ مَصْرُوفٍ      إِلَيْكَ يَا غَيْدُ  
عَبْدُكَ مَشْغُوفٍ      فِيكَ وَمُسْتَعْبِدُ  
أَمْنِكَ تَعْنِيفٍ      أَوْ مَنَّا أَنْ تَرْجَمَ      وَإِنْ نَحْرَمَ ضَنَا مَغْرَمَ      إِذَا يَسْقَمَ  
فَوَآسِرِي      فِي بَحْرِ أَوْجَالِي      بَعِيدِ الشَّاطِئِي      أَمْسَكَ بِالْمَوْجِ  
وَعَادَهُ تَبْدُو      كَالْبَدْرِ فِي السَّعْدِ  
أَمَالُهَا النُّهْدِ      فِي غُصْنِ رَنْدِ  
أَوْرَاقُهَا الْبَرْدِ      أَيْنَعُ بِالْوَرْدِ  
بَاسْتٍ وَهِيَ تَشْدُوا      حَبِيبِي أَهْجَمَ      وَقَمِ وَأَعْزَمَ      وَقَبْلَ فَمِ      وَجِيٍّ وَانْضَمَ  
إِلَى صَدْرِي      وَقَمِ بِمُخْلَخَالِي .....

الموشح الذي يتركب بيته من جزئين مركبين في فقرتين

بَاكَرًا إِلَى الْخَرِّ      وَاسْتَنْشَقَ الزَّهْرَا      فَالْعَمْرُ فِي خَسْرَا      مَا لَمْ يَكُنْ سَكْرَا  
فَقُلْ مَا أَسْلُو      عَنْ مَرَشَفِ الْأَكْوَاسِ      وَسَاحِرِ الطَّرْفِ      مُسَاعِدِ الْجَلَّاسِ

## فسقيني بنت الزراجين

فهايتها صرفا يا ذا الرشا الاحور      راح حكى وصفا من خدك الاقر  
رشاهو النبل والعدل بين الناس      والمسك في العرف من نفحه الانفاس  
فداريني      عن مسك دارين

كم لامننى فيه نذل من العدل      لما رأى فيه ميلا الى وصلى  
وانما العدل فما به من باس      رضا به يشفى ويكثر الايناس  
فهنوني      لست بمغبون

للطرف في الفتك اثار معنى      والمـز في الملك عز سليمى  
يهابه الكل خوط القنا المياس      يثنى على الحقف مثل قضب الآس  
من اللين      ينقد عن لدن  
لله ما اهوى      خوداً تغنيه

باحث بها الشكوى      عمداً التعنيه  
أنت المنى تحلو      فترك كلام الناس  
وادخل معى الفى      مثل الشراب فى الكاس  
يا كنونى      كما تسلينى

الركب قفله من ستة أجزاء

الراح فى الزجاجة      أعاليها خد النديم      حمرة الورد  
واستوهبت نسيمه      فهجنت نشر العبير      مع شذا الند

ما همت بالحميا      الا وقد سقتنى  
مليحة الحميا      مليحة التثنى  
والحسن قد تمها      فيها بلا تأن

أذكى بها سراجها      رأيت فى الليل البهم      شعلة الزند  
لوأنهم اعليمه      تاهت على البدر المنير      وهو فى السعد



ان التى الام      فيها على غرامى  
 لقدها قوام      كالغصن فى القوام  
 لتغرها نظام      كالمقد فى النظام  
 لريقها مجاجه      كالمسك فى طيب الشميم      كجنا الشهد  
 وعينها السقيمة      وسنانه من الفتور      لا من السهد  
 تزيد فى بلائى      والنفس تشهيهها  
 ولا أرى دوائى      الا بريق فيها  
 قالت لاصدقائى      وقد ضئيت فيها  
 احى الهوى مزاجه      دعوه من طب الحكيم      فالدوا عندى  
 محبوبتى حكيمة      تطفى برمان الصدور      حرقة الوجد  
 كم فى الانام مثلى      شفاؤها دواها  
 وكم تريد قتلى      ولم أرد سواها  
 وقال لا أئم لى      لججت فى هواها  
 طابت لى اللجاجة      وقلت للأشجان دوى      ما أنا وحدى  
 ذو مهجة مقيمة      فى القرب من ظبي غرير      وهو فى البعد  
 قلبى لها يتوق      وقلبها يقول  
 هيهات لا طريق      هيهات لا وصول  
 فقلت والمشوق      يقنعه القليل

« . . . . . »

( انتهى ما جمعناه من كتاب دار الطراز لابن سناء الملك )

## جملة من الموشحات<sup>(١)</sup>

### موشحة لسان الدين بن الخطيب

جارك الغيث اذا الغيث همى	يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما	فى الكرى أو خلسة المختلس
اذ يقود الدهر أشتات المنى	ينقل الخطو على ما يرسم
زمرأ بين فرادى وثنا	مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنى	فتغور الزهر منه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما	كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما	يزدهى منه بأبهى ملابس
فى ليال كتبت سر الهوى	بالدجى لولا شومس الغور
مال نجم الكاس فيها وهوى	مستقيم السير سعد الأثر
وطر مافيه من عيب سوى	أنه مر ككبح البصر
حين لذ الانس شيا أو كما	هجم الصبح هجوم الحرس
غارى الشهب بنا أو ربما	أثرت فينا عيون الترجس
أى شىء لأمرى قد خلصا	فيكون الروض قد كنى فيه

(١) راجع طائفة من الموشحات فيما يأتى  
فوات الوفيات للصالح الكتبى جزء اول ص ٣٢ ، ٦٣ — ٦٧ ، ٩٨ ، ٢٣٧ ، ٢٥٥  
وجزء ثانى ص ٤١ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٣١١ ، ٣٢٠ ، ٣٥٤ ، ٣٢٥  
٣٧١ — ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٤٠٤  
وفى نفح الطيب طبع أوروبا جزء اول ص ٣٠١ وجزء ثانى ص ٣٠٤ ، ٣٢٤ ، ٤١٧ ،  
٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٨٠ ، والجزء الرابع طبع بولاق فى الكلام على الموشحات  
والعذارى المائسات فى الازجال والموشحات طبع بيروت

تنهب الازهار منه الفرصا  
 فاذا الماء تناجى والحصا  
 تبصر الورد غيورا يرما  
 وتوى الآس ليبياً فهما  
 يا أهيل الحى من وادى الغضى  
 ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا  
 فأعيدوا عهد أنس قد مضى  
 واتقوا الله واحيوا مفرما  
 حبس القلب عليكم كرما  
 وبقلبي منكم مقترب  
 قمر أطلع منه المغرب  
 قد تساوى محسن أو مذنب  
 ساحر المقلة معسول اللى  
 سدد السهم وسمى ورمى  
 ان يكن جار وخاب الامل  
 فهو للنفس حبيب أول  
 أمره معتمل ممتثل  
 حكم اللحظ بها فاحتسب  
 منصف المظلوم ممن ظالما  
 ما قلبي كلما هبت صسبا  
 كان فى اللوح له مكتبا  
 جلب الهم له والوصبا  
 لاعج فى أضلعي قد أضرم  
 لم يدع فى مهجتي الا زما

أمنت من مكره ماتتقيه  
 وخلا كل خليل بأخيه  
 يكتسى من غيظه ما يكتسى  
 يسرق السمع بأذنى فرس  
 وبقلبي سكن أنسى به  
 لا أبالى بشرقه من غربه  
 تعتقوا عانيكم من كربه  
 يتلاشى نفساً فى نفس  
 أقترضون عفاء الحبس  
 بأحاديث المنى وهو بعيد  
 شقوة المغرى به وهو سعيد  
 فى هواه بين وعد ووعد  
 جال فى النفس مجال النفس  
 فقؤادى نهبة المفترس  
 وفؤاد الصب بالشوق يدوب  
 ليس فى الحب محبوب ذنوب  
 فى ضلوع قد براها وقلوب  
 لم يراقب فى ضعاف الانفس  
 ومجازى البر منها والمسى  
 عاده عيد من الشوق جديد  
 قوله ان عذابي لشديد  
 فهو للاشجان فى جهد جهيد  
 فى نار فى هشيم اليبس  
 كبقاء الصبح بعد الغلس



واعمرى الوقت برجعى ومتاب	سلمى يانفس فى حكم القضا
بين عتبى قد تقضت وعتاب	دعك من ذكر زمان قد مضى
ملهم التوفيق فى أم الكتاب	واصر فى القول الى المولى الرضا
أسد السرج وبدر المجلس	الكريم المنتهى والمنتى
ينزل الوحي بروح القدس	ينزل النصر عليه مثل ما
الغنى بالله عن كل أحد	مصطفى الله سعى المصطفى
واذا ما قبح الخطب عقد	من اذا ما عقد المهد وفا
حيث بيت النصر من فروع العمدة	من بنى قيس بن سعد وكفى
وجنى الفضل زكى الغرس	حيث بيت النصر محى الحمى
والندى هب الى المغرس	والهوى ظل ظليل خيا
والذى ان عثر الدهر أقال	ها كها يامسبط أنصار العلا
تبهز العين جلاء وصقال	غادة ألبسها الحسن ملا
قول من أنطقه الحب فقال	عارضت لفظا ومعنى وحلى
قلب صب حله عن مكس	هل درى ظبى الحمى ان قد حمى
لعبت ريح الصبا بالقبس	فهو فى حر وخفق مثل ما

### موشحة ابن سهل التي عارضها لسان الدين

قلب صب حله عن مكس	هل درى ظبى الحمى ان قد حمى
لعبت ريح الصبا بالقبس	فهو فى حر وخفق مثل ما
غررا تسلك فى نهج الغرر	يا بدورا أطلعت يوم النوى
منكم الحسن ومن عيني النظر	ما قلبى فى الهوى ذنب سوى
والتذاذى من حبيبي بالفكر	أجتنى اللذات مكلوم الجوى
كالربا بالعارض المنبجس	كلما أشكوه وجدا بسما
وهى من بهجتها فى عرس	اذ يقيم القطر فيها مأتما

بأبي أفديه من جاف رقيق	غالب لي غالب بالسؤده
أقحوانا عصرت منه رحيق	مارأينا مثل ثغر فضده
وفؤادى سكره ما ان يفريق	أخذت عيناه منه العربده
أ كحل اللحظ شهى اللبس	فاحم الجمة معسول اللبى
وهو من اعراضه فى عبس	وجهه يتلو الضحى مبتسما
لى يبنى الذنب وهو المذنب	أيها السائل عن ذلى لديه
مشرقا للصب فيه مغرب	أخذت شمس الضحى من وجنتيه
وله خد بلحظى مذهب	ذهبت أدمع أجفانى عليه
لاحظته مقلتى فى الخلس	يطلع البدر عليه كلما
ذلك الورد على المغرس	ليت شعرى أى شىء حرما
غادرتنى مقلتهاه دنفا	كلما أشكو اليه حرقى
أثر النمل على صم الصفا	تركت الحافظه من رمقى
لست الحياه على ما أتلنا	وأنا اشكره فيما بقى
وعذولى نطقه كالخرس	فهو عندى عادل ان ظلما
حل من نفسى محل النفس	ليس لى فى الحب حكم بعدما
يلتظى فى كل حين مايشا	منه للنار باحشائى اضطرام
وهى ضر وحريق فى الحشا	وهى فى خديه برد وسلام
أسد الغاب واهواه رشا	أتقى منه على حكم الغرام
وهو من الحافظه فى حرس	قلت لما ان تبدى معلما
اجعل الوصل مقام الجنس	أيها الآخذ قلبى مغنا

وقد عارض هذا الموشح أيضاً بعض متأخري المغاربة فقال :

أتم عيسى وأنتم عرسى	يا عريب الحى من حى الحى
حلم لا وحياة الانفس	لم يحل عنكم ودادى بعد ما

من عذيري في الذي أحبته	مالك قلبي شديد البرحا
بدرتم أرسلت مقلنسـه	سهم لحظ لفؤادي جرحا
ان تبسدي أو تثني خلته	غصن بان فوقه شمس ضحا
تطلع الشمس عشاء عند ما	تنجلي منسـه بأبهي ملبس
وقرى الليل أضأ منهزما	وقرى الصبح أضأ في الغلس
يا حياة النفس صل بعد النوى	والهأ مضني شديد الشغف
قد براه السقم حتى ذا الهوى	ككاد أن يفضي به للتلف
آه من ذكر حبيب بالوى	وزمان بالمنى لم يسمعف
كنت أرجو الطيف يأتي حلما	عائدا يأنس من ذاقا يأس
هل يعود الطيف صبا مغرما	سأهرا أجفائه لم تنعس
همت في اطلال ليلي وأنا	ليس في الاطلال لي من أرب
ما مرادى رامة والمنحنى	لا ولا ليلي وسعدى مطلبي
انما سؤلى وقصدي والمنى	سيد العجم وتاج العرب
أحمد المختار طه من سما	الشریف ابن الشریف الكيس
خاتم الرسل الكريم المنتمى	طاهر الاصل زكي النفس

### موشحة لبعض شعراء الأندلس يعرض بها موشحة لسلن الدين

جادك الغيث اذا الغيث همى	يا زمان الوصل بالاندلس
عطس الارجاء لما نسما	شمال للصبح عند الغلس
وأنت شمس الضحى تنسخ ما	يقرأ الليل لنا من عبس
طاف بالكاس من الزهر فتى	مولع بالصد غنى مذ فتى .
فتن الالباب لما التفتا	واحتسى منه ببعض الشفة
وأنا ما بين حتى ومتى	صده نيه الهوى عن الفتى
وكؤوس الراح بين الندما	أرجت بالعرف أفق المجلس



خمرة صفراء في البلور ما  
بادر اللذة واجمع شملها  
ذى عيون ناعسات كم لها  
وافر الارداف عانى حملها  
كلما أترع ككاسا قال ما  
فابذل الجهد وكن مفتنما  
فرص الايام كن منتهزا  
ورحاب الانس لج منتجزا  
واجن من زهر الهوى محترزا  
لا تخف لوماً ويمسم حيثما  
ما مضى انس ووافى مثل ما  
الرياض اذهب ترى بلبلها  
وخاود الورد قد كللها  
وقدود البان قد قام لها  
والربا ما حلت تماكي خدما  
جيبها زرر بالزهر ككما  
وجلا الروض لنا أشجاره  
وترى في جيدها نواره  
خلع اللبس به أطماره  
وبقاياد زهت فيه أما  
ككمندار في محيا غلما  
حبذا الصبوة أيام الصبا  
فاذا أيقظها دهر صبا  
جريد الشيب لنا بيض الشبا
أشبه الحان بروض النرجس  
بمدام وغسلام مطرب  
من فنون السحر ما يلعب بي.  
ناحل الخصر وذامن عجب  
أنت بالشارى حياة الانفس  
لنفس النفس طيب الانفس  
مبتدأها قبل حذف الخبر  
قبل أن تمضى كلمح البصر  
من جنائيات هجوم الكبر  
لاحت اللذات كالتختلس  
كان ذا الدهر لنا بالحرس  
لاشتياق الورد مثل الشكل  
دمع طل لاشتياق البلبس  
مانع الوصل بحمد الاسل  
وعليهن ثياب السندس  
زر بالفضة ثوب الاطلس  
مائسات في قباء أخضر  
يتاللا ككمقود الجواهر  
فقد ككالصبح باهى المنظر  
في شفاء الغيد حس اللبس  
فسدا للغير لا الملتبس  
وعيون الشيب في سهو الوسن  
لصروف حد شفرها وسن  
واقتنى شرح شباب وغلن

وغدا الانسان شيخاً هرماً  
 فأت اذ مات فيقضى ندماً  
 لا تدع عمرك يمضي هدرأ  
 وارق بالجهد من السؤل الذرا  
 انما الايام أمثال السرى  
 ووحوش الانس تسعى مغنا  
 ترك الوهم وخاض الظلما  
 ليس يحظى بالنى الا الذى  
 كان للراحة كالمنتبذ  
 مثل ما قد بات ذا طرف قذى  
 فى طلاب العلم حتى علما  
 أحمد الناصب فينا علماً  
 حل فى مصر وان كان العلا  
 ورياض الفضل لما أن علا  
 ازدورت أغصانها حتى خلا  
 نفرت اذ حل فيها كالسما  
 حوله الطلاب كالشهب سما  
 أيها الطالب للعلم ائتد  
 ان توم نيل المرجى فاجتهد  
 علم من يعمل اكسيد فزد  
 والزم الاعتبار وانزل بالحمى  
 باعتقاد فاز من قد لسا  
 مذ خبرت الناس طرا نظرا

واعتراه لاعج من وجس  
 واغتنام الوقت شغل السكيس  
 أنت اذ ذاك جبان غافل  
 واجتهد بالضرع ضخم حافل  
 والجريء الشهم ليث باسل  
 باردا للاسد المقترس  
 وله العزم أضأ كالقبس  
 كابد الاهوال حتى ظفرا  
 من وراء الظهر أنى ظهرا  
 يقطع الليل جميعاً سهرأ  
 انه يملأ بروح القدس  
 للتقى فاز به من يأتسى  
 قد عفت لما اعتراها فى خلل  
 نفع جهل جف منهن البلل  
 قاعها من عذب ما يشفى العلل  
 وهو بدر بكمال مكنسى  
 قدرها من نوره المقتبس  
 ليس الا بابہ ينفعك  
 فى اتباع للذى يرفعك  
 منه واترك حاسدا يدفعك  
 خالغ الربة من قول المسى  
 نعله والكبر شان المبلس  
 لمناط الامر فى هذا الزمان

لم أجد الا مقالا صدرا  
 غير ما يمليه فانظر لترى  
 يبدع النطق لـ نا نظما  
 وأتى يخضع جمع العلاما  
 انما المجد الرفيع المتطى  
 يدع المرفوع كما لمهبط  
 ناظراً في أمره بالاحوط  
 كل من أم حماء قد حمى  
 فاذا جرد منه انفصا  
 حبذا المغرب قطراً بالسنا  
 قطره الشامخ قد اهدى لنا  
 كل من فاته أسباب المني  
 قل لمن يرجو سوى المذكور ما  
 لا ولا الناس سواء انما  
 لذ بشهم فاز من أمله  
 أثقل السؤدد اذ حماله  
 وحماء الامن من أمله  
 بحره الوافر العلم طما  
 نال منجه الناس حتى عمما

عن دعا وأخلفت عند العيان  
 درر الالفاظ في سمط البيان  
 بهت المنطق مثل الاخرس  
 نحو ذا المفرد في الملتبس  
 - أروى الآساد قسرا مثل ذا  
 ثم للنازل يعلى منفذا  
 خافض الطرف على حر القذى  
 بحسام العزم هش الملمس  
 جامد الصخر بذاك الميس  
 فضله يبهز بدر الافق  
 سيدا قد فاق شمس المشرق  
 بعـ لاه للثريا يرتقى  
 ينبت الزهر بأرض اليبس  
 رأى من سواهم في هوس  
 بنوال فاق سح الهامل  
 وقر فضل مستبين شامل  
 بلغ القصد فبشرى الآمل  
 كامل الامداد لم يحتبس  
 مشرقا والغرب للاندلس



### موشحة ابن سناء الملك

كللى ياسحب تيجان الربا بالحللى واجعللى سوارك منعطف الجدول

دور

ياسما فيك وفى الارض نجوم وما كلما اغربت نجما اشرقت انجما  
وهى ما تهطل الا بالطللى والدمى

قفلة

فاهطللى على قطوف الكرم كي تمتللى وانقللى للدن طعم الشهد والفوفل

دور

تتقد كالسكوب الدرى للمرصد يعتقد بها المجوسى بما يعتقد  
فاتشد ياساقى الراح بها واعتشد

قفله

وامللى حتى ترانى عنك فى معزل قلل فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم فالسلام يجول فى باطنه والندم  
والقلم يكتب ماسطر فوق القمم

قفله

من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل يعزل الالحاظ الرشا الا كحل

دور

الا أريم عن شرب صهباء وعن عشق ريم فالنعيم عيش جديد ومدام قديم  
لأهيم الا بهذين فقم يانديم

قفله

وانهل من اكؤس صورن من صندل أفضل من نكهة العنبر والمندل

دور

هل يعود عيش قطعناه بوادي زرود والجنود في حضرتي تضرب جنكاو عود  
والحسود في معزل عنا غدا لا يسود

قفله

عذلي لا تمذوني فالهوى لذلي ما النخلي في الحب مثل العاشق المبتلي

دور

اسفرت ليلتنا بالانس مذ اقرت بشرت بملتقى المحبوب واستبشرت  
شمرت فقلت للظلماء مذ قصرت

قفله

طولي ياليلة الوصل ولا تنجلي واسبلي سترك فالمحبوب في منزل

دور المديح

يانسيم بلغ سلام المستهام السقيم لكريم طه امام المرسلين العظيم  
عن أليم وجدى به حدث وشوقى القديم

موشحة لابن زهرى

في كؤس الثغر من ذاك اللعس	راحة الارواح
وتفشى الروض مسكي النفس	عطر الارواح
وكسا الادواح وشيا مذهبها	يهر الشمسها
عسجد قد حل من فوق الربا	يهمسج النفسا
فأخذ للهوفيه مركبا	تلحق الانسا
منبر الغصن عليه قد جلس	ساجع الادواح
حلل السندس خضرا قد لبس	عطفه المرتاح
قم ترى هذا الاصيل شاحبا	حسنه قد راق
ولا ذيال الفصون صاحبها	في حلي الاوراق
ونديم قال لي مخطيبها	قول ذى اشفاق

عادت الشمس بغرب تختلس  
 ان أرانا الجو وجها قد عبس  
 ووجوه الشرب تغنى عن شمس  
 بلحاظ أسكرتنا عن كؤوس  
 مظهرات من خفايا في النفوس  
 مازمان الانس الا مختلس  
 وعيون الشهب تذكى عن حرس  
 ما ترى تغر الوميض باسم  
 وثناء الروض هب ناسما  
 بث من أزهاره دراهما  
 ركب المولى مع الظهر الفرس  
 بجنود الله دأبا يحترس  
 وجب الشكر علينا والهنا  
 فزمان السعد وضاح السنن  
 أثمرت فيه العوالى بالمنى  
 يجتنى الاسلام منها ما اغترس  
 فى ضمير النقع منها قد هجس  
 يا اماما بالحسام المنقضى  
 تفرك الوضاح مها أومضا  
 وديون السعد منه تقتضى  
 لك وجه من صباح مقتبس  
 وجميل الصفح منه ملتبس  
 ها كها تمزج لطفا بالنسيم  
 قد أتت بالبر والصنع الجسيم

هات شمس الراح  
 أوقد المصباح  
 كلما تجلى  
 خمرها أحلى  
 سورا تتلى  
 فاغتنم يا صاح  
 تخصم النصاح  
 يظهر البشرا  
 عاطرا نشرا  
 قائل لا بشرى  
 وسقى وارتاح  
 ان غدا أورااح  
 بعضنا بعضا  
 وجهه الارضى  
 ثمر اغضبا  
 سيفه السفاح  
 شهب تلتاح  
 نصر الحقسا  
 أخجل البرقا  
 توسع الحقسا  
 بشره وضاح  
 منعم صفاح  
 كلما هبا  
 تشكر الربا



أخجلت من قال في الصبح الوسيم      مغرماً صعباً  
غرد الطير فنبسه من نعر      يامسدير الراح  
وتعري الفجر عن ثوب الغلس      وأنجلي الاصبح  
وله أيضاً

نواسم البستان      تنثر سلك الزهر  
والطل في الاغصان      ينظمه بالجواهر  
وراحة الاصبح      أضاء منها المشرق      تنشرها الارواح  
فلا تزال تخفق      والزهر زهر فاح      لها عيون ترمق  
فايقظ الندمان      يبصرن مالم يبصر  
جواهر الشبان      قد عرضت للمشترى  
قدحت لي زندا      ياأيها البارق      أذكرتني عهدا  
اذ الشباب رائق      فالشوق لا يهدا      ولا الفؤاد الخافق  
وكيف بالسلوان      والقلب رهن الفكر  
وسحب الهجران      تحجب وجه القمر  
لولا شمس الكاس      يديرها بين البدور      وأعرج الایناس  
منا على ربع الصدور      لكن لها وسواس      يغري بربات الخدور  
كم واله هيمان      بصبح وجه مسفر  
ضياؤه قدبان      من تحت ليل مقمر  
يامطلع الانوار      كم فيك من مرأى جميل      ونزهة الابصار  
ماضر لو تشفى الغليل      ياروضة الازهار      وعرفها يبرى العليل  
قضيبك الفتان      يسقى بدمع همر  
فلاعج الاشجان      فيض الدموع يجرى  
هل في الهوى ناصر      أو هل يجار الهائم      لو كان لي زائر  
طيف الخيال الحائم      ما بت بالساهر      ودمع عيني ساجم

والحب ذو عدوان يجهد في ظلم البرى  
وصارم الاجفان مؤيد بالحرور  
رحمك في صب اذكرته عهد الصبا بواعث الحب  
قادت اليه الوصبا لم تهف بالقلب ربح الصبا الاها  
بليلة الأردن قد ضخت بالعنبر  
يشير غصن البان منها بفضل المثرر  
طيبها حمد نخر الملوك المجتبى من يرجح الطود  
من حمله اذا احتبى قد جرد السعد منه حساماً مذهباً  
فالباس والاحسان والغوث المستنصر  
تحمله الركبان تحية للعنبر  
عصابة الكتاب حق لها الفوز العظيم تختال في اثواب  
حق لها الفخر الجسيم فحسبها الاطناب في الحمد والشكر العيم  
خليفة الرحمن لازلت سامى المظهر  
يا مورد الظمان ورأس مال المعسر  
خذها على دعوى تزرى على الروص الوسيم جاءت كما تهوى  
أرق من لدن النسيم قد طارحت شكوى من قال في الليل البهيم  
ليل الهوى يقظان والحب ترب السهر  
والصبر لى خوان والنوم من عيني برى

### موشحة لابي حسن المريني

فى نعمة العود والسلافة والروض والنهر والنديم  
أطال من لامنى خلافة فظل فى نصحه ملهم

( دور )

دعنى على منهج التصابى ما قام لى العذر بالشباب

ولا تطل في المنى عتابي      فلست أصغى الى عتاب  
لا ترج ردى الى جواب      والكاس تفتقر عن حباب  
والغصن يبدي لنا انعطافه      اذا هفنا فوقه النسيم  
والروض أهدي لنا قطافه      واختال في برده الرقيم

( دور )

يا حبذا عهدى القديم      ومن به همت مسعدى  
ريم عن الوصل لا يريم      مولع بالنوود  
ما تم الا به النسيم      طوعا على رغم حسدى  
معتدل القد ذو نحافه      استقنى طرفه السقيم  
ورام طرفى به انتصافه      نغد فى خده الكليم

( دور )

غصن الصبا عاطر المقبل      أحلى من الأمن والامل  
ظامى الحشا مفعم المخلخل      حلو اللعى ساحر المقل  
لكل من رامه توصل      لم يخش ردا بما فعل  
أشكو فيبدي لى اعترافه      ان حاد عن نهجه القويم  
لا أعدم الدهر فيه رافه      فحق لى فيه أن أهيم

( دور )

لله عصر لنا تقضى      بالسد والمنبر البهيج  
أرى ادكارى اليه فرضا      وشوقه دائماً يهيج  
فكم خلمنا عليه غمضاً      وللصبا مسرح أريج  
ورد أطال المنى ارتشافه      حتى انقضى شربه الكريم  
لله ما أسرع انحرافه      وهكذا الدهر لا يديم

( دور )

يا من يحث المطى غربا      عرج على حضرة الملوك



وانثر بها ان سفحت غربا      من مد مع عاطل سلوك  
واسمع الى من أقام صبا      واحك صداه لا فض فوك  
بلغ سلامي قصر الرصافه      وذ كره عهدي القديم  
وحى عنى دار الخلافة      وقف بها وقفة الغريم

### موشحة لابن الوكيل

غدا منادينا	محكما فينا	يقضى علينا الاسى	لولاتنا سينا
	بحر الهوى يفرق	من فيه جهده عام	
	وناره تحرق	من هم او قد هام	
	وربما تقلق	فتى عليه نام	
قد غير الاجسام	وصير الايام	سوداً وكانت بكم	بيضا لياينا
	يا صاحب التجوى	قف واستمع منى	
	اياك أن تهوى	ان الهوى يضنى	
	لا تقرب البلى	اسمع وقل عنى	
بحاره مره	خضنا على غره	حينا فقام بها	للنقى نائينا
	من هام بالغيب	لاقى بهم هما	
	بذلت مجهودى	لأحور ألى	
	يهم بالجدود	ورد ما هما	
وعند ما قد جاد	بالوصل أو قد كاد	أضحى التنائى	بديلا من تدانينا
	بحق ما يدينى	وينكم الا	
	أقررتم عيىنى	فتجمعوا الشمالا	
	فالمسين بالبين	بفقدكم أبلى	
جدد لنا ما كان	بالاهل والاخوان	وموردا للهوصاف	من تصافينا
	يا جيرة بابت	عن مغرم صب	

لعمري خانت	من غير ماذنب
ما هكذا كانت	عوائد العرب
لا تحسبوا البعدا	يغير العبد
يا نازلا بالبيان	اذطالمسا غير
والنمل والفرقان	بالشفع والوتر
وسورة الرحمن	والليل اذا يسر
هل حل في الاديان	أن يقتل الظمان
من كان صرف الهوى	والوديس
يا سائل القطر	عرج على الوادي
من ساكني بدر	وقف بهم نادى
عسى صبا تسرى	لمصرم صادى
ان شئت تحيينا	بلغ تحيينا
وافت لنا أيام	كانها أعوام
وكان لى أعوام	كانها أيام
تمر كالأحلام	بالوصل لى لو دام
والكاس مترعه	حنت مشعشه
فينا الشمول	وغنانا مغنينا

### موشحة للشيخ محي الدين

سرائر الاعيان      لاحت على الاكران      للناظرين  
والعاشق الغيران      من ذاك فى حران      ييدى الانين

دور

يقول والوجد	أضناه والبعد	قد حـميره
لما دنا البعد	لم أدر من بعد	من غـميره
وهيم البعد	والواحد الفرد	قد خـميره
فى البوح والكتمان	والسر والاعلان	فى المـالمين
أما هو والديان	يا عابد الاوثان	أنت الضنين

( دور )

كل الهوى صعب	على الذى يشكو	ذل الحجاب
يا من له قلب	لو أنه يذكو	عند الشباب
قد قرب الرب	لكنه أفك	فانو المتاب
وناد يارحمن	يارب يامنن	انى حزين
أضناني الهجران	ولا حبيب دان	ولا معين

دور

فنسيت بالله	عما تراه العين	من كونه
فى موقف الجاه	وصحت أين الاين	فى بينه
فقال يا ساهى	عاينت قط عين	بعينه
أما ترى عيلان	وقيس أو من كان	فى الغابرين
قالوا باللهوى سلطان	ان حل بالانسان	أفناه دين

دور

كم مرة قلا	أنا الذى أهوى	من هو أنا
فلا أرى حالا	ولا أرى شكوى	الا الفنا
لست كمن مالا	عن الذى يهوى	بعد الجنا
ودان بالسوان	هذاهو البهتان	للعارفين
سلوهم ما كان	عن حضرة الرحمن	والآ فكين

دور

دخلت فى بستان	الانس والقرب	مكنسة
فقام لى الريحان	يختال بالمعجب	فى سندسه
أنا هو الانسان	مطيب الصب	فى مجلسه
ياجنان ياجنان	اجن من البستان	الياسمين
وحلل الريحان	بحرمة الرحمن	للعاشقين



### موشحة لأحد الشعراء

فتق المسك بكافور الصباح    ووشت بالروض اعراف الرياح  
فاسقيتها قبل نور الفلق    وغناء الورق بين الورق    كاحرار الشمس عند الشفق  
نسج المزج عليها    حين لاح    فلك اللهـــــــــــــو وشمس الاصطباح  
وغزال سامني بالملق    وبرا جسمي    واذكي حرقى    اهيف منذ سل سيف الخندق  
قصرت عنه أنايب الرماح    وثنى الذعر مشاهير الصفاح  
صار بالذل فؤادي كلفا    وجفون ساحرات وطفا    كلما قلت جوى الحب انطفا  
أمرض القلب بأجفان صحاح    وسبي العقل بجذوم مزاح  
يوسفى الحسن عذب المبتسم    قرى الوجه ليلي اللهم    عنترى الباس علوى الهمم  
أغصني القد مهضوم الوشاح    مادري الوصل صابى السباح  
قد بالقـد فؤادى هيفا    وسبا عقلى لما انعطفا    ليتـه بالوصل أحيـا دنفا  
مستطار العقل مقصوص الجناح    ما عليه فى هواه من جناح  
ياعلى أنت نور المقل    جدب وصل منك لى يأملى    كم أغنيك اذا ما لحت لى  
طرقت والليل ممدود الجناح    مرحباً بالشمس من غير صباح

### موشحة لابن التلمساني

قرى مجلودجى الفلس    بهر الابصار مذ ظهرا  
آمن من شينة الكلف  
ذبت من حبيه بالكلف  
لم يزل يسعى الى تلقى  
بركاب الدل والصلف  
آه لولا أعين الحرس    نلت منه الوصل مقتدرا

يا أميرا جار مندوليا  
كيف لا ترثي لمن بليا  
فبشفر منك قد جليا  
قد حلا طعما وقد حليا  
وبما أوتيت من كيس جد فما أبقيت مصطبرا  
بدرتم في الجمال سني  
ولهذا القبهوه سني  
قد سباني لذة الوسن  
بمحيا باهر حسن  
هو خشني وهو مفترسي فاروعن أعجوبتي خيرا  
لك خد يا أبا الفرج  
زين بالتوريد والضرع  
وحدث عاطر الارج  
كم سبي قلبا بلا حرج  
لوراك الفصين لم يمس أوراك البدر لاستترا  
يامديبا مهجتي كمدا  
فقت في الحسن البدور مدى  
يا كحिला كحله اعتمدا  
عجبا أن تبرى الرمدا  
وبسقم الناظرين كسي جفك السحار وانكسرا  
موشحة عارض بها أبو حيان موشحة ابن التماساني  
عاذلي في الاهيف الآنس لوراه الآن قد عذرا

رشاً قد زانه الحور  
 غصن من فوقه قمر  
 قمر من سحبه الشعر  
 ثغر من فيه أم درر  
 جال بين الدر واللعلس خمرة من ذاقها سكراً  
 رجة بالردف أم كسل  
 ريقة بالثغر أم غسل  
 وردة بالخمد أم خجل  
 كحل بالعين أم كحل  
 يالها من أعين نعلس جلبت لناظري سهرأ  
 مذ نأى عن مقلتي سنى  
 ما أذيقاً لذة الوسن  
 طال ما ألقاه من شجن  
 عجباً ضدان فى بدن  
 بفؤادى جذوة القبس . وبعيني الماء منفجراً  
 قد أتانى الله بالفـرج  
 اذ دنا منى أبو الفرج  
 قمر قد حصل فى المهج .  
 كيف لا يخشى من الوهج  
 غيره لو صابه نفسى ظنه من حره شررا  
 نصب العينين لى شركا  
 فأنثنى والقلب قد ملكا  
 قمر أضحى له فلكا  
 قال لى يوما وقد ضحكا  
 أتجبنى من أرض أندلس نحو مصر تعشق القمرأ



### موشحة لابن اللبابة الأندلسي

في نرجس الأحداق وسوسن الاجياد      نبت الهوى مغروس      بين القنا المياد  
 وفي نقا الكافور      والمندل الرطب  
 والهودج المرزور      بالوشى والعصب  
 قضب من البلور      حمين بالقضب  
 نادى بها المهجور      من شدة الحب  
 أذابت الاشواق      روحى على أجساد      أعارها الطاوس      من ريشه ابراد  
 كواعب أتراب      تشابهت قدًا  
 عضت على العناب      بالبرد الاندا  
 أوصت بى الاوصاب      وأغرقت الوجدا  
 وأكثر الاحباب      أعدى من الاعداد  
 تفتت عن أعلاق      لآلى أفراد      فيه اللبى محروس      بألسن الاغمساد  
 من جوهر الذكري      عطل نحور الحور  
 وقلد الدرا      سلاله المنصور  
 جاوز به البحرا      واخرق حجاب النور  
 وقل له شعرا      بفضلك المشهور  
 جمعت فى الآفاق      مناقب الاضداد      فأنت ليث الخيس      وأنت بدر الناد  
 خرجت محتالا      أبغى سنا البرق  
 أقطع أميالا      غربا الى شرق  
 مؤملا حالا      يكون من وفقى  
 فقال من قالا      وفاه بالصدق  
 دع قطعك الآفاق      يأيها المرتاد      واقصد الى باديس      خير بنى حماد  
 يامن رجال الطلا      وأمل التعريس

ان شئت أن تحلى      بطائل التأسيس  
 لا تعتمد الا      على علا باديس  
 من فوقه أعلا      قدراً من البرجيس  
 مواطن الارزاق أولئك الامجاد      فاحطط رجال العيس وانفض بقاء الزاد

### موشحة لأبي حيان الغرناطي

ان كان ليل داج      وخائنا الاصبح      فنورها الوهاج      يغنى عن المصباح  
 سلافة تبسو      مزاجها شهيد      كالسكوكب الازهر      وعرفها عنبر  
 يا حبيذا الورد      منها وان أسكر      من ذلك المنهاج      وعن هوى ياصباح  
 قلبى بها قد هاج      فما يرانى صاح      قد لج فى بعدى      منه سنا الخد  
 بدر فلا يخسف      بلحظه المرفف      يسطو على الاسد      فأتري من ناج      من لحظه السفاح  
 كسطوة الحجاج      فى الناس والسفاح      علل بالمسك      قلب رشا أحور  
 منعم المسك      ذى مبسم أعطر      وريقه سكر      فخبذا الاراج      ان هبت الارواح  
 رياه كالسك      طاعت له الارواح      مهلا أبا القاسم      على أبى حيان  
 ما ان له عاصم      وهجر كالدائم      من لحظك الفتان      قد طال بالهيمان  
 غصن على رجراج      وسره قد لاح      يارب ذى بهتان      وفى هوى الغزلان  
 قدمه أمواج      يارب ذى بهتان      وفى هوى الغزلان      دافعت بالراح

وقلت لاسلوان      عن ذاك يالاح  
سبع الوجوه والتاج      هي منية الافراح  
فاختر لى يازجاج      فعمال وزوج أقداح

### موشحة صفى الدين الحللى

شق جيب الليل عن نحر الصباح	أيها الساقون
وبدا للطل في جيد الاقاح	لؤلؤ مكنون
ودعانا للزيد الاصطبـاح	طائل ميمون
فاخضب المبزل من نحر الدنان	بدم الزرجون
تلقى دمها حور الجنـان	في صحافجون
فاسقنيها قهوة تكسو الكؤوس	بسنا الانوار
وتميت العقل اذ تحي النفوس	راحة الاسرار
بنت كرم عثقت عند المجوس	في بيوت النار
غرست كرمها بين القيان	يد افلاطون
وبماء الصرح قد كان يطان	دنها المخزون
أخبرتنا عن بنى مصر القديم	خبراً مأثور
وروت يوم مناجاة الكلم	كيف ذلك الطور
ولماذا اتخذت أهل الرقيم	كهفها المذكور
وندا يونس عند الامتحان	بالتقام النون
وبنا نوح غداة الطوفان	فلكه المشحون
من جلاشمس الضحى بدر التمام	في الليالى السود
وغدا يصـبغ أذيال الظلام	بدم العنقود
قلت يا بشر اكم هذا غلام	وفتاة رود
مرجا الكلس وقاما بسقيان	في حمى جيرون
فبذلنا في القناني والقيان	ماحوى قارون
نال فعل الخمر من ذات الخمار	عند شرب الراح



فغدت تستر من فرط الخمار  
خلتها اذلم تدع بالاختمار  
قمرا تم لسبع وثمان  
قد رته الشمس في حال القران  
افعم الزامر بالنفخ الممدار  
فغدا وهو لامسوات الخمار  
أو كما عاش الوري بعد البوار  
ملك هذب أخلاق الزمان  
وأعاد الناس في ظل الامان  
ملك انجد طلاب الندى  
متلف ان جال آجال المدى  
من بنى ارتق اعلام الهدى  
مهد الارضين بالعدل فكان  
ذبيها والشاة ترعى في مكان  
بازل الاموال من قبل السؤال  
مارجاه أمل الاونال  
فاذا ما أمه راجى النوال  
يهب الولدان والخور الحسان  
وسواه ان دعاه ذو لسان  
يامليكا لبني الدهر ملك  
ملك أنت عظيم أم ملك  
بالذي تختاره دار الفلك  
مذ رأى بأسك سلطان الاوان  
حاول النصر كموسى فاستعان  
وجهها الوضاح  
غير صلت لاح  
في الليالي الجون  
فهو كالمرجون  
نابه المحصور  
مثل نفخ الصور  
بندى المنصور  
عدله المسنون  
عضبه المسنون  
غاية الانجساد  
واللهي ان جاد  
سادة انجاد  
أمنها مضمون  
غدره مأمون  
بأكف الجبوذ  
غاية المقصود  
جاد بالموجود  
بكرها والعون  
يمنع الماعون  
فشري الاحرار  
ساطع الانوار  
وجري المقدار  
وهو كالمحزون  
بك ياهارون

وقد شاع فن التوشيح حتى أصبح من بذع الشعر والبلاغة . وانتشر في جميع المجالس على السنة الخاصة والعامة ، ثم أمعن الشعراء في هذا النوع حتى تسربت فيه اللغة العامية ، ودبت في جسمه ديباً ، وغلبته على عريته الفصحى وحتى خفيت معالم اللغة أو كادت ، وغلب ذلك على الشعر ، وسموا هذا النوع الجديد «زجلاً». ونسج العامة على منواله واشتهر بقوله كثير من الشعراء . ذكر جملة منهم ابن خلدون في مقدمته .

وقد أكتفينا بالإشارة إلى هذا الشعر العامي وإن كان جديراً بالعناية، لاحتوائه على صور النفوس العامة وبعض الآراء الاجتماعية . وأرجأنا تفصيل الكلام فيه لفرصة أخرى





## المصادر الأدبية والتاريخية للأندلس

- فتح الطيب المقرئ ( طبع مصر وليدن )  
المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي ( طبع ليدين )  
البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى ( طبع ليدين )  
الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ( طبع مصر )  
أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم  
( طبع بحريط )  
الجزء الثاني والعشرين من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وفيه  
أخبار ملوك الأندلس من العاويين والامويين ومن ملك بعد بني أمية الى  
حين انقرض الدولة العبادية ( طبع غرناطة )  
الجزء الرابع من تاريخ ابن خلدون ( طبع مصر )  
مقدمة ابن خلدون  
تاريخ مسلمي اسبانيا لدوزي ( طبع باريز . )  
Dozy. Histoire des Musulmans d'Espagne. Paris.  
تاريخ العرب والمغاربة في اسبانيا والبرتغال لكوند ( طبع باريز )  
J. Cond. Histoire de la domination des Arabes et des Maures  
en Espagne et en Portugal.  
تاريخ العرب العام نسيدو ( طبع باريز )  
Seddillot. Histoire générale des Arabes, Paris.  
تاريخ العرب لهوار ( طبع باريز )  
C. Huart. Histoire des Arabes, Paris.  
Recherche sur l'histoire et la littérature arabe en Espagne.  
2 Volumes Par Dozy.  
Histoire des Arabes et des Maures d'Espagne. Par Louis  
Viardot. 2 Vols. Paris 1851.  
Encyclopédie de l'Islam.  
ديوان ابن قزمان ( نسخة مأخوذة بالفتوغرافية بدار الكتب المصرية عن  
نسخة في مكتبة بطرسبورغ )

بحث في حياة ابن زيدون لاوغست كود ( طبع الجزائر )

Auguste Cour. Ibn Zaidoun. Alger.

طبقات الامم لصاعد الاندلسي ( طبع بيروت ومصر )

قلائد العقيان للفتح بن خاقان ( طبع مصر )

مطمح الانفس للفتح بن خاقان ( طبع الاستانة )

الذخيرة في شعراء الجزيرة لابن بسام ( مخطوط ) منه جزآن في دار الكتب

المصرية والجزء الثالث في مكتبة برلين والرابع مفقود )

ديوان ابن حمديس الصقلي ( طبع رومة )

الحلة السراء لابن الابار ( طبع ليدن )

المكتبة العربية الاندلسية وهي الصلة لابن بشكوال في جزئين وبغية

الملتبس للضبي والمعجم لابن الابار والتكملة لكتاب الصلة لابن الابار وتكملة

التكملة لابن الابار ( طبع بحريط ) وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وفهرست

مارواه عن شيوخه من الدواوين في ضروب العلم وانواع المعارف أبو بكر بن خليفة

الاموي الاشبيلي نشرها المستشرقان الاسبانيان كوديرا ورييرا ( طبع بحريط )

F. Codera et J. Ribera Bibliotheca Arabi-co Hispana.

المكتبة العربية الصقلية لميشيل آماري ( طبع ليبسيك )

M. Amari Bibliotheca Arabo-Sicula (Leipzig).

قصيدة ابن عبيدون وشرحها لابن بدرون ( طبع ليدن )

ترجمة بن عباد ( طبع ليدن )

دار الطراز في الموشحات لابن سناء الملك ( من مخطوطات دار الكتب

المصرية )

تاريخ الادب العربي تأليف نيكلسون

A Literary History of the Arabs By Nicholson.

## الفهرس

- ٥ تمهيد - فيه الكلام على الأدب وصلته بالاجتماع والكلام على بلاغة العرب في الأندلس والغرض من هذا الكتاب.
- ١١ العرب في الأندلس - دخول العرب بلاد الأندلس واختلاطهم بسكان هذه البلاد - الخلاف بين القبائل العربية هناك - طارق بن زياد وخطبته - الدول الإسلامية وعصورها - عصور الأدب والبلاغة.
- ١٩ الحياة العقلية - تكوين الحياة العقلية والاهتمام بالعلوم - العناية بالكتب وجمعها - العناية بنشر التعليم وإنشاء المدارس - التأليف والمؤلفون - انتشار اللغة العربية واشتغال غير العرب بها.
- ٢٧ الفنون في الأندلس - عناية العرب بالفنون - النقش والتصوير والعمارة - أخذ أهل أوربا العلوم والفنون عن العرب في الأندلس وكلام مؤرخيهم في ذلك - الترف وأبهة الملك.
- ٣٣ الغناء ومجالس الأدب - العناية بالغناء والكلام على زرياب المغني - مجالس اللهو والرقص وأغاني العشاق وأثر النساء في ذلك - مجالس الأدب والاقبال عليها وإنشاد الشعر فيها.
- ٤١ النشر في الأندلس - أحوال النشر في الأندلس وأنواعه ونماذج من أساليبه المختلفة.
- ٤٧ الشعر في الأندلس - التشابه بينه وبين الشعر في المشرق - ابتكار شعراء أهل الأندلس في الوصف وغيره وأمثلة ذلك.



٥٧	أبو عامر بن شهيد - ترجمته وشعره ونثره وما يمتاز به من الأساليب القصصية - قطعة من رسالته المسماة بالتوايع والزوايع - آراؤه في النقد الأدبي.
٧٥	الوزير ابن زيدون - حياته وصلته بابن جهور ثم موته.
٧٩	شعر ابن زيدون وأساليبه.
٨٩	الغزل في شعر ابن زيدون وصلته بولادة بنت المستكفي.
٩٧	نثر ابن زيدون والكلام على رسالتيه الجدية والهزلية.
١٠٧	أحمد بن عبد ربه.
١١١	ابن دراج القسطلي.
١١٩	المعتمد بن عباد.
١٢٩	الوزير ابن عمار.
١٣٩	عبد الجليل بن وهبون.
١٤٧	ابن حمديس الصقلي.
١٦٧	ابن برد الأصغر وأسلوبه القصصي في نثره ورسالته في الأزاهر.
١٧٩	الأعمى التطيلي.
١٨٩	محمد بن هاني وأسلوبه الشعري والكلام على جمال الشعر.
١٩٥	ابن الحداد وأسلوبه الشعري في وصف الأديرة والقساوسة وعبادة النصاري.
٢١٣	ابن خفاجة الأندلسي والجمال وأثره في الشعر.
٢٢٥	ابن سهل الاسرائيلي.
٢٣٥	الفتح بن خاقان.
٢٤١	ترجمة لسان الدين بن الخطيب.

- ٢٤٧ الموشحات وكيف نشأت : الأنواع التي حدثت في الشعر - كلام  
ابن خلدون في الموشحات - الميل إلى الخروج من طريقة الشعر  
القديم - كلام ابن سناء الملك عن الموشحات في كتابه "دار  
الطراز" - جملة من الموشحات لأشهر الشعراء.
- ٣٠٣ المصادر الأدبية والتاريخية للأندلس
- ٣٠٥ الفهرس

تم طبع هذا الكتاب على مطابع  
دار المعارف للطباعة والنشر  
بسوسة - الجمهورية التونسية





# دراسات أدبية صدرت عن دار المعارف للطباعة والنشر

- أوهام العقاد في العبقرية ..... محمد البدوي
- الأرض والصدى ..... محمد البدوي
- التجربة الوجودية في "اليوم الأخير" ..... ابراهيم الحسايري
- التيارات الأدبية في تونس المعاصرة ..... البشير بن سلامة
- الثورة في شعر محمود درويش ..... ياسين أحمد فاعور
- جبران بين المصلوب والمجنون ..... جلال المخ
- الشابي وتاج الشوك ..... جلال المخ
- دراسات في الأدب والنقد ..... أبو القاسم كرو
- السخرية في أدب إميل حبيبي ..... ياسين أحمد فاعور
- الشعر العبري والصهيوني المعاصر ..... محمد صالح العياري
- الفن الروائي عند غادة السمان ..... عبد العزيز شبيل
- في الأدب التونسي المعاصر ..... أبو زيان السعدي
- لغة وأسلوب طه حسين في كتاب الأيام .... د. عطية عامر
- أزمة الذات في مقامات الهمذاني ..... المنصف شعرانة
- قراءات في الشعر التونسي ..... عبد العزيز شبيل
- طائر الفنيق دراسة تحليلية
- لرواية الليلة الطويلة ..... محمد البدوي
- أبو العلاء المعري من التمرد إلى العدمية .... عبيد البريكي
- شاعر وثورة ..... حسن فتح الباب

ISBN : 9973-16-565-9



تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب، الطبعة الأولى 1998

الثلث : 5,000 د.ت